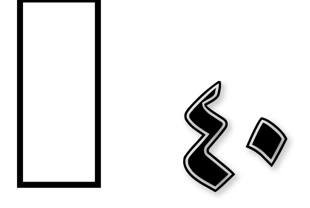

س
ج
٤٠ سؤال و جواب
في الدين والحياة
الشيخ سيد عبد العاطي
اصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني





بسم الله الرحمن الرحيم



٤٠

سؤال وجواب

في الدين والحياة

الشيخ

سيد عبد العاطي





مُقدِّمَة

يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني نشر هذا الكتاب للشيخ سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي وهي بعنوان : (٤٠سؤال وجواب في الدين والحياة) والأسم من اقتراح الموسوعة للتيسير،و في هذا الكتاب يرد علي بعض أسئلة طلبة العلم ردًا شافيًا وكافيًا وكتابيًا ..عن أسئلة مهمة ومتنوعة دبن ودنيا ــوهي ليست أجوبة لعامة الناس ممن يريد إجابة مختصرة ووجيزة ولايسأل عن أدلة وهذا حقه أن وثق فمن يفتيه بالإجابة وهذا يكفي للعامي..

وأنما هي أجوبة مؤيدة بالأدلة الشرعية ومكتوبة وأن كان الرد قوليًا يكون خلاصته وزبدته ،وهي تهم وتفيد طلبة العلم وأهله ممن يبحث عن الأدلة، وكل سؤال وجوابه فيه من الفوائد الكثير.. ويكثر الحاجة إلي معرفة جواب الشرع فيها بالتفصيل....

جمعتها الموسوعة من صفحته ،وقامت بتنسيقها وعمل غلافة ورفعها لتكون في متناول الجميع لما فيها من بيان شافي لأمور مهمة لعامة الأمة ليستفيد منها ،ويحملها من يشاء بروابط مباشرة من علي صفحات الموسوعة المختلفة..

فجزاه الله عنا كل خير ونسأل الله القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه..

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني







١-الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
أَمَّا بَعْدُ:



١-فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ: أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ شَيْخَنَا :كَيْفَ يَكْسِبُ الزَّوْجُ قَلْبَ زَوْجَتِهِ؟



مِنْ خِلَالِ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هُنَاكَ جُمْلَةٌ مِنَ الْوَصَايَا لِ لِزَوْجٍ إِنْ قَامَ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِهِ،وَكَانَتْ الْأُسْرَةُ سَكَنًا وَمَوَدَّةً وَمِنْهَا:

(أ)ابْدَأْ بِالسَّلَامِ عِنْدَ دُخُولِكَ الْبَيْتَ:

-أَيُّهَا الزَّوْجُ لِكَيْ تَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِكَ فَابْدَأْ بِالسَّلَامِ عِنْدَ دُخُولِكَ الْبَيْتِ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(54)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ}.

-فَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّآلُفِ وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ، وَفِي إِفْشَائِهِ أُلْفَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَإِظْهَارُ شِعَارِهِمْ الْمُمَيِّزُ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ: لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَيْ: لَا يَكْتَمِلُ إِيمَانُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَوَ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ سَهْلٍ يَسِيرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ؛ فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبًا لِلْمَحَبَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ سَبَبًا لِكَمَالِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ





سَبَبٌ للتّحَابِّ وَالتّوَادّ، وَهُوَ سببُ الْأُلْفَةِ بيْنَ الْمُسلمين الْمُسَبِّبُ لِكمَالِ الدِّينِ وإعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسلَامِ. وَفِي التّهَاجُرِ وَالتّقَاطُعِ والشّحْنَاءِ التّفْرقَةُ بَيْنَ الْمُسْلمينَ.

-وَفِي الْحَدِيث: الْأَمْرُ بإفْشَاءِ السّلَامِ لمَا فيه منْ نَشْرِ الْمَحَبّةِ وَالْأَمَانِ بيْنَ النّاس.

-وَفيه:إرْشَادُ النّبِيِّ -صَلّى الله عَلَيْهِ وسلّمَ-لأمّتهِ إلَى أسْبَابِ الْفوزِ وَالنّجَاةِ ودُخُول الْجَنّةِ.

(ب)ابْتَسمْ فِي وَجْهِ زَوْجَتكَ عِنْدَ لِقَائِهَا:

-أيُّهَا الزّوْجُ ابْتَسِمْ فِي وَجْهِ زوجَتكَ عِنْدَ لِقَائِها،فَالْبَسْمَةُ مِفْتَاحٌ ودَوَاءٌ،مِفْتَاحٌ لِمَغَالِيقِ الْقُلُوبِ،ودَوَاءٌ لأمْرَاضِهَا وَعِلَلِهَا،

وَالْبَسْمَةُ منْ سنّةِ النّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-فَكَانَ لَا يُرَى إلّا بَسّامًا،وَالْبَسْمَةُ عِبَادَةٌ-

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحمهُ اللهُ تعَالَى-فِي صَحِيحِه برقَمِ (3035)مِنْ حَدِيث جَرِير بْنِ عَبْدِ الله الْبَجَلِيِّ-رَضِيَ الله تعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{مَا حَجَبَنِي النّبِيُّ صَلّى-اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلّا تَبَسّمَ فِي وَجْهِي. وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: اللّهُمّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا}.

-فَالْبَسْمَةُ مِنْ حُسْنِ لِقَاءِ الْأَصْحَابِ، وَالزّوْجَةُ نِعْمَ الصّاحِبَة

،فَلِقَاءُ النّاسِ بِالتّبَسّمِ وطَلَاقَةِ الوَجْهِ مِنْ أخْلَاقِ النُّبُوّة، وَهُوَ مُنَافٍ لِلتّكَبّرِ، وَجَالِبٌ لِلْمَوَدّة.

(ج)طَيِّبْ فَمَكَ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ:

-اعلَمْ أيُّهَا الزوْجُ أنّ تَطْيِيبَ الْفَمِ وتَنْظِفَهُ منْ حُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ الزّوْجَة،وَمِنَ الرِّعَايَةِ لَهَا،وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ النّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-عِنْدَ دُخُولِ بَيْتِهِ بعدَ الْبَدْءِ بِالسّلَامِ يَبْدَأُ بِالسِّوَاك.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٥٣)مِنْ حَدِيثِ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- قَالَ:{سَأَلْتُ عَائِشَةَ، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- إذا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالَتْ: بالسِّواكِ}.

(د)نَادِ زَوْجَتَكَ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ:

-أَيُّهَا الزَّوْجُ كَيْ تَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِكَ فَنَادِهَا بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ تَأَسِّيًا بِرَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6201)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ يا عَائِشُ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا نَرَى}.

-وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَمُلَاطَفَةِ الزَّوْجَةِ،فَقَدْ اسْتَخْدَمَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُسْلُوبَ التَّرْخِيمِ عِنْدَ مُنَادَاةِ أُمِّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-وَيَعْنِي التَّرْقِيقَ وَالتَّلْيِينَ بِحَذْفِ آخِرِ الاسْمِ تَخْفِيفًا ،وَهَذَا الْأُسْلُوبُ يُؤْتَى بِهِ لِلتَّحْسِينِ ،وَلِهَذَا لَا يَأْتِي إِلَّا فِي مَقَامِ الرِّقَّةِ وَاللِّينِ أَوِ التَّعْظِيمِ أَحْيَانًا،وَهَذَا الْأُسْلُوبُ يُدْخِلُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ عَلَى الْمُنَادَى.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(4970)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-

قَالَتْ:{يَا رَسُولَ اللهِ، كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ : فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللهِ – يَعْنِي ابْنَ أُخْتِهَا، عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ – فَكَانَتْ تُكَنَّى بِ : أُمِّ عَبْدِ اللهِ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّ نِسَائِكَ لَهَا كُنْيَةٌ غَيْرِي فَقَالَ لَهَا رَسُولُ

اللهِ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:اكْتَني بِابْنِكَ عَبْدِ اللهِ يَعْني ابْنَ الزُّبَيْرِ أَنْتِ أُمُّ عَبْدِ اللهِ قَالَ: فكَانَ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عبدِ اللهِ حَتّى مَاتَتْ ولَمْ تَلِدْ قَطُّ}.

-فَمِنْ حُسْنِ عِشْرَةِ النّبِيِّ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–أَنَّهُ يُجِيبُ زَوْجَهُ أُمَّ الْمُؤْمِنينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–وَيَخْتَارُ لَهَا أَحَبَّ الْكُنَى،فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الزَوْجُ أَنْ تَتَأَسّى بِرَسُولِ اللهِ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمّدٍ– صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.-

(هـــ)الثّنَاءُ عَلَى الزّوْجَةِ جَالِبٌ لِلْمَوَدّةِ:

-أَيُّهَا الزّوْجُ كَيْ تَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِكَ عَلَيْكَ أَنْ تُثْنِي عَلَى فِعْلِهَا الْجَمِيلِ،وَقِيَامِهَا بِوَاجِبَاتِهَا،فَشُكْرُهَا عَلَى مَعْرُوفِهَا عِبَادَةٌ تُؤجَرُ عَلَيْهَا.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِرَقَمِ(١٩٥٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{مَنْ لَا يَشْكُرُ النّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٤٨١١):{لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَاسَ.}.

-عَلّمَنَا النّبِيُّ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– أَنّ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ للهِ تَعَالَى يَكُونُ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمِنْ لَوَازِمِ شُكْرِ اللهِ عزّ وجَلّ أَنْ يَشْكُرَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ إِذَا قَدّمَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا .

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الرّسُولُ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النّاسَ}، أَيْ: لَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى شُكْرًا مِنْ عَبْدِهِ الّذِي أَحْسَنَ إِلَيْهِ، إِذَا كَانَ هَذَا الْعَبْدُ مِمّنْ يَنْسَى الْمَعْرُوفَ الّذِي قَدّمَهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ، وَيَكْفُرُ نِعَمَهُمْ، وَلَا يَشْكُرُهُمْ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ لِاتّصَالِ الْأَمْرَيْنِ بِبَعْضِهِمَا.

-وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنّ مَنْ كَانَ مِنْ طَبْعِهِ وَعَادَتِهِ كُفْرَانُ نِعْمَةِ النّاسِ وَتَرْكُ الشُّكْرِ لَهُمْ، كَانَ مِنْ عَادَتِهِ وَطَبْعِهِ كُفْرُ نِعْمَةِ اللهِ وَتَرْكُ الشُّكْرِ لَهُ؛ لِأَنّهُ لَيْسَ مُعْتَادًا عَلَى الشُّكْرِ.





وَقِيلَ مَعْنَاه: أَنّ من لا يَشْكُرُ النّاس كَمَنْ لَا يَشْكُرُ اللهَ وإِنْ شَكَرَهُ، وَإِنَّمَا الْحثّ عَلَى شُكْرِ النّاسِ لَيْس لِكَوْنِ النّعمَة صدرت مِنْهُمْ، بَلْ لِكَوْنِهَا جرت عَلَى أَيْدِيهِم، وَالْمُنْعِمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الله، فإِذَا شَكَرْتَ عبدًا لِكَوْنِهِ أَحْسَنَ إِلَيْك فِي الدُّنْيَا، فَإِنّ شُكْرَهُ لِكَوْنِ الشّارِعِ أَمَرَ بِذَلِكَ، لَا لاعْتِقَاد أَنّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ.

-فَمَا بَالُنَا بِالزّوْجَة الصّالحَة الّتِي تَسُرُّ زَوْجهَا إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا،

وَتُطِيعُهُ فِي الْمَعْرُوف إِذَا أَمَرَهَا،وَتَحْفَظُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِه وَوَلَدِه إِذَا غَاب عَنْهَا،وَتُعِدُّ لَهُ طَعَامَهُ،وَتَغْسِلُ لَهُ ثِيَابَهُ،وَتُنَظِّفُ لَهُ بَيْتَهُ،

وَتَقُومُ عَلَى تَرْبِيَةِ أَبْنَائِه،أَلَا تَسْتَحِقُّ كَلِمَةَ شُكْرٍ وَثَنَاء؟.

-وَفِي الْحَدِيث: الْحثُّ عَلَى الْوَفَاء، وَحِفْظِ الْمَعْرُوفِ لِأَهْلِهِ.

(و)سَاعِدْ زَوْجَتَكَ فِي أَعْمَالِ الْمَنْزِل:

-فَقَدْ كَانَ النّبِيُّ-صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-فِي مِهْنَةِ أَهْلِه،فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الزّوْجُ أَنْ تَتَأَسّى بِرَسُولِ الله-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-فِي ذَلِكَ لِتَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجَتِك.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ ابْنُ حِبّان-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَم(5676)مِنْ حَدِيث هِشَام بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ:قُلْتُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمّ الْمُؤْمِنِين أَيُّ شَيءٍ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ الله-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم-إِذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ: مَا يَفْعَلُ أَحَدُكُمْ فِي مِهْنَةِ أَهْلِه يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ}.

-أَوْصَى النّبِيُّ – صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ –الرّجَالَ بِالنّسَاء، وَحَثّهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِنّ وَمُعَاشَرَتِهِنّ بِالْمَعْرُوف،وَكَانَ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-الْقُدْوَةَ وَالْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ لِهَذِه الْأُمّة، فَكَانَ أَفْضَلَ النّاسِ وَأَرْحَمَهُمْ، وَأَرْفَقَهُمْ فِي مُعَامَلَةِ أَهْلِه وَعِشْرَتِهِنّ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيث، حَيْثُ تَقُولُ أُمُّنَا عَائِشَةُ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا}:-كَانَ رَسُولُ الله- صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-يَخْصِفُ نَعْلَهُ}، أَيْ: يَخْرِزُهُ وَيُرَقّعُه، {وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ}، أَيْ: يُصْلِحُ مَا قُطِعَ مِنْهُ بِالْخَيْطِ لِيَلْتَئِم،{وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِه}، أَيْ: إِنّ النّبِيّ-

صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ- كانَ لَا يترَفّعُ عنْ مُساعدَةِ نسائِه في أعْمالِ الْبيْتِ وخدْمتهنّ، وَفي رِوَايَةٍ لأحْمدَ:{كَانَ بشرًا منَ الْبشرِ؛ يفْلي ثوْبهُ، ويحْلبُ شاتهُ، ويخْدمُ نفْسهُ.{

-وفي الْحديثِ: بيَانُ حُسْنِ عِشْرَةِ النّبيِّ -صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ- لأهْلِهِ وتواضعِهِ معهمْ.

(ز)لَاطِفْ ولَاعِبْ ودَاعِبْ زَوْجَتَكَ:

-أيُّهَا الزّوْجُ اعْلَمْ أنّ مُلَاطَفَةَ الزّوْجَةِ ومُلَاعَبَتَهَا ومُدَاعَبَتَهَا منْ حُسنِ الْعِشْرَةِ،وفيهَا التّأسّي بالنّبيِّ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-

الّذي أوْصَى بالنّسَاءِ خَيْرًا.

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى-في صَحِيحِهِ برقَمِ(5185)منْ حَديثِ أبي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تعالَى عَنْهُ-قالَ:قالَ رَسُولُ اللهِ-صلّى اللهُ عليْهِ وَسلّمَ-:{منْ كانَ يُؤْمنُ باللّهِ والْيَوْمِ الْآخرِ فلَا يُؤْذِي جارَهُ، واسْتَوْصُوا بالنّسَاءِ خيْرًا؛ فَإنّهُنّ خُلقْنَ منْ ضلَعٍ، وإنّ أعْوَجَ شَيْءٍ في الضّلَعِ أعْلَاهُ، فإنْ ذهبْتَ تُقيمُهُ كسرْتَهُ، وإنْ تركْتَهُ لمْ يزَلْ أعْوجَ، فاسْتَوْصُوا بالنّسَاءِ خيْرًا}.

-في هَذَا الْحَديثِ يُرْشِدُ النّبيُّ-صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّمَ أُمّتَهُ إلَى التّحَلّي بالْآدَابِ والْأخْلَاقِ الّتي تزيدُ الْأُلْفَةَ والْمَوَدّةَ بيْنَ الْمُسْلمينَ، ومنْهَا: عَدَمُ إيذَاءِ الْجَارِ؛ فيَقُولُ: منْ كَانَ يُؤمنُ باللهِ الّذي خلَقَهُ إيمَانًا كَاملًا، ويُؤمنُ باليَوْمِ الْآخرِ الّذي إلَيْهِ معَادُهُ، وفيه مُجَازَاتُهُ بعَمَلِهِ؛ فَلَا يُؤذِ جارَهُ بأيِّ نوْعٍ منَ الْإيذَاءِ، بلْ حثّ النّبيُّ -صلّى اللهُ علَيْهِ وسَلّمَ- عَلَى الْإحْسَانِ إلَى الْجَارِ، كَمَا ثبَتَ في روَايَاتِ هَذَا الْحَديثِ.

-وكَانَ النّبيُّ-صلّى اللهُ عليْهِ وسَلّمَ-يُوصِي الرّجَالَ بمُعَاشَرَةِ الْأهْلِ بالْمَعْرُوفِ ممّا أمرَ بهِ الْإسلْامُ، ولَمّا كانَ في خَلْقِ النّسَاءِ عوجًا بأصْلِ خلْقتهنّ، نبّهَ-صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ- عَلَى ذلكَ، فقَالَ:{اسْتَوْصُوا بالنّسَاءِ خَيْرًا}، يَعْني: تَوَاصَوْا فيمَا بيْنَكُمْ بالْإحْسَانِ إلَيْهِنّ؛ {فَإنّ الْمَرْأَةَ خُلقَتْ منْ ضلَعٍ}، جمْعُهُ ضُلُوعٌ، وَهيَ عِظَامُ الْجَنْبيْنِ، والْمَعْنى:





أنّ في خَلْقِهنّ عوجًا منْ أصلِ الْخلْقَة، {وَإنّ أعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضّلَعِ أعْلَاهُ}، فَوَصفَهَا بذَلكَ للمُبالَغة في وَصف الاعْوجَاجِ، وَللتّأكيد عَلَى مَعْنَى الْكسْرِ؛ لأنّ تعَذّرَ الْإقَامة في الْجهة الْعُلْيَا أمْرُه أظْهَرُ، وقيلَ: يحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ ذَلكَ مَثَلًا لأعْلَى الْمَرْأة؛ لأنّ أعلَاهَا رَأسُهَا، وَفيه لسَانُهَا، وَهُوَ الّذي ينْشَأُ منْهُ الاعْوجَاجُ، وقيلَ: {أعْوَجُ} هَاهُنَا منْ بَابِ الصّفَة، لَا منْ بَابِ التّفْضيل؛ لأنّ أفْعَلَ التّفْضيل لا يُصاغُ منَ الْألْوَانِ وَالعيُوب، {فَإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كسرتَه}، يعْني: إذَا أرَدتَ أنْ تُقيمَ الضّلَعَ وتَجْعَلَهُ مُستقيمًا فإنّهُ ينْكَسِرُ، وكَذَلكَ الْمَرْأةُ إنْ أرَدْتَ منْهَا الاسْتقَامَةَ التّامّةَ في الْخُلُق، أدّى الْأمْرُ إلَى كسْرِهَا، وكَسْرُهَا هُوَ طَلَاقُهَا، كَمَا في صَحيحِ مُسْلمٍ، {وإنْ تَركْتَه لَمْ يَزلْ أعْوَجَ، فَاستَوْصُوا بالنّسَاءِ}، يَعْني: أنّهُ لَا سَبيلَ إلّا بالصّبْرِ عَلَى هَذَا الاعْوجَاجِ، فيَجبُ الصّبْرُ عَلَيْه وَالْإحْسَانُ إليْهنّ، وحُسْنُ مُعَاشَرتهنّ معَ ذَلكَ.

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ أبُو دَاوُدَ-رَحمَهُ اللهُ تَعَالَى-في سُنَنه برقَمِ(2578)منْ حَديث أمِّ الْمُؤمنينَ عَائشَةَ-رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عنْهَا-، أنهَا كَانتْ مَعَ النّبيّ-صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- في سَفَرٍ قَالَتْ: {فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُه عَلَى رِجْلَيّ، فَلَمّا حَمَلْتُ اللّحم سَابَقْتُه فَسبقَني فَقَالَ: هَذه بتلْكَ السّبْقَة}.

-التّلَطّفُ وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ مَعَ الْأهْلِ منْ حُسْنِ الْخُلقِ الّذي عَلّمَنَا إيّاهُ النّبِيُّ-صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ.-

-وَفي هَذَا الْحَديث تُخْبرُ أمُّنَا عَائشَةُ -رَضيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-:{أنّهَا كَانَتْ مَعَ النّبيّ-صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-في سَفَرٍ}، أيْ: خَرجَتْ مَعَهُ في إحْدَى أسْفَارِه، قَالَتْ:{فَسَابَقْتُهُ}، أيْ: تَنَافَسْنَا في سبَاقٍ، {فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيّ}، أيْ:كُنْتُ أنَا السّابقَةَ وَالْمُتَقَدّمَةَ في سبَاقِ الْجَرْيِ عَلَى الْأرْجُلِ لَا عَلَى الدّوَابّ،{فلمّا حَمَلتُ اللّحمَ}، أيْ: زَادَ وَزْني وَسَمنْتُ، {سَابَقْتُهُ}، أيْ: أعَدْنَا الْمُنَافَسَةَ في سَفَرٍ آخرَ؛ {فَسَبَقَني}،أيْ:فكَانَ النّبيُّ- صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- هُوَ السّابِقَ هَذه الْمَرّة،فَقَالَ لَهَا النّبي-صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ

-حينَ رَبِحَ: {هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ}، أيْ: سَبَقْتُكِ كَمَا سَبَقْتِنِي مِنْ قَبْلُ، فَأَصْبَحْنَا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ جَمِيلِ مُعَاشَرَتِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَزْوَاجِهِ.
وَفِي الْحَدِيثِ: تَوَاضُعُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَلُطْفُهُ مَعَ أَهْلِهِ، وَبَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ.
-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(5079)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:{كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزَاةٍ، فَلَمَّا أَقْبَلْنَا تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ خَلْفِي، فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَانْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجْوَدِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: مَا يُعْجِلُكَ يَا جَابِرُ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَقَالَ: أَبِكْرًا تَزَوَّجْتَهَا، أَمْ ثَيِّبًا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: هَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فَقَالَ: أَمْهِلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ. قَالَ: وَقَالَ: إِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ}.
-الزَّوَاجُ فِطْرَةٌ وَسُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعَالَى الْكَوْنِيَّةِ، وَلَهُ مَصَالِحُ شَرْعِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، وَقَدِ اهْتَمَّ شَرْعُنَا الْحَنِيفُ بِتِلْكَ الْفِطْرَةِ، وَحَثَّ عَلَيْهَا، وَرَغَّبَ فِيهَا، وَدَلَّنَا عَلَى كَيْفِيَّةِ الاخْتِيَارِ، وَأَسْبَابِ الْحِفَاظِ عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ.
-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: {كُنَّا}، أيْ: الصَّحَابَةُ، مَعَ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي {غَزَاةٍ}، أيْ: غَزْوَةٍ أَوْ مَعْرَكَةٍ،{فَلَمَّا أَقْبَلْنَا}، أيْ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا وَعُدْنَا رَاجِعِينَ،{تَعَجَّلْتُ}، أيْ: كُنْتُ مُسْتَعْجِلًا، وَأَسْرَعْتُ السَّيْرَ،{عَلَى بَعِيرٍ لِي}،أيْ:عَلَى جَمَلٍ مِلْكٍ لِي،{قَطُوفٍ}، أيْ: بَطِيءِ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الْخَطْوِ، {فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ خَلْفِي}، أيْ: فَأَدْرَكَنِي أَحَدٌ مِنْ وَرَائِي،{فَنَخَسَ بَعِيرِي}،أيْ:طَعَنَ جَمَلِي فِي مُؤَخِّرَتِهِ لِيُسْرِعَ مِنْ سَيْرِهِ،{بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ}، وَالْعَنَزَةُ





هِيَ عَصاً قَصِيرةٌ تُشْبِهُ الرُّمْحَ، فِي آخرِهَا حَدِيدَةٌ عَرِيضَةٌ،{فَانْطَلَقَ بَعِيرِي}، أَيْ: فَأسرْعَ جملِي السّيْرَ، واشْتدّ فِي الْحرَكَةِ،{كأَجْوَدِ مَا أنْتَ راءٍ منَ الْإبلِ} أَيْ: كأَفْضلِ وأَسْرعِ مَا ترَى منَ الْجمالِ. قَالَ جَابرٌ:{فَالْتَفتُّ}، أيْ: أَدرْتُ رأْسِي لِأنْظُرَ منَ الّذي طَعنَ جَملِي فَأسْرَعَ سَيْرَهُ،{فَإذَا أنَا برَسُولِ اللهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–}،أيْ: فوجَدْتُهُ رَسُولَ اللّهِ–صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ– {فَقَالَ}، أيْ: النّبيُّ–صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ–: {مَا يُعْجِلُكَ يَا جَابرُ؟}، أيْ: مَا سَبَبُ استعْجَالِكَ وإسرَاعِكَ فِي السّيْرِ؟ {قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إنّي حَدِيثُ عهْدٍ بِعُرْسٍ}، أيْ: إنّي قَدْ تزَوّجْتُ قَرِيبًا، فَأَنَا مَا زِلْتُ عَرُوسًا، {فَقَالَ}، أيْ: النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ–: {أَبِكْرًا تزوجْتَها أمْ ثَيّبًا؟}، أيْ: هَلْ تَزوّجْتَ بِكْرًا، وهِيَ الّتِي لمْ تتزوجْ منْ قبْلُ، أمْ هلْ تزوجْتَ ثَيّبًا، وَهِيَ الّتِي سَبَقَ لَهَا الزّوَاجُ؟ {قَالَ}،أيْ:جابرٌ،{قُلْتُ: بَلْ ثَيّبًا} أيْ:تزوّجْتُ امْرَأَةً قَدْ تَزَوّجَتْ مِنْ قَبْلُ، وَلَيْسَتْ بِكْرًا، {قَالَ}، أيْ: النّبيُّ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ–:

{هَلّا جَارِيَةً}، أيْ: لِمَاذَا لَمْ تَتَزَوّجْ بِكْرًا؟! فَإنّ ذَلِكَ أفْضَلُ؛ {تُلَاعِبُهَا وتُلَاعِبُكَ}، أيْ: تَلْعَبُ مَعَهَا، وَتَلْعَبُ معَكَ، وتُلَاطِفُهَا وَتُلَاطِفُكَ، {قَالَ}، أيْ: جابرٌ،{فَلَمّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ}، أيْ: فَلَمّا رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ، {ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ}، أيْ: هَمَمْنَا أنْ ندْخُلَ علَى أهْلِينا،فقَالَ النّبيُّ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسلّمَ–: {أَمْهِلُوا}، أيْ:

اصْبِرُوا، ولَا تَدْخُلُوا الْآنَ علَى أهْلِيكُمْ،{حَتّى نَدْخُلَ لَيْلًا}، أيْ: سَوْفَ نَدْخُلُ علَى أهْلِينا باللّيلِ ،ولَيْسَ الْآنَ،{أيْ عشَاءً}، أيْ: بعْدَ صلَاةِ الْعشَاءِ؛ { كَيْ تَمْتَشِطَ }، أيْ: لِكَيْ تُهَذّبَ شَعْرَ رَأسِهَا وتُجَمّلَهُ، {الشّعِثَةُ}، أيْ: الّتِي تَفَرّقَ شَعْرُ رأسِهَا، فَأصْبَحَ قَبِيحَ الْهَيْئَةِ،{وَتَسْتَحِدّ}،أيْ: تَسْتَخْدِمُ الْمُوسَى الْحَدِيدَ لِإزَالَةِ شَعْرِ الْعَانَةِ،{الْمُغِيبَةُ}،أيْ:الّتِي غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَالْمَقْصُودُ:

أنّ النّبيّ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–مَنَعَهُمْ أنْ يُسرِعُوا الدُّخُولَ عَلَى أهْلِيهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أنْ يَنْتَظِرُوا إلَى اللّيلِ؛ لِكَيْ يُعْطُوا النّسَاءَ فُرْصَةً لِكَيْ يَتَجَهّزْنَ لَهُمْ، وَيُصْلِحْنَ مِنْ هَيْئَتِهِنّ





وَشُعُورِهِنّ، ويتجملْنَ لَهُمْ، ويستعددنَ لاستقبالِهِمْ،{قال}، أي: جابرٌ: {وقَالَ}،أيْ:النَّبِيُّ-صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: {إِذَا قدمتَ}، أيْ: إِذَا دخلْتَ علَى أهلِكَ، {فالْكَيْسَ الْكَيْسَ}، قيلَ:

يَعْنِي الجماعَ، كَأَنّه يحثُّه عَلَى الْجِماعِ، وقيلَ: بَلْ أرَادَ مَا هُوَ أخصُّ مِنْ ذَلكَ، وَهُوَ الْوَلَدُ، فكَأنّهُ يُرغّبُه فِي الْجِماعِ ابْتغاءِ الْوَلَد، وقيلَ: هُوَ الْعقْلُ والْحلْمُ، كأنّه يَقُولُ لَهُ: عَلَيْكَ بِالْعقلِ والْحلمِ إِذَا دخلْتَ علَى أهْلِكَ، فَرَاعِ حالَهُمْ مِنْ حَيْثُ الطُّهْرُ وَالْحَيْضُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ:حسنُ عِشْرةِ النّبِيّ - صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- لأصحابِهِ، واهتِمامُهُ بشؤونهم، وسؤالُهُ عَلَيْهِمْ.

-وَفِيهِ: فَضْلُ نِكاحِ الْبِكْرِ وفَضِيلَةُ الْمُلَاطَفَةِ والْمُلَاعَبَةِ للزَّوْجَةِ.

-وَفِيهِ: فَضْلُ جابرٍ- رَضِيَ اللَّهُ تعالَى عنْهُ-، حيْثُ خرجَ للجِهادِ وَهُوَ حدِيثُ عَهْدٍ بعُرسٍ

-وَفِيهِ: بَيَانُ بَعْضِ آدَابِ الْعَائِدِ مِنَ الْغَزْوِ وَالسَّفَرِ.

(ح)تَزَيّنْ لِزَوْجَتِكَ وتَطيّبْ لَهَا:

-أَيُّهَا الزّوْجُ كَمَا تُحِبُّ أنْ تتزينَ لكَ زوجتُكَ وتتطيّبَ فلابُدَّ أنْ تتزيّنَ أنْتَ لَهَا وتتطيّبَ فَهَذا مِنْ حقّها عَلَيْكَ لِيَدُومَ السّكَنُ وتتأكّدَ الْمودّةُ.

-أخْرَجَ الْإمَامُ البيْهَقِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ برقم(٤٨٢/٧)من حديث عبْدِ اللهِ بْنِ عبّاسٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:{إِنّي أُحِبُّ أَنْ أتَزيّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تتزيّنَ لِي الْمَرْأَةُ، لأَنّ اللّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَلَهُنّ مِثْلُ الّذِي عَلَيْهِنّ بِالْمَعْرُوفِ.{

-وَلِله درُّ الْعَلّامَة بْنِ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -حَيْثُ يَقُولُ عَن حُبّ النّبِيّ-صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ- للطيّبِ عِنْدَ شرحِهِ لِحَدِيثِ النّبِيّ-صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ-:{حبّبَ إِلَيّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ والطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرّةُ عَيْنِي فِي الصّلَاةِ}:{لَمّا كَانَتِ الرّائِحَةُ الطّيّبَةُ غِذَاءَ

الرُّوحِ، وَالرُّوحُ مَطِيَّةُ الْقُوَى، وَالْقُوَى تَزْدَادُ بِالطِّيبِ، وَهُوَ يَنْفَعُ الدِّمَاغَ وَالْقَلْبَ، وَسَائِرَ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ، وَيَسُرُّ النَّفْسَ، وَيَبْسُطُ الرُّوحَ، وَهُوَ أَصْدَقُ شَيْءٍ لِلرُّوحِ، وَأَشَدُّهُ مُلَاءَمَةً لَهَا، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّوحِ الطَّيِّبَةِ نِسْبَةٌ قَرِيبَةٌ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَشْيَاءِ الْمَحْبُوبَةِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى أَطْيَبِ الطَّيِّبِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ. وَفِي الطِّيبِ مِنَ الْخَاصِّيَّةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُحِبُّهُ وَالشَّيَاطِينَ تَنْفِرُ عَنْهُ، وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الشَّيَاطِينِ الرَّائِحَةُ الْمُنْتِنَةُ الْكَرِيهَةُ، فَالْأَرْوَاحُ الطَّيِّبَةُ تُحِبُّ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ، وَالْأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ تُحِبُّ الرَّائِحَةَ الْخَبِيثَةَ، وَكُلُّ رُوحٍ تَمِيلُ إِلَى مَا يُنَاسِبُهَا، فَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْأَعْمَالَ وَالْأَقْوَالَ وَالْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ وَالْمَلَابِسَ وَالرَّوَائِحَ، إِمَّا بِعُمُومِ لَفْظِهِ، أَوْ بِعُمُومِ مَعْنَاهُ}.(انْظُرْ:"زاد المعاد":٤/٢٥٦).

(ط)استَمِعْ لِزَوْجَتِكَ فِي عَرْضِ مُشْكِلَاتِهَا:

-أَيُّهَا الزَّوْجُ أَحْسِنْ الِاسْتِمَاعَ إِلَى زَوْجَتِكَ عِنْدَ عَرْضِ مُشْكِلَاتِهَا،فَنِصْفُ الْعِلَاجِ فِي الِاسْتِمَاعِ،وَيُسَاهِمُ الِاسْتِمَاعُ فِي تَطْيِيبِ خَاطِرِ الزَّوْجَةِ مِمَّا يُثْمِرُ الْحُبَّ وَالرَّحْمَةَ وَالسَّكَنَ وَالْمَوَدَّةَ وَكَسْبَ قَلْبِ الزَّوْجَةِ.

-فَقَدْ اسْتَمَعَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–وَهِيَ تُجَادِلُ فِي أَمْرِ زَوْجِهَا أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– الَّذِي ظَاهَرَ مِنْهَا وَقَالَ لَهَا:أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي،فَاسْتَمَعَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بَلْ وَاسْتَمَعَ لَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْزَلَ فِيهَا سُورَةَ الْمُجَادَلَةِ لِيُبَيِّنَ لَهَا حُكْمَ الظِّهَارِ فِي الْإِسْلَامِ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)

الّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(المجادلة:١-٤).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ السَّابِقَة : { نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ اشْتَكَتْهُ زَوْجَتُهُ إِلَى اللَّهِ، وَجَادَلَتْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ، بَعْدَ الصُّحْبَةِ الطَّوِيلَةِ، وَالْأَوْلَادِ، وَكَانَ هُوَ رَجُلًا شَيْخًا كَبِيرًا، فَشَكَتْ حَالَهَا وَحَالَهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَكَرَّرَتْ ذَلِكَ، وَأَبْدَتْ فِيهِ وَأَعَادَتْ.

-فَقَالَ تَعَالَى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا } أَيْ: تَخَاطُبَكُمَا فِيمَا بَيْنَكُمَا، { إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ } لِجَمِيعِ الْأَصْوَاتِ، فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، عَلَى تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ.

{ بَصِيرٌ } يُبْصِرُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ، عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ كَمَالِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَإِحَاطَتِهِمَا بِالْأُمُورِ الدَّقِيقَةِ وَالْجَلِيلَةِ، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُزِيلُ شَكْوَاهَا، وَيَرْفَعُ بَلْوَاهَا، وَلِهَذَا ذَكَرَ حُكْمَهَا، وَحُكْمَ غَيْرِهَا عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ.

-{ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ{ الْمُظَاهَرَةُ مِنَ الزَّوْجَةِ: أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِزَوْجَتِهِ: (أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي) أَوْ غَيْرِهَا مِنْ مَحَارِمِهِ، أَوْ (أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ) وَكَانَ الْمُعْتَادُ عِنْدَهُمْ فِي هَذَا لَفْظَ (الظَّهْرِ) وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللهُ (ظِهَارًا) فَقَالَ: { الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ } أَيْ:

كَيْفَ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، فَيُشَبِّهُونَ أَزْوَاجَهُمْ بِأُمَّهَاتِهِم اللَّاتِي وَلَدْنَهُمْ؟ وَلِهَذَا عظَّمَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَقَبَّحَهُ، فَقَالَ: { وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا } أَيْ: قَوْلًا شَنِيعًا، { وَزُورًا } أَيْ: كَذِبًا.

{ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ } عَمَّنْ صَدَرَ مِنْهُ بَعْضُ الْمُخَالَفَاتِ، فَتَدَارَكَهَا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

-{ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا } اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى الْعَوْدِ، فَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْعَزْمُ عَلَى جِمَاعِ مَنْ ظَاهَرَ مِنْهَا، وَأَنَّهُ بِمُجَرَّدِ عَزْمِهِ تَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ الْمَذْكُورَةُ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا، أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ فِي الْكَفَّارَةِ أَنَّهَا تَكُونُ قَبْلَ الْمَسِيسِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِمُجَرَّدِ الْعَزْمِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ حَقِيقَةُ الْوَطْءِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: { ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا } وَالَّذِي قَالُوا إِنَّمَا هُوَ الْوَطْءُ.

وَعَلَى كُلٍّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ { فَـ } إِذَا وُجِدَ الْعَوْدُ، صَارَ كَفَّارَةُ هَذَا التَّحْرِيمِ { تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ } مُؤْمِنَةٍ كَمَا قُيِّدَتْ فِي آيَةٍ أُخْرَى ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ سَالِمَةً مِنَ الْعُيُوبِ الْمُضِرَّةِ بِالْعَمَلِ.

{ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا } أَيْ: يَلْزَمُ الزَّوْجَ أَنْ يَتْرُكَ وَطْءَ زَوْجَتِهِ الَّتِي ظَاهَرَ مِنْهَا حَتَّى يُكَفِّرَ بِرَقَبَةٍ.

{ ذَلِكُمْ } الْحُكْمُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ، { تُوعَظُونَ بِهِ } أَيْ: يُبَيِّنُ لَكُمْ حُكْمَهُ مَعَ التَّرْهِيبِ الْمَقْرُونِ بِهِ، لِأَنَّ مَعْنَى الْوَعْظِ ذِكْرُ الْحُكْمِ مَعَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، فَالَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُظَاهِرَ، إِذَا ذَكَرَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ عِتْقُ رَقَبَةٍ كَفَّ نَفْسَهُ عَنْهُ، { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }.

-{ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ } رَقَبَةً يُعْتِقُهَا، بِأَنْ لَمْ يَجِدْهَا أَوْ لَمْ يَجِدْ ثَمَنَهَا { فَـ } عَلَيْهِ { صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ } الصِّيَامَ { فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا } إِمَّا بِأَنْ يُطْعِمَهُمْ مِنْ قُوتِ بَلَدِهِ مَا يَكْفِيهِمْ ، كَمَا هُوَ قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَإِمَّا

بأَنْ يُطْعِمَ كُلّ مِسْكِينٍ مُدّ بُرّ أَوْ نِصفَ صَاعٍ مِنْ غَيْرِهِ مِمّا يُجْزِي فِي الْفِطْرَةِ، كَمَا هُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ أُخْرَى.

ذَلِكَ الْحُكْمُ الّذِي بَيّنّاهُ لَكُمْ، وَوَضّحْنَاهُ لَكُمْ { لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ } وَذَلِكَ بِالْتِزَامِ هَذَا الْحُكْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، فَإِنّ الْتِزَامَ أَحْكَامِ اللّهِ، وَالْعَمَلَ بِهَا مِنَ الْإِيمَانِ، بَلْ هِيَ الْمَقْصُودَةُ وَمِمّا يَزِيدُ بِهِ الْإِيمَانُ وَيَكْمُلُ وَيَنْمُو.

{ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ } الّتِي تَمْنَعُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا، فَيَجِبُ أَنْ لَا تُتَعَدّى وَلَا يُقصرُ عَنْهَا. { وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ، عِدّةُ أَحْكَامٍ:

-منها:لُطْفُ اللّهِ بِعِبَادِهِ وَاعْتِنَاؤُهُ بِهِمْ،حَيْثُ ذَكَرَ شَكْوَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْمُصَابَةِ، وَأَزَالَهَا وَرَفَعَ عَنْهَا الْبَلْوَى، بَلْ رَفَعَ الْبَلْوَى بِحُكْمِهِ الْعَامّ لِكُلّ مَنِ ابْتُلِيَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقَضِيّةِ.

-وَمِنْهَا:أَنّ الظّهَارَ مُخْتَصٌ بِتَحْرِيمِ الزّوْجَةِ، لِأَنّ اللّهَ قَالَ { مِنْ نِسَائِهِمْ } فَلَوْ حَرّمَ أَمَتَهُ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ظِهَارًا، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ تَحْرِيمِ الطّعَامِ وَالشّرَابِ، تَجِبُ فِيهِ كَفّارَةُ الْيَمِينِ فَقَطْ.

-وَمِنْهَا: أَنّهُ لَا يَصلُحُ الظّهَارُ مِن امْرَأَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوّجَهَا، لِأَنّهَا لَا تَدْخُلُ فِي نِسَائِهِ وَقْتَ الظّهَارِ، كَمَا لَا يَصِحّ طَلَاقُهَا، سَوَاءٌ نَجّزَ ذَلِكَ أَوْ عَلّقَهُ.

-وَمِنْهَا: أَنّ الظّهَارَ مُحرمٌ، لِأَنّ اللّهَ سَمّاهُ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا.

-وَمِنْهَا : تَنْبِيهُ اللّهِ عَلَى وَجْهِ الْحُكْمِ وَحِكْمَتِهِ، لِأَنّ اللّهَ تَعَالَى قَالَ: { مَا هُنّ أُمّهَاتِهِمْ }.

-وَمِنْهَا: أَنّهُ يُكْرَهُ لِلرّجُلِ أَنْ يُنَادِيَ زَوْجَتَهُ وَيُسَمّيَهَا بِاسْمِ مَحَارِمِهِ، كَقَوْلِهِ { يَا أُمّي } { يَا أُخْتِي } وَنَحْوِهِ، لِأَنّ ذَلِكَ يُشْبِهُ الْمُحرمَ.

-وَمِنْهَا: أَنّ الْكَفّارَةَ إِنّمَا تَجِبُ بِالْعَوْدِ لِمَا قَالَ الْمُظَاهِرُ، عَلَى اخْتِلَافِ الْقَوْلَيْنِ السّابِقَيْنِ، لَا بِمُجَرّدِ الظّهَارِ.





-وَمنْهَا:أنّهُ يُجْزِئ فِي كَفّارَةِ الرّقَبَةِ، الصّغِيرُ وَالْكِبِيرُ، وَالذّكَرُ وَالْأنْثَى، لِإطْلَاقِ الْآيَةِ فِي ذَلِكَ.

-وَمنْهَا:أنّه يَجِبُ إخْرَاجُهَا إنْ كَانَتْ عِتْقًا أوْ صِيَامًا قَبلَ الْمَسِيسِ، كَمَا قَيّدَهُ اللّهُ. بِخِلَافِ كَفّارَةِ الْإطْعَامِ، فَإنّهُ يَجُوز الْمَسِيسُ وَالْوَطْءُ فِي أثْنَائِهَا.

-وَمنْهَا:أنّهُ لَعَلّ الْحِكْمَةَ فِي وُجُوبِ الْكَفّارَةِ قَبْلَ الْمَسِيسِ، أنّ ذَلِكَ أدْعَى لِإخْرَاجِهَا، فَإنّهُ إذَا اشْتَاقَ إلَى الْجِمَاعِ، وَعَلِمَ أنّهُ لَا يُمَكّنُ مِنْ ذَلِكَ إلّا بَعْدَ الْكَفّارَةِ، بَادَرَ لِإخْرَاجِهَا.

-وَمنْهَا:أنّهُ لَا بُدّ مِنْ إطْعَامِ سِتّينَ مِسْكِينًا، فَلَوْ جَمَعَ طَعَامَ سِتّينَ مِسْكِينًا، وَدَفَعَهَا لِوَاحِدٍ أوْ أكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، دُونَ السّتّينَ لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ، لِأنّ اللهَ قَالَ: { فَإطْعَامُ سِتّينَ مِسْكِينًا }.

-أخْرَجَ الْإمَامُ ابْنُ مَاجَه–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِه بِرَقَمِ(2063)مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَ:قَالَتْ عَائِشَةُ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–:{تَبَارَكَ الّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلّ شَيْءٍ إنّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيّ بَعْضُهُ وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إلَى رَسُولِ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتّى إذَا كَبِرَتْ سِنّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنّي اللّهُمّ إنّي أَشْكُو إلَيْكَ فَمَا بَرِحَتْ حَتّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلَى اللّهِ}.

-وَانْظُرْ أيّهَا الزّوْجُ إلَى سَيّدِ الْخَلْقِ وَخَلِيلِ الْحَقّ وَخَاتَمِ الْأنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمّدٍ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فِي حُسْنِ اسْتِمَاعِهِ لِأهْلِهِ مِنْ خِلَالِ حَدِيثِ أمّ زَرْعٍ.

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِه–كِتَابُ النّكَاحِ–بَاب حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأهْلِ بِرَقَمِ(٤٨٩٣)مِنْ حَدِيثِ أُمّ الْمُؤْمنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا– قَالَتْ:{ جَلَسَ إحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنّ شَيْئًا

قَالَتْ الْأُولَى:

زَوْجِي لَحمُ جَمَلٍ غثٍّ عَلَى رَأْسِ جبَلٍ لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ.
قَالَتْ الثّانِيَةُ:
زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبَرَهُ إِنّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ.
قَالَتْ الثّالِثَةُ:
زَوْجِي الْعَشَنّقُ إِنْ أَنْطِقْ أُطَلّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلّقْ.
قَالَتْ الرّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ.
قَالَتْ الْخَامِسَةُ:
زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ وَلَا يَسْأَلُ عَمّا عَهِدَ.
قَالَتْ السّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفّ وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفّ وَإِنْ اضْطَجَعَ الْتَفّ وَلَا يُولِجُ الْكَفّ لِيَعْلَمَ الْبَثّ.
قَالَتْ السّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجّكِ أَوْ فَلّكِ أَوْ جَمَعَ كُلّا لَكِ.
قَالَتْ الثّامِنَةُ :زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ وَالرّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ.
قَالَتْ التّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النّجَادِ عَظِيمُ الرّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنْ النّادِ.
قَالَتْ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنّ أَنّهُنّ هَوَالِكُ .
قَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ وَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَاسَ مِنْ حُلِيّ أُذُنَيّ وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيّ وَبَجّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيّ نَفْسِي وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقّ فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبّحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبّحُ وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنّحُ أُمّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلّ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمّهَا وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي

زَرْعٍ لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا قَالَتْ :خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ.قَالَتْ عَائِشَةُ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ}.

-شرح الحديث :

-(أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ) أَيْ أَتَانِي بِالْحُلِيِّ فِي أُذُنَيَّ فَهُوَ يَتَدَلَّى مِنْهَا .

-(وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ) مَعْنَاهُ أَسْمَنَنِي.

-(وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي) مَعْنَاهُ وَعَظَّمَنِي فَعَظُمْتُ عِنْدَ نَفْسِي . يُقَالُ : فُلَانٌ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا أَيْ يَتَعَظَّمُ وَيَفْتَخِرُ .

-(وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ) أَرَادَتْ أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَابَ غَنَمٍ لَا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَإِبِلٍ ، وَالْعَرَبُ لَا يُعَظِّمُونَ أَصْحَابَ الْغَنَمِ ، وَإِنَّمَا يُعَظِّمُونَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ .

-وَأَمَّا قَوْلُهَا : (بِشِقٍّ) يُحْتَمَلُ أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مُرَادَهَا أَيْ بِشَظَفٍ مِنْ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ . وَقَوْلُهَا : (وَدَائِسٍ) هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعَ فِي بَيْدَرِهِ . يُقَالُ : دَاسَ الطَّعَامَ دَرَسَهُ.

-قَوْلُهَا : (وَمُنَقٍّ) الْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يُنَقِّي الطَّعَامَ أَيْ يُخْرِجُهُ مِنْ قُشُورِهِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَاحِبُ زَرْعٍ ، وَيَدُوسُهُ وَيُنَقِّيهِ .

-قَوْلُهَا (فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ) مَعْنَاهُ لَا يُقَبِّحُ قَوْلِي فَيَرُدُّ ، بَلْ يَقْبَلُ مِنِّي.

-وَمَعْنَى (أَتَصَبَّحُ) أَنَامُ الصُّبْحَةَ ، وَهِيَ بَعْدَ الصَّبَاحِ ، أَيْ أَنَّهَا مَكْفِيَّةٌ بِمَنْ يَخْدُمُهَا فَتَنَامُ .

-وَقَوْلُهَا : (فَأَتَقَنّح) مَعْنَاهُ أُرْوَى حَتّى أَدَعَ الشّرَابَ مِنْ شِدّةِ الرّيّ.

-قَوْلُهَا : (عُكُومُهَا رَدَاحٌ) الْعُكُومُ هِيَ الْأَوْعِيَةُ الّتِي فِيهَا الطّعَامُ وَالْأَمْتِعَةُ ، وَرَدَاحٌ أَيْ عِظَامٌ كَبِيرَةٌ.

-قَوْلُهَا : (وَبَيْتُهَا فَسَاح) أَيْ وَاسِعٌ.

-قَوْلُهَا : (مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ) مُرَادُهَا أَنّهُ خَفِيفُ اللّحْمِ ، وَهُوَ مِمّا يُمْدَحُ بِهِ الرّجُلُ.

-قَوْلُهَا : (وَتُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ) الْجَفْرَةُ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ ، وَهِيَ مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفُصِلَتْ عَنْ أُمّهَا . وَالْمُرَادُ أَنّهُ قَلِيلُ الْأَكْلِ ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ .

-قَوْلُهَا : (طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمّهَا) أَيْ مُطِيعَةٌ لَهُمَا مُنْقَادَةٌ لِأَمْرِهِمَا.

-قَوْلُهَا : (وَمِلْءُ كِسَائِهَا) أَيْ مُمْتَلِئَةُ الْجِسْمِ سَمِينَةٌ .

-قَوْلُهَا : (وَغَيْظُ جَارَتِهَا) قَالُوا : الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا ضَرّتُهَا ، يَغِيظُهَا مَا تَرَى مِنْ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا وَعِفّتِهَا وَأَدَبِهَا .

-قَوْلُهَا : (لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا) أَيْ لَا تُشِيعُهُ وَتُظْهِرُهُ ، بَلْ تَكْتُمُ سِرّنَا وَحَدِيثَنَا كُلّهُ

-قَوْلُهَا : (وَلَا تُنَقّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا) الْمِيرَةُ الطّعَامُ الْمَجْلُوبُ ، وَمَعْنَاهُ لَا تُفْسِدُهُ ، وَلَا تُفَرّقُهُ ، وَلَا تَذْهَبُ بِهِ وَمَعْنَاهُ وَصْفُهَا بِالْأَمَانَةِ .

-قَوْلُهَا : (وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا) أَيْ لَا تَتْرُكُ الْكُنَاسَةَ وَالْقُمَامَةَ فِيهِ مُفَرّقَةً كَعُشِّ الطّائِرِ ، بَلْ هِيَ مُصْلِحَةٌ لِلْبَيْتِ ، مُعْتَنِيَةٌ بِتَنْظِيفِهِ.

-قَوْلُهَا : (وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ) هُوَ جَمْعُ وَطْبٍ وَهِيَ سِقْيَةُ اللّبَنِ الّتِي يُمْخَضُ فِيهَا .

-قَوْلُهَا : (يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمّانَتَيْنِ) الْمُرَادُ بِالرُّمّانَتَيْنِ هُنَا ثَدْيَاهَا.

-قَوْلُهَا : (فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًا) (سَرِيًّا) مَعْنَاهُ سَيّدًا شَرِيفًا ، وَقِيلَ : سَخِيًا ، (شَرِيًّا) هُوَ الْفَرَسُ الْفَائِقُ الْخِيَارُ .

قَوْلُهَا : (وَأَخَذَ خَطِّيًا) هُوَ الرُّمْحُ.





-قَولُهَا : (وَأَرَاحَ عَلَيّ نعمًا ثريًّا) أيْ أَتَى بهَا إِلَى مَوضعِ مبيتِهَا . وَالنّعَمُ الْإِبلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَم ،وَالثّرِيّ الْكَثِير مِنْ الْمَال وَغَيْره.

-قَولُهَا : (وَأَعْطَانِي مِنْ كُلّ رَائِحَة زَوْجًا) فَقَوْلُهَا (مِنْ كُلّ رَائِحَة) أَيْ ممّا يَرُوحُ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعَبِيد . وقَوْلهَا (زَوْجًا) أَيْ اِثْنَيْنِ ، وَيَحْتَمِل أَنّهَا أَرَادَتْ صِنْفًا ، وَالزّوْجُ يَقَعُ عَلَى الصِّنْف.

-قَوْلُهُ : (مِيرِي أَهْلَك) أَيْ أَعْطِيهِمْ وَافْضُلِي عَلَيْهِمْ وَصِلِيهِمْ.

قَوْلُهُ(كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمّ زَرْعٍ)فَمَقْصُودُهُ- صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- بِقَوْلِهِ :(كُنْتُ لَك كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمّ زَرْعٍ) يَعْنِي فِي حُسْنِ الْعِشْرَة ،وَكَرَمِ الصُّحْبَة ، وَدَوَامِ الْمَحَبّةِ وَالْأُلْفَة ، وَأَكّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِه-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ:(إِلّا أَنّهُ طَلّقَهَا وَإِنّي لَا أُطَلّقُك).

-فَيَا أَيُّهَا الزّوْجُ اسْتَمِعْ لِزَوْجَتِك فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَسَبَبِ السّكَنِ وَالْمَوَدّةِ وَكَسْبِ قَلْبِهَا .

•هَذَا وَاللّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



٢- 

مَا هِيَ أَنْوَاعُ السِّحْرِ؟



الْحَمْدُ للّه وحدَهُ،وَالصلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ. أَمّا بَعْدُ:
مِنَ الْمَعْلُومِ أَنّ السّحْرَ هُوَ كُلُّ مَا خَفِيَ سَبَبُهُ،وَجَرَى عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ،فَهُوَ بِمَثَابَةِ التّمْوِيهِ وَالْخِدَاعِ وَالتّأْثِيرِ عَلَى الْعَيْنِ لِتَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا،وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الْعَزَائِمِ وَالْعُقَدِ وَالطّلَاسِمِ وَيُؤَثِّرُ





عَلَى قَلْبِ الْمَسْحُورِ وبَدَنِه فَيُمرِضُ ويَقْتُلُ ويُفرِّقُ بيْنَ الْأَحِبَّةِ ،وهَذِهِ الْآثَارِ لَا تَحْدُثُ إلّا بِأمرِ اللّهِ تَعَالَى كنَوْعٍ مِنْ أنْوَاعِ الابْتِلَاءِ للتّطْهِيرِ أوْ لرِفْعِ الدّرَجَاتِ.

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}.(البقرة:١٠٢).

-ومِنْ خِلَالِ تَدبُّرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ يَتّضِحُ لَنَا أنّ للسِّحْرِ أنْوَاعًا ثَلَاثَةً رَئِيسَةً هِيَ:

-أوّلًا:سِحرُ التّخْيِيلِ:

سِحْرُ التّخيُّلِ أو التّخْيِيلِ بِأنْ يَعمَدَ السّاحِرُ إلَى التّأثِيرِ عَلَى الْبَصَرِ لِيرَى الشّئَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِه،كمَا فعَلَ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ.

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}.(الأعراف:١١٦).

-أيْ: قَالَ لَهُمْ مُوسَى–عَلَيْهِ السّلَامُ– أَلْقُوا مَا أنتُمْ مُلْقُونَ أوّلًا، فلَمّا أَلْقَوْا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْحِبَالِ والْعِصِيِّ:{سَحَرُوا أَعْيُنَ النّاسِ} أيْ: خَيّلُوا إلَى الْأبْصَارِ أنّ مَا فَعَلُوهُ لَهُ حَقِيقَةٌ فِي الْخَارِجِ مَعَ أنّهُ لَمْ يَكُنْ إلّا مُجَرّدَ صَنْعَةٍ وخَيَالٍ،ولِذَا لَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ سَحَرُوا النّاسَ.

-وَقَوْلُهُ:{واسْتَرْهَبُوهُمْ} أيْ: خَوّفُوهُمْ وأفْزَعُوهُمْ بِمَا فَعَلُوا مِنَ السّحْرِ. {وَجَاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}أيْ: فِي بَابِ السِّحْرِ، أوْ فِي عَيْنِ مَنْ رَآه، فَإنّهُ أَلْقَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَصَاهُ، فَصَارَتْ كَأنّهَا ثَعَابِين.





-فطَمْأنَ اللّهُ تَعَالَى نَبيّهُ مُوسَى- عَلَيْهِ السّلَامُ-وَأمرَهُ بِأنْ يُلْقِيَ عَصاهُ لِبيَانِ الْفَرْقِ بيْنِ السّحْرِ وَالْحَقِيقَةِ.

-فَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{قُلْنَا لَا تَخفْ إِنّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السّحَرَةُ سُجّدًا قَالُوا آمَنّا بِرَبّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ}.(طه:٦٨-٧٠).

-وَقَوْلُهُ:{قُلْنَا لَا تَخفْ إِنّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قُلْنَا لِمُوسَى إِذْ أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً-وَهُوَ الْخَوْفُ الْجِبِلّي الطّبْعِيُّ- :{لَا تَخَفْ إِنّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} عَلَى هَؤُلَاءِ السّحَرَةِ، وَعَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ، وَالْقَاهِرُ لَهُمْ.

-{ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ } أَيْ: عَصَاكَ { تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } أَيْ: كَيْدُهُمْ وَمَكْرُهُمْ، لَيْسَ بِمُثْمِرٍ لَهُمْ وَلَا نَاجِحٍ، فَإِنّهُ مِنْ كَيْدِ السّحَرَةِ، الّذِينَ يُمَوّهُونَ عَلَى النّاسِ، وَيُلَبّسُونَ الْبَاطِلَ، وَيُخَيّلُونَ أَنّهُمْ عَلَى الْحَقّ، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَتَلَقّفَتْ مَا صَنَعُوا كُلّهُ وَأَكَلَتْهُ، وَالنّاسُ يَنْظُرُونَ لِذَلِكَ الصّنِيعِ، فَعَلِمَ السّحَرَةُ عِلْمًا يَقِينًا أَنّ هَذَا لَيْسَ بِسِحْرٍ، وَأَنّهُ مِنَ اللّهِ، فَبَادَرُوا لِلْإِيمَانِ.

-فَقَوْلُهُ:{فَأُلْقِيَ السّحَرَةُ سُجّدًا قَالُوا آمَنّا بِرَبّ هَارُونَ وَمُوسَى}.

أيْ:فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَبَلَعَتْ وَأَبْطَلَتْ مَا صَنَعُوا، فَظَهَرَ الْحَقّ وَقَامَتِ الْحُجّةُ عَلَيْهِمْ. فَأَلْقَى السّحَرَةُ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ سَاجِدِينَ وَقَالُوا: آمَنّا بِرَبّ هَارُونَ وَمُوسَى، لَوْ كَانَ هَذَا سِحْرًا مَا غَلَبْنَا.

-فَالْغَلَبَةُ لِمَنْ كَانَ مَعَ اللّهِ تَعَالَى وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْإِنْسُ وَالْجِنّ فَتَدَبّرْ.

•ثانيًا:سِحْرُ التّفْرِيقِ وَالْمَرَضِ:

-النّوْعُ الثّانِي سِحْرُ التّفْرِيقِ وَالْمَرَضِ وَهُوَ أَشَدّ أَنْوَاعِ السّحْرِ ضَرَرًا وَإِيلَامًا،وَيُؤَثّرُ عَلَى قَلْبِ الْمَسْحُورِ وَبَدَنِهِ،وَهَذَا الْأَثَرُ لَا يَكُونُ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ تَعَالَى ابْتِلَاءً وَاخْتِبَارًا.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}.(البقرة:١٠٢).

-وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ السِّحْرِ عِبَارَةٌ عَـــنْ عَزَائِمَ وَرُقًى شِرْكِيَّةٍ وَعُقَدٍ وَطَلَاسِمَ شَيْطَانِيَّةٍ .

-وَهُوَ اتِّفَاقٌ وَعَقْدٌ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ مِـــنَ الْإِنْسِ وَالشَّيَاطِينِ مِنَ الْجِنِّ.

-فَهَذَا السِّحْرُ يُمْرِضُ ،وَيَقْتُلُ ،وَيَأْخُذُ الزَّوْجَ مِنْ زَوْجَتِهِ كَالرَّبْطِ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَزَوْجَتِهِ،وَيُمْسِكُ رَحِمَ الْمَرْأَةِ عَنِ الْإِنْجَابِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ}.(الفلق:٤).

-وَأَصْلُ النَّفَّاثَاتِ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ ، وَهَذَا اللَّفْظُ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ النَّفْثِ ، وَهُوَ النَّفْخُ مَعَ رِيقٍ قَلِيلٍ يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ.

-وَالْعُقَدُ : جَمْعُ عُقْدَةٍ مِنَ الْعَقْدِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْحَلِّ ، وَهِيَ اسْمٌ لِكُلِّ مَا رُبِطَ وَأُحْكِمَ رَبْطُهُ.

-وَالْمُرَادُ بِالنَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ : النِّسَاءُ السَّوَاحِرُ ، اللَّائِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا فِي خُيُوطٍ وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ السِّحْرِ.

-وَجِيءَ بِصِيغَةِ التَّأْنِيثِ فِي لَفْظِ{النَّفَّاثَاتِ} لِأَنَّ مُعْظَمَ السَّحَرَةِ كُنَّ مِنَ النِّسَاءِ.

-وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ النَّفَّاثَاتُ صِفَةً لِلنُّفُوسِ الَّتِي تَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَيَكُونُ هَذَا اللَّفْظُ شَامِلًا لِلذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.

• ثَالِثًا:السِّحْرُ الْمَجَازِيُّ:

-وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ السِّحْرِ يَقُومُ عَلَى الْحِيَلِ الْكِيمِيَائِيَّةِ وَخِفَّةِ الْيَدِ وَ عَلَى التَّمْوِيهِ وَالْخِدَاعِ وَ الْكَذِبِ عَلَى ضِعَافِ الْعُقُولِ .

-ويُعْرَفُ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِالشَّعْوَذَةِ وَالدَّجَلِ. وَسُمِّيَ سِحْرًا مَجَازًا لِاشْتِرَاكِهِ فِي الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ لِلسِّحْرِ.

-فَهُوَ مِمَّا خَفِيَ سَبَبُهُ وَلَطُفَ مَأْخَذُهُ وَدَقَّ وَجَرَى مَجْرَى التَّمْوِيهِ وَالْخِدَاعِ.

-وَغَالِبًا مَا نَرَى هَذَا النَّوْعَ مِنَ السِّـــحْرِ مِمَّا يُمَارِسُهُ بَعْضُ الَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِالسِّيرْك وَ كَذَلِكَ مَنْ لَهُمْ عَلَاقَةٌ بِالشَّيَاطِينِ، كَالسَّحَرَةِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِعَمَلِ السِّحْرِ الْحَقِيقِيِّ وَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِخَوَاصِّ الْمَوَادِّ الْكِيمْيَائِيَّةِ وَ الْحِيَلِ الْعِلْمِيَّةِ.

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ• :فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٣-مَا حُكْمُ التَّنْكِيسِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَدْ صَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ خَلْفَ إِمَامٍ قَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ سُورَةَ(الْقَدْر)،وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ قَرَأَ بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ سُورَةَ(الضُّحَى)فَاخْتَلَفَ الْمُصَلُّونَ بَعْدَ الصَّلَاةِ بَيْنَ مُبْطِلٍ لِلصَّلَاةِ وَمُصَحِّحٍ فَمَا الْحُكْمُ؟.

•أَوَّلًا:مَعْنَى التَّنْكِيسِ:

(أ)فِي لُغَةِ الْعَرَبِ:

مَأْخُوذٌ مِنَ النَّكْسِ، وَهُوَ: قَلْبُ الشَّيءِ عَلَى رَأْسِهِ وَجَعْلُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَمُقَدَّمَهُ مُؤَخَّرَهُ؛ جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– (مَادَّة: ن ك س:٦/ ٢٤١، ط. دار صادر):{النَّكْسُ: قَلْبُ الشَّيءِ عَلَى رَأْسِهِ، نَكَسَهُ يَنْكُسُهُ نَكْسًا فَانْتَكَسَ.

ونَكس رأسَهُ: أمالَهُ، ونَكَسْتُهُ تنْكيساً،... النّكسُ فِي الْأشْيَاءِ مَعْنًى يرْجِعُ إلَى قَلْبِ الشّيءِ وردِّه وجَعْلِ أعلَاه أسفلَه وَمُقَدّمهِ مؤخّرهُ}.

(ب)فِي الاصطِلَاحِ:

التّنكيسُ هُوَ:أنْ تقعَ الْقِراءَةُ عَلَى غيرِ تَرتيبِ الْمُصحَفِ، يَعني قِراءَةَ الْمُتَأخّرِ قَبْلَ الْمُتقدّمِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَريمِ، ويُرادُ منْ لِفظِ (التّنكيسِ) بِشَكْلٍ عامٍّ قَلْبُ الشّيءِ عَلَى رَأسِه وجَعْلُ أعلَاهُ أسفلَه وَمُقدّمه مؤخّره.

-أخْرَجَ الْإمَامُ أحمَدُ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى–فِي الْمُسْنَدِ برقَمِ(11129)مِنْ حَديثِ أبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيّ–رحمه اللّهُ تعالَى–قالَ:

قالَ رَسُولُ اللّهِ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ–:{القُلوبُ أربَعَةٌ: قَلْبٌ أجْرَدُ، فيهِ مِثْلُ السّرَاجِ يُزْهِرُ، وقَلْبٌ أغْلَفُ مَربوطٌ عَلَى غِلَافِه، وقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وقَلْبٌ مُصفَحٌ، فَأمّا الْقَلْبُ الْأجْرَدُ: فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ، سِراجُهُ فيهِ نُورُهُ، وأمّا الْقَلْبُ الْأغْلَفُ: فقلبُ الْكَافِرِ، وَأمّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ: فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ، ثُمّ أنْكَرَ، وَأمّا الْقَلْبُ الْمُصفَحُ: فَقَلْبٌ فِيهِ إيمَانٌ وَنِفاقٌ، فَمَثَلُ الْإيمَانِ فيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطّيّبُ، وَمَثَلُ النّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدّمُ، فَأيُّ الْمَدّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ}.

(والحديث إسنادُهُ ضَعِيفٌ كَمَا قَالَ مُحَقّقُوا الْمُسند، وقال ابن كثير في التّفسير : إسناده جيّد و لم يخرجاه

و قال الشّوكانيّ في الفتح القدير: إسناده جيد،وقال الألبانيّ حديث موقوف صحيح.)

-فَبَيّنَ الْحَدِيثُ مَعْنَى النّكْسِ فِي تَعْرِيفِهِ لِقَلْبِ الْمُنَافِقِ بِالْقَلْبِ الْمَنْكُوسِ الّذِي عَرَفَ ثُمّ أنْكَرَ،وَأبْصَرَ ثُمّ عَمِيَ فَهُوَ قَلْبٌ مَقْلُوبٌ.

-الْخُلَاصَةُ أنّ التّنْكِيسَ بِمَعْنَى قَلْبِ الشّئِ،وَفِي الْقِرَاءَةِ أنْ تَقَعَ الْقِرَاءَةُ عَلَى غيرِ تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ فَيَقْرَأَ مِنْ آخِرِهِ ثُمّ يَقْرَأُ مِنْ أوّلِه.

•ثَانِيًا:أنْوَاعُ التّنْكِيسِ:

-قسّمَ الْعُلَمَاءُ التّنْكِيسَ فِي الْقِرَاءَةِ إلَى أربْعَةِ أقْسَامٍ:فِي الْحُرُوفِ ،وَفِي الْكَلِمَاتِ،وَفِي الْآيَات،وفي السُّوَرِ.

•ثالثًا:حكْمُ التّنْكِيسِ:

-بالنّسْبَةِ للتّنكيسِ في الْحُرُوفِ بأنْ يقْرَأ الْحرْفَ الْأخيرَ قبْلَ الْحرْفِ الّذي قبْلَهُ كأنْ يَقْرأَ كلمةَ(رَب)بتقْديمِ الْبَاء علَى الرّاء فتُكو(بر)،وهذا النّوْع يحرُمُ وتبْطُلُ به الصّلَاةُ لأنّه يخلّ بالنّظْمِ الْقُرْآنيّ ويُغيّرُ الْمَعْنَى،ومنْ فَعَلَهُ منَ السّحَرَةِ اسْتِرْضَاءً للشّيَاطِينِ فَهُوَ كُفْرٌ والْعِيَاذُ باللّه.

-وبالنّسبَة للتنْكيسِ بيْنَ الْكلمَات بأنْ يقْرَأَ الْكلمَات معْكُوسَةً، فيَقْرَأُ الْكلمَةَ ثُمّ الّتي قبْلَهَا فَمَثَلًا يَقْرَأُ قوْلَهُ تعَالَى:{الْحَمْدُ للّه ربّ الْعَالَمين}بِهذه الطّريقَة{ربّ الْعَالَمين لله الْحَمْدُ} فَهذِهِ الصُورَةُ كَسابِقَتِهَا تَحرُمُ وتَبْطُلُ بِهَا الصّلَاةُ سوَاء نَاسيًا أم مُتَعَمّدًا.

-وَبالنّسْبَة للتنْكيسِ في الْآيَات بأنْ يَقْلبَ دَاخلَ السُّورَةِ الْوَاحِدَة، فيَقْرَأُ آيَاتٍ منْ أوْسَطِهَا أوْ آخرهَا ثُمّ يَقْرَأ آيَات منْ أولِهَا،فمثَلًا:

يَقْرَأُ في الرّكْعَة الْأولَى بعْدَ الْفَاتحَةَ منْ سُورَةِ الْبَقَرَة رُبْع{مَا نَنْسَخ من آيَةٍ أوْ نُنْسِهَا نَأت بخَيْرٍ منهَا أوْ مثْلِهَا..الْآيَة}،ثُمّ في الرّكْعَة الثّانيَة يقْرَأُ بعْدَ الْفَاتحَة صَدْرَ سُورَة الْبَقَرَة منْ قوْله تعَالَى:{ألم.ذَلكَ الْكتَابُ لَا رَيْبَ فيه هُدًى للمُتّقين}،وَحُكْمُ هَذَا النّوْع التّحْريم أيضًا فإنْ تَعمّدَ بطُلَتْ صَلَاتُهُ لأنّ ترْتيبَ الْآيَات توْقيفيّ،وَفي تَنْكيسهَا مُخَالَفَةٌ للنّصّ وَتَغْييرٌ للمعْنَى،وقَالَ بعْضُ أهْلِ الْعلْمِ بالْكرَاهَة،لكنّ الرّاجحَ التّحْريمُ وَبُطْلَانُ الصّلَاة وذَلكَ لأنّ ترْتيبَ الْآيَات وَاجبٌ بالنّصّ إجْمَاعًا.

-وَبالنّسْبَة للتنْكيس بيْنَ السُّوَرِ وهُوَ قرَاءَةُ السُّورَةِ اللّاحقَة قبْلَ السّابقَة ، فيَقْرَأُ – مثَلًا – { الْقَدْر } قبْلَ { الضُّحى} كمَا فعَلَ الْإمَامُ في مَسْألَة السّائل ،هذّا النّوْعُ منَ التّنْكيسِ خلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاء فمنْ يرَى منْهُمْ أنّ ترْتيبَ الْمصْحَف لَيْسَ تَوْقيفيًا فلَا بَأسَ عنْدَه منَ التّنْكيسِ بيْنَ السُّوَرِ،ومنْ يرَى منْهُمْ أنّ ترْتيبَ الْمُصْحَفِ توْقيفيّ أي بأمْرٍ منْ رَسُولِ





اللّه–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ–أوْ أنّ اجْمَاعَ الصّحَابَةِ عَلَى تَرْتِيبِهِ حُجّةٌ فَلَا يَجُوزُ عِنْدَهُ التّنْكِيسُ بَيْنَ السُّورِ،وَالتّحْقِيقُ أنّ تَرْتِيبَ الْمُصْحَفِ لَيْس تَوْقِيفِيًا،ولَيْسَ عَلَيْهِ إجْمَاعُ الصّحَابَةِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ–إذْ كَانَ مُصْحَفُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–مَثَلًا عَلَى خِلَافِ تِلْكَ الْمَصَاحِفِ تَرْتِيبًا،وَالدّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا فِعْلُ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فِيمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٧٧٢)مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:{صَلّيْتُ مَعَ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ–ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ، ثُمّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمّ افْتَتَحَ النّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسّلًا، إذَا مَرّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبّحَ، وَإذَا مَرّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ،وَإذَا مَرّ بِتَعَوّذٍ تَعَوّذَ، ثُمّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ:

سُبْحَانَ رَبّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمّ قَالَ: سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمّا رَكَعَ، ثُمّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبّيَ الْأعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزّيَادَةِ، فَقَالَ: سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبّنَا لَكَ الْحَمْدُ}.،وَالشّاهِدُ

مِنَ الْحَدِيثِ أنّهُ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–قَرَأَ سُورَةَ النّسَاءِ قَبْلَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

–وَعَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ بِأنّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ تَرْتِيبِ السُّوَرِ،ثُمّ قِيَامِ عُثْمَانَ–رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ بِتَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ وَعُثْمَانُ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ وَفِعْلُهُ هَذَا سُنّةٌ مُتّبَعَةٌ لِقَوْلِ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:

{..فَعَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ الْمَهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ}،فَنَقُولُ:التّنْكِيسُ بَيْنَ السُّوَرِ خِلَافُ الْأوْلَى وَالْكَرَاهَةُ تَنْزِيهِيّةٌ أيْ لَا تُؤثِرُ عَلَى صِحّةِ الصّلَاةِ،فَإجَابَةُ مَسْألَةِ السّائِلِ أنّ صَلَاةَ الْإمَامِ صَحِيحَةٌ.





-مَعَ التّنْبيه عَلَى الْمَأمُومين منَ الْعوَامّ وَالْبُسطَاء وَأنْصَاف الْمُتَعَلّمينَ بعَدَمِ التّعَجُّل بِالْإنْكَارِ وَإصْدَارِ الْأحْكَامِ قَبْلَ سؤال أهْلِ الْعلْمِ لقَوْله تعَالَى:{وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلك إلّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.(النّحل:٤٣).
-وَاللّه أعْلَى وَأعْلَمُ.



مَاحُكْمُ الْحَلف بِالزّمَانِ وَالْمَكَانِ وَذَوَات الْأشْخَاص؟)
الْحَمْدُ للّه وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبيّ بَعْدَهُ.
أمّا بَعْدُ:



-فَهَذَا سَائلٌ يَسْأل:
٤-(أحْسَنَ اللّهُ إلَيْكُمْ شَيْخَنَا:مَا حُكْمُ الْحَلف بِحَقِّ يَوْمِ الْجُمُعَة أوْ لَيْلَة الْمعْرَاج أوْ بِجَاه فُلَانٍ أوْ بِحَقِّ الْبَيْت الْحَرَامِ؟

•اعْلَمْ-رَحمَني اللّهُ وَإيّاكَ-أنّ التّوَسُّلَ الْمَشْرُوعَ يَكُونُ بِأسْمَاءِ اللّه الْحُسْنَى وَبِصفَاته الْمُثْلَى كَمَا يَكُونُ بِأعْمَالكَ الصّالحَة كَإيمَانكَ باللّه تَعَالَى وَاتّبَاعكَ لرَسُوله-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-وَكُلّ عَمَل تَوَافَرَ فيه الْإخْلَاصُ وَالْمُتَابَعَةُ كَحَديث الثّلَاثَة رَهْط الّذين آوَاهُمُ الْمَبيتُ إلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ فَسَدّتْ عَلَيْهمْ بَابَ الْغَار فَفَزعَ كُلٌّ وَاحد إلَى عَمَلٍ صَالحٍ فَدَعَا اللّهَ به فَتَحَرّكَتْ الصّخْرَةُ وَخَرَجُوا جَميعًا يَمْشُونَ،كَمَا يَكُونُ بِدُعَاء الصّالحينَ في حَيَاتهمْ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّاب-رَضيَ اللّهُ عَنْهُ-عنْدَمَا أجْدَبَت الْأرْضُ وَخَرَجَ لصَلَاة الاستسْقَاءِ فَقَالَ:اللّهُمّ إنّا كُنّا نَسْتَسْقِي بِنَبيّنَا فَتَسْقينَا أمّا وَقَدْ مَاتَ فَإنّا نَسْتَسْقي بِعَمِّ نَبيّنَا

ادْعُ يا عبّاس فدعا الْعبّاس-رضي اللّهُ تعالى عنْهُ-فنزل الْغيْثُ بِأمرِ اللّهِ تعالى فلُقِّب الْعبّاس-رضي اللّهُ تعالى عنْه-بِساقِي الْحرمين.

•أمّا بِالنّسْبةِ للحلف بِحقّ الْأيامِ أو جاه بعضِ الْأنْبِياءِ أوْ بعْضِ الْأماكِنِ ففيه تفْصِيلٌ:

-فالتّوسُّل بِالنّبِيِّ محمّدٍ أوْ بِذواتِ الْمخْلُوقات فهذا مِن التّوسُّلِ الْمذْمُومِ لأنّهُ مِن الْبِدعِ والْمُحْدثاتِ لِما أخْرجهُ الْإمامُ الْبُخارِيُّ- رحِمهُ اللّهُ تعالى-في صحِيحِه برقمِ(٦١٠٨)من حديث عبْد اللّه بْن عُمر-رضِي اللّهُ تعالى عنْهُما-أنّه أدْرك عُمر بْن الْخطّابِ في ركْبٍ وهُو يحْلِفُ بِأبِيه، فناداهُمْ رسُولُ اللّه-صلّى الله عليْه وسلّم-:{ألا إِنّ اللّه ينْهاكُمْ أنْ تحْلِفُوا بِآبائِكُمْ، فمنْ كان حالِفًا فلْيحْلِفْ بِاللّه، وإِلّا فلْيصْمُتْ}.،وما أخْرجهُ الْإمامُ التِّرْمِذِيُّ-رحمهُ اللّهُ تعالى-في سُننِه برقمِ(١٥٣٥)وصحّحهُ الشّيْخُ الْألْبانِيُّ-رحِمهُ اللّهُ تعالى-في إِرْواءِ الْغلِيل برقمِ(٢٥٦١)من حديث عبْد اللّه بْنِ عُمر-رضِي اللّهُ تعالى عنْهُما-قال:قال رسُولُ اللّه-صلّى اللّهُ عليْه وسلّم-:{منْ حلف بِغيْرِ الله فقدْ كفر أوْ أشْرك}.

•تنْبِيهٌ:

-الْحلِفُ بِغيْرِ الله ليْس شِرْكًا محْضًا؛ فالْحلِفُ بِغيْرِ الله مِن الشِّرْكِ الْأصْغرِ؛ وقدْ نهى عنْهُ الشّرْعُ لِأنّهُ ذرِيعةٌ إِلى الشِّرْكِ الْأكْبرِ ووسِيلةٌ للوُقُوعِ فيه، بِخِلافِ منْ تعمّد الحلِف بِغيْرِ ذاتِ الله، وكان حالِفًا بِما يُشْركُ بِه؛ مِثْلُ الْحلفِ بِالنّصرانيةِ والْيهُودِيّةِ وغيْرِها، فهذا كُفْرٌ محضٌ، وكذلِك إِذا ظهر بِالْقرائنِ أنّ الْحالِف يُعظِّمُ ما حلف بِه كتعْظِيمِ الله تعالى أوْ أشدّ؛ فحِينئِذٍ يكُونُ مِن الشِّرْكِ الْأكْبرِ.

-والشِّرْكُ الْأصْغرُ لا يُخْرِجُ منْ وقع فيه مِنْ مِلّةِ الْإِسْلامِ، ولكِنّهُ مِنْ أكْبرِ الكبائِرِ بعْد الشِّرْكِ الْأكْبرِ، وعلى هذا فمِنْ أحْكامِ منْ وقع في الشِّرْكِ الْأصْغرِ أنْ يُعاملَ مُعاملةَ الْمُسْلِمِين، ولا يُخلّدُ في النّارِ إِنْ دخلها كسائِرِ مُرْتكِبِي الْكبائِرِ عِنْد أهْلِ السُّنّةِ والْجماعةِ، خِلافًا للخوارِجِ والْمُعْتزِلةِ

•وَالتَّوَسُّلُ بِحَقِّ شَيءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَفِيهِ نَظَرٌ، فَإِنْ أُرِيدَ بِهِ التَّوَسُّلَ بِنَفْسِ الْمَخْلُوقِ لِكَرَامَتِه وَمَنْزِلَتِه، فَهَذَا مَمْنُوعٌ.

-وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ مَعْنَى يَعُودُ إِلَى أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ مَشْرُوعٌ، إِذَا ثَبَتَ أَنّ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ حَقًّا.

-وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ} :أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ {عَلَى فَرْضِ صِحَّتِه، فَحَقُّهُمْ: هُوَ إِجَابَةُ اللهِ لَهُمْ، وَالْإِجَابَةُ مِنْ فِعْلِهِ تَعَالَى، فَيَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَوَسُّلٌ بِصِفَاتِ اللَّهِ وَأَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ.

•وَالْحَدِيثُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي مُسْنَدِه بِرَقَمِ(١١١٥٦)عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا رِيَاءً،وَلَا سُمْعَةً،وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ}.

-قَالَ صَاحِبُ الزَّوَائِدِ: هَذَا إِسْنَادُهُ مُسَلْسَلٌ بِالضُّعَفَاءِ. عَطِيَّةُ وَهُوَ الْعُوفِيُّ، وَفُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ،وَالْفَضْلُ بْنُ الْمُوفَّقِ:كُلُّهُمْ ضُعَفَاءُ.

-فَعَلَى فَرْضِ صِحَّتِه، يَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِذَلِكَ لِتَحَقُّقِ أَمْرَيْنِ:

-الْأَوَّلُ: ثُبُوتُ هَذَا الْحَقِّ، وَهُوَ إِجَابَةُ السَّائِلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.(البقرة:١٨٦)

-وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَوَسُّلٌ بِفِعْلِ اللهِ تَعَالَى وَهُوَ الْإِجَابَةُ.

-وَفِي تَوْجِيهِ حَدِيثِ:{أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ} قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنْ قَوْلِ الْخَارِجِ إِلَى الصَّلَاةِ:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ) فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى السُّؤَالِ بِالْمَخْلُوقِينَ كَمَا قَدْ تَوَهَّمَهُ بَعْضُ النَّاسِ فَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِذَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ سُؤَالُ اللهِ تَعَالَى بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَضْلًا وَكَرَمًا لِأَنَّهُ يُجِيبُ سُؤَالَ السَّائِلِينَ إِذَا سَأَلُوهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ }وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ:{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} وَقَوْلُهُ:{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} وَقَوْلُهُ:{كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ} هَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِي الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ إِنْ صَحَّ وَإِلَّا فَهُوَ ضَعِيفٌ، وَعَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ فَهُوَ مِنْ بَابِ السُّؤَالِ بِصِفَاتِ اللهِ لَا مِنَ السُّؤَالِ بِذَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَاللهُ أَعْلَمُ}. (انْتَهَى مِنْ مَجْمُوعَةِ الرَّسَائِلِ وَالْمَسَائِلِ ص : ٧٦).

•مَعَ التَّنْبِيهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي تَرْكُ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(البقرة:١٠٤).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ حِينَ خِطَابِهِمْ لِلرَّسُولِ عِنْدَ تَعَلُّمِهِمْ أَمْرَ الدِّينِ: { رَاعِنَا } أَيْ:

رَاعِ أَحْوَالَنَا، فَيَقْصِدُونَ بِهَا مَعْنًى صَحِيحًا، وَكَانَ الْيَهُودُ يُرِيدُونَ بِهَا مَعْنًى فَاسِدًا، فَانْتَهَزُوا الْفُرْصَةَ، فَصَارُوا يُخَاطِبُونَ الرَّسُولَ بِذَلِكَ، وَيَقْصِدُونَ الْمَعْنَى الْفَاسِدَ، فَنَهَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، سَدًّا لِهَذَا الْبَابِ، فَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْجَائِزِ، إِذَا كَانَ وَسِيلَةً إِلَى مُحَرَّمٍ، وَفِيهِ الْأَدَبُ، وَاسْتِعْمَالُ الْأَلْفَاظِ، الَّتِي لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا الْحَسَنَ، وَعَدَمُ الْفُحْشِ، وَتَرْكُ الْأَلْفَاظِ الْقَبِيحَةِ، أَوِ الَّتِي فِيهَا نَوْعُ تَشْوِيشٍ أَوِ احْتِمَالٍ لِأَمْرٍ غَيْرِ لَائِقٍ، فَأَمَرَهُمْ بِلَفْظَةٍ لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا الْحَسَنَ فَقَالَ: { وَقُولُوا انْظُرْنَا } فَإِنَّهَا كَافِيَةٌ يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ

مِنْ غَيْرِ مَحْذُورٍ، { وَاسْمَعُوا } لَمْ يَذْكُرُ الْمَسْمُوعِ، لِيَعُمَّ مَا أَمَرَ بِاسْتِمَاعِهِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ سَمَاعُ الْقُرْآنِ، وَسَمَاعُ السُّنَّةِ الَّتِي هِيَ الْحِكْمَةُ، لَفْظًا وَمَعْنًى وَاسْتِجَابَةً، فَفِيهِ الْأَدَبُ وَالطَّاعَةُ}.

-هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



٥-كَيْفَ تَكْسِبُ الزَّوْجَةُ قَلْبَ زَوْجِهَا؟

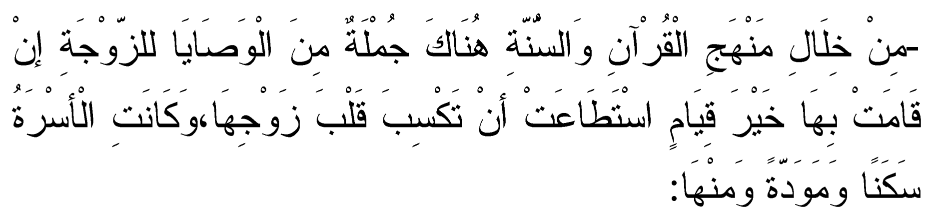
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:



٥-فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ شَيْخَنَا :كَيْفَ تَكْسِبُ الزَّوْجَةُ قَلْبَ زَوْجِهَا؟





-مِنْ خِلَالِ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هُنَاكَ جُمْلَةٌ مِنَ الْوَصَايَا لِلزَّوْجَةِ إِنْ قَامَتْ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكْسِبَ قَلْبَ زَوْجِهَا،وَكَانَتِ الْأُسْرَةُ سَكَنًا وَمَوَدَّةً وَمِنْهَا:

(أ)الابْتِسَامَةُ عِنْدَ لِقَائِهِ:

-أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ اعْلَمِي أَنَّ الْبَسْمَةَ فِي وَجْهِ زَوْجِكِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ عِبَادَةٌ ، وَسَبَبٌ لِكَسْبِ قَلْبِهِ،وَتَحْقِيقِ السَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٢٣١)

منْ حَديث أبي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–قَالَ:قيل لرَسُولِ اللّه –صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– أيُّ النِّسَاءِ خيرٌ ؟ قالَ :{الّتي تَسُرُّهُ إذَا نظرَ ، وتُطيعُهُ إذا أمرَ ، ولَا تُخَالفُهُ في نفْسها ومَالها بما يكْرَهُ}.

-الْمرْأةُ الصّالِحَةُ الّتِي يُحِبُّهَا زَوْجُهَا هِيَ كَنْزُهُ فِي الدُّنْيَا، وخَيْرُ متَاعها، وخَيْرُ النِّسَاءِ فيها.

-وفِي هَذَا الْحَديث يَقُولُ أبُو هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ:قيل لرَسُولِ اللّه–صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{أيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ}؟ أيْ: أفْضَلُهُنّ، وأكْثَرُهُنّ بركَةً للزّوْجِ؟ فَأجَابَ النّبيُّ–صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ بقوْلِه:{الّتي تَسُرُّهُ إذَا نظرَ}، أيْ: هِيَ الّتي تُعْجِبُهُ إذَا نَظَرَ إلَيْهَا؛لابْتِسَامَتِهَا الْجَمِيلَةِ،ولحُسْنِهَا عنْدَهُ، ومَا هِيَ عَلَيْه منْ زينَةٍ ونَظَافَةٍ، وقيلَ: لدَوَامِ اشْتغَالِهَا بالطّاعَاتِ،{وتُطيعُهُ إذا أمَرَ}، أيْ: إذَا أمَرَهَا بمَعْرُوفٍ لَيْسَ فيه مَعْصِيَةٌ، أطَاعَتْهُ، وسَعَتْ فِي تَلْبِيَةِ حَاجَتِه، {ولَا تُخَالفُهُ في نفْسها ومَالها بمَا يكْرَهُ}، أيْ: لَا تفْعَلُ الْفَاحشَةَ، أوْ تُنْفقُ مَالَهُ فيمَا لَا يُحبُّ، أوْ مَا لَا يحلُّ الْإِنْفَاقُ فيه، وكلُّ ذَلكَ ممّا يَكْرَهُ الزّوْجُ، وقيلَ: ذُكرَ الضّميرُ فِي الْمَالِ عَائدًا عَلَى الزّوْجَة، والْمَعْنَى: مَالُهُ الّذي بيدهَا؛ كقَوْلِه تعَالَى: {ولَا تؤْتُوا السُّفَهَاءَ أموَالَكُمْ} .(النّساء: ٥)، أو الْمِلْكِيّةُ عَلَى حَقيقَتِهَا للمرْأةِ؛ لضيقِ حَالِ الزّوْجِ، ويُسْرِ حَالِ زَوْجَتِه.

-وفِي الْحَديث: الْحَثُّ فِي الزّوَاجِ عَلَى طَلَبِ ذَات الدِّينِ.

(ب)اسْمَعِي وأطِيعِي فِي الْمَعْرُوف:

-أيّتُهَا الزّوْجَةُ إنّ طَاعَتَك لأمْرِ زَوْجِكِ فِي الْمَعْرُوفِ حَقٌّ مِنْ حقُوقِه عَلَيْكِ وهُوَ سبِيلٌ لكَسْبِ قَلْبِه ودَوَامِ حُبِّه ووُدِّه.

-أخْرَجَ الْإمَامُ أحمَدُ–رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى–في مُسْنَدهِ برقَمِ(١٦٦١)مِنْ حَديثِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عوْفٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–قَالَ

:قَالَ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–:{إِذَا صَلّت الْمَرْأةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ،وحفظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قيلَ لَهَا ادْخُلي الْجَنّةَ منْ أيّ أبْوَاب الْجَنّة شئْت}.

-للمَرْأة الصّالحَة –الّتي تُؤَدّي فُرُوضهَا وَتُطيعُ زَوجهَا– مَكَانَةٌ كَبيرَةٌ عنْدَ رَبّهَا، فَيَرْضَى عَنْهَا، وَيُخَيّرُهَا يومَ الْقيَامَة للدُّخُول من أَيّ أبْوَاب الْجَنّة شَاءتْ.

-وَفي هَذَا الْحَديث يَقُولُ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{إذَا صَلّت الْمَرْأةُ خَمْسَهَا} يَعْني: إذَا أدّت الصّلَوَات الْخَمْسَ الْمَكْتُوبَات كَمَا يَنْبَغي وَحَافَظَتْ عَلَى أوْقَاتهَا، {وَصَامَتْ شَهْرَهَا}، أيْ: شَهْرَ رَمَضَانَ وَأتمّتْ مَا فَاتَهَا منْهُ لعُذْرٍ، {وَحَصّنَتْ فَرْجَهَا} بأنْ حَفظَتْهُ عَنِ الْحَرَامِ، كَالزّنَا وَالسّحَاق وَغَيْره، وَالْفَرْجُ يُطْلَقُ عَلَى الْقُبُل وَالدُّبُر، وَأَكْثَرُ اسْتعْمَاله عُرْفًا في الْقُبُل، {وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا}، أيْ: في كُلّ مَا يَتعَلّق بحُقُوقه الْمَشْرُوعَة، وَفي غَيْر مَعْصيَة، {قيلَ لَهَا: ادْخُلي الْجَنّةَ منْ أيّ أبْوَاب الْجَنّة شئْت} يَعْني: يُنَادَى عَلَيْهَا منْ أبْوَاب الْجَنّة الثّمَانيَة، تَكْريمًا وَتَشْريفًا؛ لأنّ هَذه الْخلَالَ هي أُمّهَاتُ أفْعَال الْخَيْر، وَأسْبَابُ دُخُول الْجَنّة، فَإذَا وَفّتْ بهَا الْمَرْأةُ وُقيَتْ شَرّ مَا عَدَاهَا.

(ج)لَا تَمنَعي نَفْسَك منْ زَوْجك إلّا لعُذْرٍ:

-أيّتُهَا الزّوْجَةُ إذَا دَعَاك زَوْجُك للفرَاش فَاسْمَعي وَأَطيعي وَلَا تَمنَعي نَفْسَك منْهُ فَتَطْرُدي وَتُلْعَني إلّا منْ عُذْرٍ شَرْعيّ كَحَيْضٍ أوْ نفَاسٍ أوْ مَرَضٍ،تَكْسبي قَلْبَه،وَيَدُومُ لَك وُدُّه.

-أَخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَاريُّ–رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى–في صَحيحه برَقَم(3237)منْ حَديث أبي هُرَيْرَةَ–رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{إذَا دَعَا الرّجُلُ امْرَأَتَهُ إلَى فرَاشه فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائكَةُ حَتّى تُصْبحَ}.

-فَالزّوَاجُ عَلَاقَةٌ شَرْعيّةٌ بيْنَ الزّوْجَينِ، وَقَدْ بَيّنَ الشّرْعُ حُقُوقَ وَوَاجبَات كُلّ منْهُمَا.

-وَفي هَذَا الْحَديث يُبَيّنُ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–حُكْمَ امْتنَاعِ الْمَرْأة منْ فرَاش زَوْجهَا إذَا دَعَاهَا، وَهوَ كنَايَةٌ عَنِ الْمُعَاشَرَة وَالْجمَاعِ، فَإذَا طَلَبَ الرّجُلُ منَ الْمَرْأة

أنْ يُجَامعهَا، فَامْتَنَعت عنْ إجابَته، فغضبَ عليْهَا زوْجُها، وبَات علَى تلْك الْحالَة؛ كَانَ عَاقبَةُ ذَلك وخيمةً علَى الزوْجَة، حيْثُ تَلْعنُهَا الْمَلَائكَةُ فَتدْعو عليْهَا بالطّرْد منْ رَحمة اللّه تَعالَى حَتّى الصبّاحِ لأنّها عَصتْ زوْجها ومَنَعْتُه حقّهُ الشّرْعيّ، وفي بَعْض روَايَات الْبُخَاريّ:{لعنتْهَا الْمَلَائكَةُ حتّى ترْجع}، ومعْنَى ذَلك: أنّ اللّعْنَة تَستَمرُّ عَلَيْهَا حتّى تَزُول الْمَعْصيَةُ بطُلُوع الْفَجْرِ والاسْتغْنَاء عنْهَا، أوْ بتوْبَتهَا ورُجُوعها إلَى الْفرَاش، ويُسْتَثْنَى منْ ذَلك ما لَوْ كَانَ لَدَيْهَا عُذْرٌ شَرْعيٌّ من مَرَضٍ ونَحْوه؛ فلَا حَرَجَ عَلَيْهَا.

-وَفي الْحَديث: دَليلٌ عَلَى عظَم حَقّ الزّوج علَى زَوْجَته.

-وفيه: النّهْيُ عَنْ عصْيَان الْمَرْأة لزَوْجها.

-وَفيه: دليلٌ عَلَى قَبُول دُعَاء الْمَلَائكَة؛ لكَونه-صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسلّمَ-خوّفَ بذَلك.

(د)وَصايَا ذَهَبيّةٌ لدَوام الْمَوَدّة:

•وأَخْتمُ هَذه الْوَصايَا بوَصيّة جَامعَة لمَا يَجبُ أَنْ تَكُوني عَلَيْه أيّتُهاالزّوْجَةُ في بَيْتك،وكَيْفَ تُعَاملين زوْجك،لتَدُومَ الْمَوَدّةُ ويَتَحَقّقُ السّكَن،قَدّمَتْهَا أَعْرابيّةٌ حَكيمَةٌ عَاشَتْ في ظلّ الْجَاهليّة ومَاتَتْ قَبْلَ مجيء رَسُول الله-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وسَلّمَ-بنُور الْإسْلَام،هَذه الْأعرَابيّةُ الْحَكيمَةُ صاحبَةُ الفطْرَة السّليمة والْآدَاب السّامية هي(أُمَامَةُ بنْتُ الْحَارث)زَوْجُ عوْفٍ بْن مُحَلّم الشّيْبَانيّ،والّتي زُفّتْ ابْنَتُهَا(أُمّ إيَاس) إلَى(الْحَارث بْن عَمْرو)

مَلك(كنْدَة)،فلَمّا أَرَادُوا أنْ يحْملُوها إلَى زَوْجها قَالَتْ لَهَا أُمّهَا:

)أيْ بُنَيّة، إنّ الْوَصيّةَ لَوْ تُركَتْ لفَضْل أَدَبٍ، تُركَتْ لذَلكَ منْك، ولَكنّهَا تَذْكرَةٌ للغَافل، ومَعُونَةٌ للعَاقل.

ولَو أَنّ امْرأَةً استَغنَتْ عَن الْخُرُوج لغنَى أَبَوَيْهَا، وشدّة حَاجَتهما إلَيْهَا؛كُنْت أَغْنَى النّاس عَنْهُ، ولَكنّ النّسَاءَ للرّجَال خُلقْن، ولَهُنّ خُلقَ الرّجَالُ.

أَيْ بُنَيّة، إنّكِ فَارَقْتِ الْجوّ الّذي مِنْهُ خرَجْتِ، وَخَلّفْتِ العُشّ الّذي فيهِ درَجْتِ، إلَى وكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيه، وقَرِينٍ لَمْ تَألَفِيهِ، فَأصْبَحَ بِمِلْكِهِ علَيْكِ رَقِيبًا ومَلِيكًا،فكُونِي لَهُ أَمَةً يكُنْ لَك عبْدًا وَشيكًا.

أَيْ بُنَيّة، احْمِلِي عَنّي خِصَالاً عَشْرًا، تَكُنْ لَكِ ذُخْرًا وَذِكْرًا.

•أَمّا الْأُولَى والثّانيَةَ:فَالصُّحْبَةُ بِالْقَنَاعَةِ، وَالْمُعَاشَرَةُ بِحُسْنِ السّمْعِ وَالطّاعَةِ.

•وَأَمّا الثّالِثَةُ وَالرّابِعَةُ:فَالتّعَهّدُ لِمَوْقِعِ عَيْنِه، وَالتّفَقّدُ لِمَوْضِعِ أَنْفِه؛ فَلَا تَقَعْ عَيْنُهُ مِنْكِ عَلَى قَبِيحٍ، وَلَا يَشُمّ مِنْكِ إلّا أَطْيَبَ رِيحٍ.وَالْكُحْلُ أَحْسَنُ الْحُسْنِ الْمَوْجُودُ، وَالْمَاءُ أَطْيَبُ الطِّيبِ الْمَفْقُودُ.

•وَأَمّا الْخَامِسَةُ وَالسّادِسَةُ:فَالتّعَهّدُ لِوَقْتِ طَعَامِهِ، وَالْهُدُوُّ عَنْهُ عِنْدَ مَنَامِهِ؛ فَإِنّ حَرَارَةَ الْجُوعِ مَلْهَبَةٌ، وَتَنْغِيصَ النّوْمِ مَغْضَبَةٌ.

•وَأَمّا السّابِعَةُ وَالثّامِنَةُ: فَالِاحْتِفَاظُ بِبَيْتِه وَمَالِه، وَالْإِرْعَاءُ عَلَى نَفْسِه وَحَشَمِه وَعِيَالِه، وَمِلَاكُ الْأَمْرِ فِي الْمَالِ حُسْنُ التّقْدِيرِ، وَفِي الْعِيَالِ وَالْحَشَمِ حُسْنُ التّدْبِيرِ.

•وَأَمّا التّاسِعَةُ وَالْعَاشِرَةُ: فَلَا تُفْشِي لَهُ سِرًّا، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا؛ فَإِنّكِ إنْ أَفْشَيْتِ سِرّهُ لَمْ تَأْمَنِي غَدْرَهُ، وَإِنْ عَصَيْتِ أَمْرَهُ أَوْغَرْتِ صَدْرَهُ.

•ثُمّ اتّقِي مَعَ ذَلِكَ الْفَرَحَ إنْ كَانَ تَرِحًا، وَالِاكْتِئَابَ عِنْدَهُ إنْ كَانَ فَرِحًا؛ فَإِنّ الْخَصْلَةَ الْأُولَي مِنَ التّقْصِيرِ، وَالثّانِيَةَ مِنَ التّكْدِيرِ.

•وَكُونِي أَشَدّ مَا تَكُونِينَ لَهُ إعْظَامًا؛ يَكُنْ أَشَدّ مَا يَكُونُ إكْرَامًا.

•وَأَشَدّ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُوَافَقَةً؛ يَكُنْ أَطْوَلَ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُرَافَقَةً.

•وَاعْلَمِي أَنّكِ لَا تَصِلِينَ إلَى مَا تُحِبّينَ حَتّى تُؤْثِرِي رِضَاهُ عَلَى رِضَاكِ، وَهَوَاهُ عَلَى هَوَاكِ، فِيمَا أَحْبَبْتِ وَكَرِهْتِ، وَاللّهُ يَخِيرُ لَكِ."

-فَحُمِلَتْ فَسُلّمَتْ إلَيْه، فَعَظُمَ مَوْقِعُهَا مِنْهُ، وَوَلَدَتْ لَهُ الْمُلُوكَ السّبْعَةَ الّذِينَ مَلَكُوا بَعْدَهُ الْيَمَنَ)(.انْظُرْ:التّذْكِرَةَ الْحَمْدُونِيّة":"٣/٣٤٤:٣٤٣"رقم(١٠٠٨.)

•فانْظُرْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ هَذِهِ امرَّأةٌ عَاشَتْ فِي ظِلِّ الْجَاهِلِيَّةِ وتَكَلَّمَتْ بِهَذِهِ الْحِكْمَةِ ووَضَعَتْ أُصُولاً للتَّرْبِيَةِ،ومَعَايِيراً
لاستقْرارِ الْبَيْتِ ،فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَتِ الْإسْلَامَ واسْتَضَاءتْ بِنُورِ الْقُرآنِ،وتَعَلَّمَتْ مِنَ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ؟!
•هَذَا وَاللَّهُ أعْلَى وأعْلَمُ.



مَاذَا عَنْ علَاقَةِ الْأمْوَاتِ بِالْأموَاتِ وَعلَاقَةِ الْأموَاتِ بِالْأحْيَاءِ؟
الْحَمْدُ للَّهِ وَحْدَهُ ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
أمَّا بَعْدُ:
•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:



٦-أحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكَ شَيْخَنَا:مَاذَا عَنْ عِلَاقَةِ الْأمْوَاتِ بِالْأمْوَاتِ وَعِلَاقَةِ الْأمْوَاتِ بِالْأحْيَاءِ؟



•اعلَمْ أنَّ حَيَاةَ الْبَرْزَخِ(الْقَبْرِ)مِنْ أمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْكَلَامُ فِيهَا إلَّا عِنْدَ وُجُودِ الدَّلِيلِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أوْ صَحِيحِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ.
•فَعَنْ عِلَاقَةِ الْأمْوَاتِ بِالْأموَاتِ فَقَدْ ثَبَتَ لِقَاءُ أرْوَاحِ الْمُؤمنِينَ وتَزَاوُرُهُمْ وَإلَيْكَ الدَّلِيلَ:
-أخْرَجَ الْإمَامُ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(1833)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْألْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمِ(٢٧٥٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{إذَا حَضَرَ





الْمُؤمنُ ؛ أَتَت مَلَائكَةُ الرّحْمَة بحَريرة بَيْضَاءَ، فَيَقُولُونَ : اخْرُجي رَاضيَةً مَرْضيًّا عَنْك إلَى رَوْحِ الله وَرَيْحان، وربٍّ غير غَضبَان، فتَخرُجُ كَأَطْيَب ريحِ الْمسْك، حَتّى إنّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بعضًا، حتّى يأتوا به أبْوابَ السّماء، فَيَقُولُون:مَا أَطْيَبَ هَذه الرّيح الّتي جَاءَتْكُم منَ الْأَرْض ! فَيَأْتُونَ بِه أَرْوَاحَ الْمُؤمنين، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِه منْ أحَدكُمْ بغَائبِه يَقْدُمُ عَلَيْه، فَيَسْأَلُونَهُ : مَاذَا فعَلَ فُلَانٌ ؟ ! مَاذَا فعلَ فُلَانٌ؟! فَيَقُولُونَ : دَعُوهُ ؛ فَإنّهُ كَانَ في غَمّ الدُّنْيَا، فَيَقُول : قَدْ مَاتَ، أَمَا أَتَاكُمْ ؟ ! فَيَقُولُونَ : قَدْ ذُهبَ بِه إلَى أُمّه الْهَاوِيَة . وَإنّ الْكَافرَ إذَا احْتُضرَ ؛ أَتَتْهُ مَلَائكَةُ الْعَذَاب بمسْحٍ، فَيَقُولُونَ:

اخْرُجي سَاخطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْك إلَى عَذَاب الله – عَزّ وَجَلّ –، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَن ريح جيفَةٍ، حَتّى يَأْتُون بِه بَابَ الْأَرْض، فَيَقُولُونَ : مَا أَنْتَنَ هَذه الرّيحَ ! حَتّى يَأْتُون بِه أَرْوَاحَ الْكُفّار.{

-وَفي الْحَديث:إثْبَاتُ تَلَاقي الْأَرْوَاحِ بَعْدَ الْمَوْتِ في عَالَمِ الْبَرْزَخِ وَسُؤالُهُم الرُّوح الْمُقْبلَةَ عَنِ الْأَحْيَاء.

-وَفيه: التّنْبيهُ إلَى فَضْل الْإيمَان، وَمَغبّة الْكُفْر في الْقَبْر وَبَعْدَ الْمَوْت.

•وَعَنْ علَاقَة الْأَموَات بالْأَحْيَاء هَلْ يَسمَعُونَهُمْ وَيَرُدُّنَ عَلَيهِمُ السّلَامَ إذَا سَلّمُوا عَلَيْهِمْ أَثْنَاءَ زيَارَتهِمْ في قُبُورِهمْ فَقَدْ وَرَدَتْ بَعْضُ النُّصُوص في إثْبَات ذَلكَ منْهَا:

-مَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَاريُّ–رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى–في صَحيحه برَقَم (1338)منْ حَديث أَنس بْن مَالك–رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{الْعَبْدُ إذَا وُضعَ في قَبْره، وَتُوُلّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتّى إنّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نعَالهمْ، أَتَاهُ مَلَكَان، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَان لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ في هَذَا الرّجُل مُحَمّد–صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–؟ فَيَقُول: أَشْهَدُ أَنّهُ عَبْدُ اللّه وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إلَى مَقْعَدكَ منَ النّار أَبْدَلَكَ اللّهُ بِه مَقْعَدًا منَ الْجَنّة، قَالَ النّبيُّ–صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–: فَيَرَاهُمَا جَميعًا، وَأَمّا الْكَافرُ – أَو الْمُنَافقُ – فَيَقُولُ: لَا أَدْري، كُنْتُ

أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ}.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَوَضْعِهِ فِي قَبْرِهِ؛ مِنْ أَنَّهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِ مَنْ أَتَى لِدَفْنِهِ، فَيَسْمَعُ صَوْتَ أَرْجُلِهِمْ وَهُمْ مُنْصَرِفُونَ، فَإِذَا انْصَرَفُوا جَاءَهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَسْأَلَانِهِ أَسْئِلَةَ الْقَبْرِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ لِلْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ.

-وَفِيهِ: إِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

-وَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الاسْتِذْكَارِ بِرَقَمِ(١٨٥/١) وَالشَّوْكَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي نَيْلِ الْأَوْطَارِ بِرَقَمِ(٣٠٥/٣)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ}.وَفِي رِوَايَةٍ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-بِرَقَمِ(١٧٣/٢٤):{وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ}.

-فَالْمَيِّتُ يَسْمَعُ -فِي الْجُمْلَةِ- كَلَامَ الْحَيِّ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ السَّمْعُ لَهُ دَائِمًا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، كَمَا قَدْ يَعْرِضُ لِلْحَيِّ؛ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ أَحْيَانًا خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُهُ، وَقَدْ لَا يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ لِلْمَيِّتِ حَيَاةً فِي قَبْرِهِ، فَيَسْمَعُ السَّلَامَ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ اللهُ.

-وَفِيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى مَنْ يَدْخُلُ إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى أَهْلِهَا.

•وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2873)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهِلَالَ،

وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ البَصَرِ، فَرَأَيْتُه ولَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أنّهُ رَآهُ غَيْري، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ:أَمَا تَرَاهُ؟فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمّ أَنْشَأَ يُحَدّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ؛ فَقَالَ: إنّ رَسُولَ اللهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ:{هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إنْ شَاءَ اللّهُ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقّ، مَا أَخْطَؤُوا الْحُدُودَ الّتِي حَدّ رَسُولُ اللهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-، قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-حَتّى انْتَهَى إلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ اللّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللّهُ حَقًّا. قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تُكَلّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟! قَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدّوا عَلَيّ شَيْئًا}.

-وَفِي الْحَدِيثِ: سَمَاعُ الْمَوْتَى لِكَلَامِ الْأَحْيَاءِ.
-وَفِيهِ: إِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ.



مَا تَفْسِيرُ قَوْلِهُ تَعَالَى: : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ}.(الرّوم:٢١)؟.
الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.





أمّا بَعْدُ:



٧-(أحسَنَ اللَّهُ إليْكَ شَيْخَنا :ما تَفْسِيرُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى : {وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجعَل بَيْنَكُمْ مَودَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون} .(الرُّوم:٢١)؟.

جواب

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.(الرُّوم:٢١).

-فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} أيْ أَنَّ خَلْقَ الزّوْجَةِ مِنْ جِنْسِ الزّوْجِ آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الدّالّةِ عَلَى قُدْرَتِه، ووَحْدانيّتِه، وَعَظَمَتِه، وَعِلْمِه، وَرَحْمَتِه، وَعِنَايَتِه بِعِبادِه، وَحِكْمَتِه الْعَظِيمَةِ.

-وَقَوْلُهُ:{أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنْفُسِكُمْ} جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنّ الْخِطَابَ مُوَجّهٌ لِلرِّجَالِ خَاصّةً،وبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ،وصَاحِبِ التّفْسِيرِ الْكَبِيرِ،والطّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ–رَحِمَ اللهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ–يَرَوْنَ أَنّ الْخِطَابَ مُتَوَجّهٌ لِجَمِيعِ النّاسِ،لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ،لِلرِّجَالِ وَلِلنّسَاءِ،فَالزّوْجُ يُقَالُ:

لِلرَّجُلِ كَمَا أَنّهُ يُقَالُ: لِلمرأةِ، وَهِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ الّتِي لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي القُرْآنِ غَيْرُهَا، أمّا لَفْظَةُ الزّوْجَةِ لِلمَرْأَةِ فَإنّ ذَلِكَ إنّمَا جَاءَ فِي الاسْتِعْمَالِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي لُغَيّةٍ قَلِيلَةٍ، أمّا اللُّغَةُ الْأَفْصَحُ، اللُّغَةُ الشّائِعَةُ، فَإنّ المَرْأَةَ يُقَالُ لَهَا: زَوْجٌ مَعَ التّنْبِيهِ عَلَى أَنّ اسْتِعْمَالَ لَفْظَةِ الزّوْجَةِ لَيْسَتْ بِلَحْنٍ لِأنّهَا مِن اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ صَحِيحٌ.

-فَهَذَا الْمَعْنَى الثّانِي تَحْتَمِلُهُ الْآيَةُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلجَمِيعِ ويُؤَيّدُهُ سِيَاقُ الْآيَةِ،ويُمْكِنُ أَنْ يَلْتَئِمَ الْمَعْنَيَانِ فِي هَذَا الْخِطَابِ،

وَلَا نَحْتَاجُ مَعَهُمَا إِلَى التّرْجِيحِ.

-فَعَلَى الْمَعْنَى الْأَوّلِ الّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ وَهُوَ أَنّ الْخِطَابَ مُتَوَجّهٌ لِلرِّجَالِ يَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: حَوّاءُ–عَلَيْهَا السّلَامُ–خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ–عَلَيْهِ السّلَامُ– وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى:{هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا





لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ}.(الأعراف:١٨٩).

-فَقَوْلُهُ:{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}هُوَ آدَمُ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-،وَقَوْلُهُ:{وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} أَيْ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَهِيَ حَوَّاءُ-عَلَيْهَا السَّلَامُ-فَيَكُونُ الْخِطَابُ لِلرِّجَالِ.

-وَعَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي:{مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أَيْ:مِنْ جِنْسِكُمْ ،وَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ،وَالطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ-رَحِمَ اللهُ الْجَمِيعَ-قَالُوا:خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}.(التوبة:١٢٨).

-أَيْ:مِنْ جِنْسِكُمْ، يَعْنِي لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَا مِنَ الْجِنِّ، وَإِنَّمَا مِنَ الْإِنْسِ، تَفْهَمُونَ عَنْهُ، وَتَتَلَقَّوْنَ عَنْهُ، وَتُشَاكِلُونَهُ، وَيُشَاكِلُكُمْ،

-وَعَلَى هَذَا فَالْآيَةُ تَحْتَمِلُ الْمَعْنَيَيْنِ،فَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى لِلرَّجُلِ زَوْجًا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا،وَيَطْمَئِنَّ لِذَلِكَ، وَتَطِيبَ بِهِ نَفْسُهُ، وَيَرْكَنَ إِلَى هَذَا الزَّوْجِ - يَعْنِي الزَّوْجَةَ - ،وَلِكَيْ يَتَحَقَّقَ السَّكَنُ فَلَابُدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الزَّوْجَةُ مِنْ جِنْسِ زَوْجِهَا ،فَلَوْ كَانَتْ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ لَمْ يَحْدُثِ السَّكَنُ،فَالْجِنْسَانِ الْمُخْتَلِفَانِ لَا يَسْكُنُ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ بِحَالٍ، وَلَا يَمِيلُ إِلَيْهِ،وَبِهَذَا احْتَجَّ جَمْعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى بُطْلَانِ دَعْوَى إِمْكَانِ التَّزَوُّجِ مِنْ جِنِّيَّةٍ ،أَوِ التَّزَاوُجِ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِاخْتِلَافِ الْجِنْسَيْنِ مِمَّا يُعَطِّلُ السَّكَنَ وَالْمَيْلَ.

-وَقَوْلُهُ:{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} هَذَا تَعْلِيلٌ لِمِنَّةِ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِ الزَّوْجَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ لِمَاذَا؟،{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} فَالْأُسْرَةُ أَعْظَمُ بِيئَةٍ لِلسَّكَنِ،وَالسَّكَنُ وَالسُّكُونُ دَلَالَةٌ عَلَى الْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالرَّاحَةِ،لِأَنَّ الَّذِي يُقَابِلُ السُّكُونَ الْحَرَكَةُ وَالِاضْطِرَابُ ،فَالزَّوْجُ حِينَ يَنْتَشِرُ وَيَتَحَرَّكُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ،وَيَلْقَى مَا يَلْقَى مِنَ التَّعَبِ وَالْعَنَاءِ،فَإِنَّهُ حِينَ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ وَإِلَى زَوْجِهِ يَجِدُ الرَّاحَةَ وَالسَّكَنَ

،يَجِدُ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ في انْتظَارِه تَبْتَسِمُ لَهُ فَتُنْسيه تَعَبَ الْيَوْمِ
تَقُومُ عَلَى مَصَالِحِهِ وَشُئُونِ الْبَيْتِ،وتُرَبِّي لَهُ وَلَدَهُ ،فيَتَحَوَّلُ الزَّوْجُ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ وَالْعَنَاءِ خَارِجَ الْبَيْتِ إِلَى السَّكَنِ وَالرَّاحَةِ وَالاطْمِئْنَانِ فِي كَنَفِ زَوْجَةٍ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ،وَإِذَا أَمَرَهَا بِالْمَعْرُوفِ أَطَاعَتْهُ،وَإِذَا أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ،وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ،إِنَّهَا نِعْمَ السَّكَنِ لِنَفْسِ زَوْجِهَا،وَلِرَاحَةِ بَالِهِ.
-وَانْتَبِهِ إِلَى دِقَّةِ اللَّفْظِ فِي قَوْلِهِ:{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا الْفِعْلُ
(تَسْكُنُوا)عُدِّيَ بِـ(إِلَى)دَلِيلٌ عَلَى السَّكَنْ النَّفْسِيِّ،مَا قَالَ:(لِتَسْكُنُوا عِنْدَهَا) أَوْ (لِتَسْكُنُوا مَعَهَا)بَلْ قَالَ:{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} وَالْمَعْنَى لِتَمِيلُوا إِلَيْهَا وَتَطْمَئِنَّ نُفُوسُكُم،لِذَلِكَ عِنْدَمَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِتَدَبُّرٍ نَلْحَظُ الْفَرْقَ الدَّقِيقَ بَيْنَ اسْتِعْمَالِ لَفْظَةِ(الزَّوْج)
وَلَفْظَةِ(الْمَرْأَة)،فَلَفْظَةُ(الزَّوْج)فِي الْقُرْآنِ تُطْلَقُ عَلَى الْمَرْأَةِ عِنْدَمَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا تَوَافُقٌ وَانْسِجَامٌ وَسَكَنٌ نَفْسِيٌّ وَتَوَافُقٌ فِي الْمُعْتَقَدِ وَالْفِكْرِ وَالسُّلُوكِ وَالْخُلُقِ،فَإِنْ لَمْ يَكُنِ السَّكَنُ وَالتَّوَافُقُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ ،وَلَمْ يَكُنِ الانْسِجَامُ بَيْنَهُمَا يُطْلِقُ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا لَفْظَةَ الْمَرْأَةِ وَإِلَيْكَ الْبَيَانُ:
-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ}.(الْبقرة:٣٥).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا}.(الأحزاب:٦).
-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.(الرّوم:٢١).
-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.(الفرقان:٧٤).





-فعِنْدَمَا كَانَ السّكَنُ وَالتّوَافُقُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ وَالسُّلُوكِ وَالْخُلُقِ جَاءَتْ لَفْظَةُ(الزّوْج).

-ثُمّ تَأَمّلْ هَذِهِ النُّصُوصَ:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} .(التّحريم:١٠).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}.(التّحريم:١١).

-فَفِي الْآيَاتِ السّابِقَةِ لَمْ يَحْدُثْ التّوَافُقُ وَالانْسِجَامُ فِي الْمَنْهَجِ وَالْمُعْتَقَدِ فَجَاءَتْ لَفْظَةُ(الْمرْأة).

-ولَعَلّ إِشْكَالًا يَثُورُ حَوْلَ قَوْلِه تَعَالَى عَنْ أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتِه فَرغْمَ الاتّفَاق فِي الكُفْرِ وَالْعِنَادِ قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَامْرَأَتُه حَمّالَةَ الْحَطَبِ}.(المسد:٤). فَرغْم التّوَافُق بيْنَهُمَا فِي الْكُفْرِ مَا سمّاهَا زَوْجًا بَل قَالَ:{وَامْرَأَتُهُ}،ويَزُوْلُ هَذَا الْإِشْكَالُ بُوَصْفِهَا:{حَمّالَةَ الْحطَبِ}حيْثُ أَنّهُ يَأْخُذُ أحَدَ مَعْنيَيْنِ:الْأوّلُ أَنها كَانَتْ تَحْمِلُ الشّوْكَ وتَضَعُهُ فِي طَرِيقِ النّبِيّ-صلّى اللهُ علَيْه وَسَلّمَ-لِتُؤذِيه،وَالثّانِي أَنّهَا يَومَ الْقِيامَةِ ستَحمِلُ الْحَطَبَ فِي نَارِ جَهَنّمَ وتُلْقِيهِ عَلَى رَأسِ أَبِي لَهَبٍ لِيَزْدَادَ عَذَابًا،وَهنَا عَدَمُ التّوافُقِ بيْنَهُمَا بِصِفَتِهَا الّتِي خَالَفَتْ فِيهَا أَبَا لَهَبٍ.

-وَيُجَابُ أَيْضًا عَلَى قَوْلِ نَبِيِّ اللهِ زَكَرِيّا-عَلَيْهِ السّلَامُ-:{قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا}.(مريم:٨).فَرغْمَ التّوَافُقِ فِي الْمَنْهَجِ ذُكِرتْ بِلَفْظَةِ

(امْرَاتِي)السّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ كَوْنِ الْحَيَاةِ الزّوْجِيّةِ لَيْسَتْ كَامِلَةً بِسَبَبِ أَنّهَا كَانَتْ عَاقِرًا،فَلَمّا دعَا زَكَرِيّا رَبّهُ وَاسْتَجَابَ اللهُ دَعَاءَهُ وَأَصْلَحَهَا ذَكَرَهَا بِلَفْظَةِ(الزّوْجِ)لِكَمَالِ الْحَيَاةِ الزّوْجِيّةِ فَقَال تَعَالَى:{فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ}.(الأنبياء:٩٠).

•فَالزّوْجَةُ حَقًّا هِيَ السّكَنُ،فَإِذَا فُقِدَ السّكَنُ فَلَا أُسْرَةَ وَلَا اسْتِقْرَار.

•قَوْلُهُ:{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدّةً وَرَحْمَةً} أَيْ:بِمَا رَتّبَ عَلَى الزّوَاجِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلمَوَدّةِ وَالرّحْمَةِ.

-فَحَصَلَ بِالزّوْجَةِ الاسْتِمْتَاعُ وَاللّذّةُ وَالْمَنْفَعَةُ بِوُجُودِ الْأَوْلَادِ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَالسُّكُونُ إِلَيْهَا، فَلَا تَجِدُ بَيْنَ أحَدٍ فِي الْغَالِبِ مِثْلَ مَا بَيْنَ الزّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدّةِ وَالرّحْمَةِ كَمَا قَالَ الْعَلّامَةُ السّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

-وَلِلشّيْخِ الطّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–كَلَامٌ طَيّبٌ مُفِيدٌ فِي تَفْسِيرِهِ الْمَوْسُومِ بـ(بِالتّحْرِيرِ وَالتّنْوِيرِ)لِهَذِهِ الْآيَةِ:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.(الرُّوم:٢١).

-حَيْثُ قَالَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:{هَذِهِ آيَةٌ ثَانِيَةٌ فِيهَا عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ بِنِظَامِ النّاسِ الْعَامِ وَهُوَ نِظَامُ الازْدِوَاجِ وَكَيْنُونَةِ الْعَائِلَةِ وَأَسَاسِ التّنَاسُلِ ، وَهُوَ نِظَامٌ عَجِيبٌ جَعَلَهُ اللهُ مُرْتَكِزًا فِي الْجِبِلّةِ لَا يَشِذُّ عَنْهُ إِلّا الشُّذّاذُ.

وَهِيَ آيَةٌ تَنْطَوِي عَلَى عِدّةِ آيَاتٍ مِنْهَا :

أَنْ جُعِلَ لِلإِنْسَانِ نَامُوسُ التّنَاسُلِ ، وَأَنْ جُعِلَ تَنَاسُلُهُ بِالتّزَاوُجِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ كَتَنَاسُلِ النّبَاتِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَ الْإِنْسَانِ مِنْ صِنْفِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهَا مِنْ صِنْفٍ آخَرَ لِأَنّ التّأَنُّسَ لَا يَحْصُلُ بِصِنْفٍ مُخَالِفٍ ، وَأَنْ جَعَلَ فِي ذَلِكَ التّزَاوُجِ أُنْسًا بَيْنَ الزّوْجَيْنِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ تَزَاوُجًا عَنِيفًا أَوْ مُهْلِكًا كَتَزَاوُجِ الضّفَادِعِ ، وَأَنْ جَعَلَ بَيْنَ كُلِّ زَوْجَيْنِ مَوَدّةً





وَمَحبّةً فَالزّوْجَانِ يَكُونَانِ مِنْ قَبْلِ التّزَاوُجِ مُتَجَاهِلَيْنِ فَيُصبحَانِ بَعْدَ التّزَاوُجِ مُتَحَابَيْنِ ، وَأَنْ جَعَلَ بَيْنَهُمَا رَحْمَةً فَهُمَا قَبْلَ التّزَاوُجِ لَا عَاطِفَةَ بَيْنَهُمَا فَيُصْبحَانِ بَعْدَهُ مُتَرَاحِمَيْنِ كَرَحْمَةِ الْأُبُوّةِ وَالْأُمُومَةِ ، وَلِأَجْلِ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ هَذَا الدّلِيلُ وَيَتْبَعُهُ مِنَ النّعَمِ وَالدّلَائِلِ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَاتٍ عِدّةً فِي قَوْلِهِ { إنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ}.وَهَذِهِ الْآيَةُ كَائِنَةٌ فِي خَلْقِ جَوْهَرِ الصّنْفَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ :

صِنْفِ الذّكَرِ،وَصِنْفِ الْأُنْثَى ، وَإِيدَاعِ نِظَامِ الْإِقْبَالِ بَيْنَهُمَا فِي جِبِلّتِهِمَا.وَذَلِكَ مِنَ الذّاتِيّاتِ النّسْبِيّةِ بَيْنَ الصّنْفَيْنِ . وَقَدْ أُدْمِجَ فِي الِاعْتِبَارِ بِهَذِهِ الْآيَةِ امْتِنَانٌ بِنِعْمَةٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَشَارَ إِلَيْهَا قَوْلُهُ { لَكُمْ } أَيْ لِأَجْلِ نَفْعِكُمْ.

وَ {لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ} مُتَعَلّقٌ بـ { آيَاتٍ} لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الدّلَالَةِ.

وَجُعِلَتِ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ لِأَنّ التّفَكّرَ وَالنّظَرَ فِي تِلْكَ الدّلَائِلِ هُوَ الّذِي يُجَلّي كُنْهَهَا وَيَزِيدُ النّاظِرَ بَصَارَةً بِمَنَافِعَ أُخْرَى فِي ضِمْنِهَا.

وَالّذِينَ يَتَفَكّرُونَ : الْمُؤْمِنُونَ وَأَهْلُ الرّأْيِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ . وَالْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ { أَنْ خَلَقَ لَكُمْ } لِجَمِيعِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الذّكُورِ وَالْإِنَاثِ.

وَالزّوْجُ : هُوَ الّذِي بِهِ يَصِيرُ لِلْوَاحِدِ ثَانٍ فَيُطْلَقُ عَلَى امْرَأَةِ الرّجُلِ وَرَجُلِ الْمَرْأَةِ فَجَعَلَ اللهُ لِكُلِ فَرْدٍ زَوْجَهُ.

وَمَعْنَى { مِنْ أَنْفُسِكُمْ } مِنْ نَوْعِكُمْ ، فَجَمِيعُ الْأَزْوَاجِ مِنْ نَوْعِ النّاسِ ، وَأَمّا قَوْلُ تَأَبّطَ شَرّاً:

-وَتَزَوّجْتُ فِي الشّبِيبَةِ غُولاً

بِغَزَالٍ وَصَدَقَتِي زِقّ خَمْرِ.

فَمِنْ تَكَاذِيبِهِمْ ، وَكَذَلِكَ مَا يَزْعُمُهُ الْمُشَعْوِذُونَ مِنَ التّزَوّجِ بِالْجِنّيّاتِ وَمَا يَزْعُمُهُ أَهْلُ الْخُرَافَاتِ وَالرّوَايَاتِ مِنْ وُجُودِ بَنَاتٍ فِي الْبَحْرِ وَأَنّهَا قَدْ يَتَزَوّجُ بَعْضُ الْإِنْسِ بِبَعْضِهَا

.

وَالسُّكُونُ : هُنَا مُسْتَعَارٌ للتَّأَنُّسِ وَفَرحِ النَّفْسِ لِأَنّ فِي ذَلِكَ زَوَالَ اضْطِّرَابِ الْوَحْشَةَ وَالْكَمَدِ بِالسُّكُونِ الَّذِي هُوَ زَوَالُ اضْطِّرَابِ الْجِسْمِ كَمَا قَالُوا : اطْمَأَنّ إِلَى كَذَا وَانْقَطَعَ إِلَى كَذَا.

وَضَمَّنَ { لِتَسْكُنوا } مَعْنَى لِتَمِيلُوا فَعُدِّيَ بِحَرْفِ (إِلَى) وَإِنْ كَانَ حَقُّهُ أَنْ يُعَلَّقَ بـ (عِنْدَ) وَنَحْوِهَا مِنَ الظُّرُوفِ.

وَالْمَوَدَّةُ :الْمَحَبَّةُ ، وَالرَّحْمَةُ : صِفَةٌ تَبْعَثُ عَلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَة.

وَإِنَّمَا جُعِلَ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ بِاعْتِبَارِ اشْتِمَالِ ذَلِكَ الْخُلُقِ عَلَى دَقَائِقَ كَثِيرَةٍ مُتَوَلِّدٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ يُظْهِرُهَا التَّأَمُّلُ وَالتَّدبرُ بِحَيْثُ يَتَجَمَّعُ مِنْهَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ.

وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ { لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } مَعْنَاهُ شِبْهُ التَّمْلِيكِ وَهُوَ مَعْنَى أَثْبَتَهُ صَاحِبُ (مُغْنِي اللَّبِيبِ) وَيَظْهَرُ أَنَّهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَ مَعْنَى التَّمْلِيكِ وَمَعْنَى التَّعْلِيلِ . وَمَثَّلَهُ فِي (الْمُغْنِي) بِقَوْلِهِ تَعَالَى { جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا }.(النّحل : ٧٢) وَذَكَرَ فِي الْمَعْنَى الْعِشْرِينَ مِنْ مَعَانِي اللَّامِ أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ فِي (كَافِيَتِهِ) سَمَّاهُ لَامَ التَّعْدِيَةِ وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ تَعْدِيَةً خَاصَّةً ، وَمَثَّلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا }.(مريم : ٥).

•فَغَايَةُ الزَّوَاجِ قِيَامُ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَدَوَامُ الْعَطْفِ،

فَإِنْ كَانَتْ الْمُعَاشَرَةُ بِالْوَطْءِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِشْبَاعًا لِلْغَرِيزَةِ وَالِاتِّصَالِ الْمَادِيِّ،فَالْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ إِشْبَاعًا لِحَاجَاتِ الرُّوحِ وَاتِّصَالِ النُّفُوسِ،فَإِذَا كَانَتْ الْأُسْرَةُ مَبْنِيَّةً عَلَى أَسَاسٍ مِنْ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى،فَإِنَّ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ تَصِلُ لِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنَ الْحُبِّ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،وَتُصْبِحُ الصِّلَةُ الرُّوحِيَّةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ تَفُوقُ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ الصِّلَةَ بِأَقْرَبِ النَّاسِ،وَتَسْتَمِرُّ حَتَّى سِنِّ الْكِبَرِ وَالْمَشِيبِ،وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ مَعَانِي لَطِيفَةً فِي الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ نَقَلَهَا الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ:{(وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ : الْمَوَدَّةُ الْجِمَاعُ ، وَالرَّحْمَةُ الْوَلَدُ ؛ وَقَالَهُ الْحَسَنُ . وَقِيلَ : الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ عَطْفُ قُلُوبِهِمْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ . وَقَالَ السُّدِّيُّ : الْمَوَدَّةُ :





الْمَحَبّةُ ، وَالرّحْمَةُ : الشّفَقَةُ ؛ وَرُوِي مَعْنَاه عَن ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ : الْمَوَدّةُ حب الرّجُلِ امْرَأَتَه ، وَالرّحْمَةَ رَحْمَتُه إيّاها أَنْ يُصِيبَهَا بِسُوءٍ }.

•هَذَا وَاللّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



مَا تَفْسِيرُ:(وَالّذِينَ هُمْ عَنِ اللّغْوِ مُعْرِضُونَ)

الْحَمْدُ لِلّه وَحْدَه،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَه.

أَمّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:



٨-بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ شَيْخَنَا:مَا تَفْسِيرُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}.(المؤمنون:٣).



-فَمِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْإِعْرَاضُ عَنْ كُلِّ كَلَامٍ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا فَائِدَةَ.

-فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}.(المؤمنون:٣).

بَيَانٌ لِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ الْإِعْرَاضُ عَنِ اللّغْوِ.

-وَاللّغْوُ :مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ ،فَيَدْخُلُ فِيهِ اللّهْوُ وَالْهَزْلُ وَكُلُّ مَا يَخِلُّ بِالْمُرُوءَةِ وَبِآدَابِ الْإِسْلَامِ.

-أَىْ : أَنّ مِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَنّهُمْ يَنَزّهُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ وَالسّاقِطِ مِنَ الْقَوْلِ أَوِ الْفِعْلِ ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ ذَلِكَ فِى كُلّ أَوْقَاتِهِمْ لِأَنّهُمْ لِحُسْنِ صِلَتِهِمْ بِاللّه تَعَالَى اشْتَغَلُوا بِعَظَائِمِ الْأُمُورِ وَجَلِيلِهَا : لَا بِحَقِيرِهَا وَسَفْسَافِهَا ، وَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللّهُ تَعَالَى

فِي آيَاتٍ أُخْرَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ}.(القصص:٥٥)،وكَقَوْلِهِ تَعالَى:{وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا}.(الفرقان:٧٢).

•وَمِنْ مَحَاسِنِ التَّشْرِيعِ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّهُ أَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}.(الأعراف:١٥٧).

-وَالطَّيِّبَاتُ لَيْسَتْ أَمْرًا خَاصًّا بِالْمَأْكُولَاتِ، بَلْ مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَلْبُوسَاتِ وَالْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ وَالْمَشْمُومَاتِ، مِمَّا تَسْتَطْيِبُهُ وَتَتَلَذَّذُ بِهِ الْحَوَاسُّ الْمُخْتَلِفَةُ مِنَ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَالشَّمِّ وَالذَّوْقِ وَ اللَّمْسِ وَغَيْرِهَا.

-وَمِنْ هَذِهِ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَبَاحَهَا الْإِسْلَامُ اللَّهْوُ الْمُبَاحُ الَّذِي لَا يَخْرِمُ الْمُرُوءَةَ،بَلْ فِيهِ تَرْوِيحٌ عَنِ النَّفْسِ لِتَسْتَعِيدَ نَشَاطَهَا فِي الْعِبَادَةِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (2750)مِنْ حَدِيثِ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأُسَيْدِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ:نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ،فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ،حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،

نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ،حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ،عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.{

-فَقَوْلُهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً}، أَيْ: سَاعَةً فِي الْحُضُورِ وَالذِّكْرِ، وَسَاعَةً فِي مُعَافَسَةِ الْأَوْلَادِ وَالْأَزْوَاجِ، وَكَرَّرَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ تَأْكِيدًا لِتِلْكَ الْمَعَانِي ولِيُزِيلَ عَنْهُمْ مَا اتَّهَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ النِّفَاقِ .

-وَفِي الْحَدِيثِ:عَدْلُ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي إِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ مِنَ النَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ وَالزَّوْجَاتِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

-وَفِيهِ:التَّعَبُّدُ إِلَى اللَّهِ بِرَاحَةِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَثْقَلَ عَلَى نَفْسِهِ مَلَّ وَتَعِبَ وَرُبَّمَا أَضَاعَ حُقُوقًا كَثِيرَةً.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِرَقَمِ(٨٩٤٠)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ لَهْوٌ أَوْ سَهْوٌ إِلَّا أَرْبَعَ خِصَالٍ : مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ – الْمَرْمَى – وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ وَتَعْلِيمُهُ السِّبَاحَةَ.{

-فَقَدْ أَبَاحَ الشَّرْعُ أَنْوَاعًا مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ دُونَ أَنْ تَشْغَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ، وَقَدْ بَيَّنَهَا الرَّسُولُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ ،فَقَالَ:{مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ – الْمَرْمَى–}، وَالْغَرَضُ هُوَ الْهَدَفُ، وَهُوَ مَا يُرْمَى فِيهِ، وَالْمَشْيُ بَيْنَ الْهَدَفَيْنِ هُوَ لِلرَّمْيِ، وَهُوَ لِتَحْصِيلِ الدِّقَّةِ فِي التَّصْوِيبِ،وَالْقُوَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ،{وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ}، أَيْ: تَهْيِئَتُهُ وَإِعْدَادُهُ، وَتَدْرِيبُهُ وَتَعْلِيمُهُ لِمَهَارَاتِ الْقِتَالِ وَالْجَرْيِ وَالْمُسَابَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا الِاسْتِعْدَادُ يَكُونُ لِلْعَدُوِّ فِي الْعَادَةِ،وَفِي زَمَانِنَا يَشْمَلُ اعْتِنَاءَ الْجُنْدِيِّ بِسِلَاحِهِ بِتَفْكِيكِهِ وَتَرْكِيبِهِ وَتَهْيِئَتِهِ وَإِعْدَادِهِ ،{وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ}، وَهُوَ مَا يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ

وَأهْلِه مِنَ الْعِشْرَةِ الزّوْجِيّةِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُلَاطَفَةِ بِالْمُؤانَسَةِ وَالتّوَدّدِ، وَرُبّمَا عَرّضَ بِهَا عَنِ الْجِماعِ وَمُقَدّمَتِه،{وتَعلُّمُه السّبَاحَةَ}، أيْ: لتَحْصِيلِ الصّحّةِ والقُوّةِ بتعَلّمِ الْعَوْمِ فِي الْمَاءِ؛ فَهَذِهِ الْمَلَاهِي ومَا كَانَ فِي مَعْنَاهَا وَصفَهَا النّبيّ-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ- بِأنّهَا حَقٌ، ومَا عدَاهَا فَبَاطِلٌ، ومَعْنَى بَاطِلٍ: أنّهُ لَا خَيْرَ فيهِ، ولَا نَفْعَ مِنْهُ، فَعلَى الْإنْسَانِ ألّا يَلْهُوَ فيمَا لَا يَنْفَعُ.

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه برَقَمِ (5199)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ-:{يَا عَبْدَ اللّهِ، ألَمْ أُخْبَرْ أنّكَ تَصُومُ النّهارَ وتَقُومُ اللّيْلَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وأَفْطِرْ، وَقُمْ ونَمْ، فَإنّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّا، وإنّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا}.،وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْبُخَارِيّ أيْضاً برَقَمِ(٥٠٥٢)أنّ عَبْدَ اللّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:أنْكَحَنِي أبِي امْرَأةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنّتَهُ، فَيَسْألُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرّجُلُ مِنْ رَجُلٍ؛ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أتَيْنَاهُ، فَلَمّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنّبِيّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-، فَقَالَ: الْقَنِي بِهِ، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ قَالَ: كُلّ يَوْمٍ، قَالَ: وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟ قَالَ: كُلّ لَيْلَةٍ، قَالَ: صُمْ فِي كُلّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَأْ الْقُرْآنَ فِي كُلّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ ثَلَاثَةَ أَيّامٍ فِي الْجُمُعَةِ، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ أَفْضَلَ الصّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ: صِيَامَ يَوْمٍ، وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرّةً. فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ؛ وَذَاكَ أَنّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السّبُعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنّهَارِ، وَالّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النّهَارِ؛ لِيَكُونَ أَخَفّ عَلَيْهِ بِاللّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوّى أَفْطَرَ أَيّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ النّبيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- عَلَيْهِ.{

-كَانَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعْبَدَ النَّاسِ للَّهِ تَعَالَى، وأَحْرَصَهُمْ عَلَى مَرْضَاتِه، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ عَلَّمَنَا اليُسْرَ فِي الْعِبَادَةِ، وأَخْذَ النَّفْسِ بِمَا تَسْتَطِيعُ، وتَرْكَ التَّشْدِيدِ عَلَيْهَا، فَيَجْمَعُ الْإِنْسَانُ بَيْنَ دُنْيَاهُ وآخرتِه.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: الاقْتِصَادُ فِي بَعْضِ الْعِبَادَاتِ؛ لِيَتَبَقَّى بَعْضُ الْقُوَّةِ لِغَيْرِهَا .

-وَفِيه:بيَانُ رِفقِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بِأُمَّتِه، وشَفَقَتِه عَلَيْهِمْ، وَإِرْشَادِه إيَّاهُمْ إِلَى مَا يُصلِحُهُمْ، وحَثِّهِ إيَّاهُمْ عَلَى مَا يُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيْهِ، ونَهْيِهِمْ عَنِ التَّعَمُّقِ فِي الْعِبَادَةِ؛ لِمَا يُخْشَى مِنْ إِفْضَائِه إِلَى الْمَلَلِ أَوْ تَرْكِ الْبَعْضِ.

-وَفِيه: تَقْدِيمُ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّ الْأَهْلِ عَلَى التَّطَوُّعِ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ.

-وَفِيه: الْإِخْبَارُ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْأَوْرَادِ، ومَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ أَمْنِ الرِّيَاءِ.

-وَفِيه:تَفَقُّدُ الْوَالِدِ أَحْوَالَ وَلَدِه وزَوْجَتِه فِي بَيْتِه.

-وَفِيه: استِخْدَامُ الْكِنَايَاتِ فِي الْكَلَامِ عمَّا يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ،كَمَا فَعَلَتْ زَوْجَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جَمِيعًا-عِنْدَمَا سَأَلَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-عَنْ حَالِ وَلَدِه مَعَهَا فَقَالَتْ:{نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ؛ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ}.أي: لَمْ يُضَاجِعْنَا حَتَّى يَطَأَ لَنَا فِرَاشًا،{وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا}، أيْ: سَاتِرًا {مُنْذُ أَتَيْنَاهُ}، وكَنَّتْ بِذَلِكَ عَنْ تَرْكِهِ لِجِمَاعِهَا؛ إِذْ عَادَةُ الرَّجُلِ إِدْخَالُ يَدِه فِي دَاخِلِ ثَوْبِ زَوْجَتِه.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرَقَمِ (4932)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ ، وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ ، فَهَبَّتْ رِيحٌ ، فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ؟ قَالَتْ : بَنَاتِي ، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ ؟ قَالَتْ : فَرَسٌ ، قَالَ : وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ ؟ قَالَتْ : جَنَاحَانِ ، قَالَ : فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ ؟





قَالَتْ : أَمَا سَمِعْتَ أَنّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ ؟ قَالَتْ:فَضَحِكَ حَتّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ {
.
-هَذَا الْحِوَارُ بَيْنَ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- وَزَوْجَتِه أُمّ الْمُؤمنينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا- يَدُلُّ عَلَى أَنّهُ يَسْتَوْضِحُ الْأُمُورَ أَوّلًا، ثُمّ لَوْ عَلِمَ فِيهَا حُرْمَةً نَهَى عَنْهَا، وَلَكِنّ ضَحِكَهُ وَعَدَمَ نَهْيِهَا يُشْعِرُ بِمَشْرُوعِيّةِ هَذِهِ الْأَلْعَابِ.
-وَفِي الْحَدِيثِ:مُرَاعَاةُ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- لِأَحْوَالِ زَوْجَاتِهِ، وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ لَهُنّ، وَمُحَاوَرَتُهُ لَهُنّ، وَالضّحِكُ مَعَهُنّ.
-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(3691)مِنْ حَدِيثِ أُمّ الْمُؤمنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- جَالِسًا فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صِبْيَانٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- فَإِذَا حَبَشِيّةٌ تَزْفِنُ وَالصّبْيَانُ حَوْلَهَا ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ تَعَالَي فَانْظُرِي . فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيَيّ عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللّهِ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ لِي : أَمَا شَبِعْتِ ، أَمَا شَبِعْتِ . قَالَتْ : فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَا لِأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ عُمَرُ ، قَالَتْ : فَارْفَضّ النّاسُ عَنْهَا : قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- : إِنّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجِنّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ قَالَتْ فَرَجَعْتُ}.

-فَمِنْ يُسْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ أَبَاحَ بَعْضَ اللّهْوِ وَمِنْ ذَلِكَ لَعِبُ أَطْفَالِ الْحَبَشَةِ فِي سَاحَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-
بِالدُّرَقِ وَالْحِرَابِ ،وَدُعَاءُ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-لِأُمّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-لِتَنْظُرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ.
-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ عَظِيمِ خُلُقِهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-، وَغَلَبَةِ صِفَةِ الْحِلْمِ وَالْجَمَالِ عَلَيْهِ.





-وَفِيهِ: مَشْرُوعِيَّةُ اللَّهْوِ الْمُبَاحِ كَمَا حَدَّدَهُ الشَّرْعُ، وَأَنَّ فِي الْإِسْلَامِ فُسْحَةً بِمَا لَا يُخِلُّ بِثَوَابِتِ الدِّينِ.

-وَفِيهِ: مَنْقَبَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(2578)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ.{

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ:تَوَاضُعُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلُطْفُهُ مَعَ أَهْلِهِ، وَمُلَاعَبَتُهُ لَهُنَّ ،وَإِقْرَارُهُ لِلَهْوِ الْمُبَاحِ،وَبَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ.

•حَقًّا مَا أَجْمَلَ التَّشْرِيعَ فِي الْإِسْلَامِ حَيْثُ أَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ!!

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِ اللَّهِ:{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}وَقَوْلِ النَّبِيِّ:{لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ}؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ :

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

سؤال

٩-أحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكُمْ شَيْخَنَا:أثَارَ أحدُ الْمُتَطَاوِلِينَ علَى الْإسْلَامِ شُبْهَةً فَقَالَ:يَذْكُرُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِه : {لَنْ يَدْخُلَ أحَدَكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِه} .(الْبُخَارِيُّ:٥٦٣٧) ،ويَقُولُ اللَّهُ فِي كِتَابِه : {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} .(النَّحل:٣٢)مَنْ نُصَدِّقُ اللَّهَ أمِ الْبُخَارِيَّ الَّذِي يُعَادِي كِتَابَ اللَّهِ؟هَذَا كَلَامُ هَذَا الْمُتَطَاوِلِ فَكَيْفَ نَرُدُّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ؟

جواب

-هَذِه شُبْهَةٌ وَاهِيَةٌ هَزِيلَةٌ لَا تَثُورُ إلّا عِنْدَ الْبُلَهَاءِ مِنَ الْأغْتَامِ الْجَاهِلِينَ،وأنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِينَ،الّذِينَ أضَاعُوا أعْمَارَهُمْ لَهْثًا وَرَاءَ ثَقَافَةٍ لَا تُسْمِنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ،فَضَلُّوا وَأضَلُّوا،وَالضَّلَالُ وَالْإِضْلَالُ ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الْجَهْلِ وَالْكِبْرِ عَلَى التَّعَلُّمِ وَإهْمَالِ التَّخَصُّصِ.

-وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أحَدٌ أنْ يَفْهَمَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ إلّا إذَا كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ،وَخُلَاصَةُ الرَّدِّ عَلَى شُبْهَةِ هَذَا الْجَهُولِ:أنّ (الْبَاءَ)

فِي الْآيَةِ هِيَ بَاءُ السَّبَبِيَّةِ،وَفِي الْحَدِيثِ النّبَوِيِّ هِيَ بَاءُ الْمُعَاوَضَةِ،

وَإلَيْكَ التَّفْصِيلُ:

•قَالَ شَيْخُ الْإسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ:٥٢٧/١:{ اعْتِيَادُ اللُّغَةِ يُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ وَالدِّينِ تَأْثِيرًا قَوِيًّا بَيِّنًا، وَيُؤَثِّرُ أيْضًا فِي مُشَابَهَةِ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمّةِ مِنَ الصّحَابَةِ وَالتّابِعِينَ،وَمُشَابَهَتُهُمْ تَزِيدُ الْعَقْلَ وَالدّينَ وَالْخُلُقَ.

-وَأيْضًا فَإنّ نَفْسَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيّةِ مِنَ الدِّينِ، وَمَعْرِفَتُهَا فَرْضٌ وَاجِبٌ؛ فَإنّ فَهْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنّةِ فَرْضٌ، وَلَا يُفْهَمُ إلّا بِفَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيّةِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.{

•وَلِتَأكِيدِ كَلَامِ شَيْخِ الْإسْلَامِ حَوْلَ وُجُوبِ فَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيّةِ لِفَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنّةِ أضْرِبُ مِثَالًا:





-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.(الْأعراف:٤٣).

-وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{الّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.(النّحل:٣٢).

-وَمَاأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٦٧٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ ، وَلَا أَنَا ، إِلّا أَنْ يَتَغَمّدَنِيَ اللّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ}.وَفِي رِوَايَةٍ:{لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنّةَ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلّا أَنْ يَتَغَمّدَنِي اللّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنّيَنّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ: إِمّا مُحْسِنًا، فَلَعَلّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمّا مُسِيئًا، فَلَعَلّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ}.

•فَهَلْ يُوجَدُ تَعَارُضٌ بَيْنَ الْآيَاتِ وَالْحَدِيثِ؟.

-وَالْجَوَابُ لَا يُوجَدُ تَعَارُضٌ الْبَتّةَ،فَالْفَهْمُ يَتَوَقّفُ عَلَى فَهْمِ اللّغَةِ الْعَرَبِيّةِ ،فَمِنْ قَوَاعِدِ اللّغَةِ الْعَرَبِيّةِ(حُرُوفُ الْجَرِّ)وَمِنْهَا حَرْفُ

(الْبَاءِ)الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ فِي قَوْلِ اللّهِ:{ادْخُلُوا الْجَنّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، وَفِي قَوْلِ النّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:{وَاعْلَمُوا أَنّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ}.

-فَمِنْ مَعَانِي حَرْفِ(الْبَاءِ):(السّبَبِيّةُ)وَهِيَ الْمُثْبَتَةُ فِي الْآيَةِ أَيْ:بِسَبَبِ إِيمَانِكُمْ وَعَمَلِكُمُ الصّالِحِ أَكْرَمْنَاكُمْ بِدُخُولِ الْجَنّةِ،

وَ(الْمُعَاوَضَةُ)أَيْ:الثّمَنِيّةُ وَهِيَ الْمَنْفِيّةُ فِي حَدِيثِ النّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-فَالْعَمَلُ لَنْ يَكُونَ ثَمَنًا لِلْجَنّةِ أَبَدًا.





•سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيّةَ–رَحِمَهُ اللّهُ ، تَعَالَى–عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :{ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.(الْأعراف:٤٣) } هَلْ يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنّةَ بِعَمَلِهِ ، أَمْ يَنْقضهُ قَوْلُهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– :{ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنّةَ بِعَمَلِهِ قِيلَ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ وَلَا أَنَا إلّا أَنْ يَتَغَمّدَنِي اللّهُ بِرَحْمَتِهِ} .

-فَأَجَابَ :

{الْحَمْدُ لِلّهِ ؛ لَا مُنَاقَضَةَ بَيْنَ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ وَمَا جَاءَت بِهِ السّنّةُ ؛ إِذْ الْمُثْبَتُ فِي الْقُرْآنِ ، لَيْسَ هُوَ الْمَنْفِيُّ فِي السّنّة ، وَالتّنَاقُضُ إِنّمَا يَكُونُ : إِذَا كَانَ الْمُثْبَتُ هُوَ الْمَنْفِيُّ ،وَذَلِكَ أَنّ اللّهَ تَعَالَى قَالَ :{أَنْ تِلْكُمُ الْجَنّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وَقَالَ : {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخَالِيَةِ}.(الحاقّة: ٢٤)، وَقَالَ :{أَمّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(السّجْدة؛١٩) ، وَقَالَ : {وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

(الْوَاقِعَة :٢٢-٢٤)

فَبَيّنَ بِهَذِهِ النُّصُوصِ : أَنّ الْعَمَلَ سَبَبٌ لِلثّوَابِ ، وَالْبَاءُ لِلسّبَبِ ، كَمَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:{فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثّمَرَاتِ}.(الْأَعْرَاف:٥٧) ، وَقَوْلِهِ:{وَمَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}.(الْبَقَرَة:١٦٤) ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمّا يُبَيِّنُ بِهِ الْأَسْبَابَ ، وَلَا رَيْبَ أَنّ الْعَمَلَ الصّالِحَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنّةِ ، وَاللّهُ قَدّرَ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وُجُوبَ الْجَنّةِ ، بِمَا يُيَسِّرُهُ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ الصّالِحِ ، كَمَا قَدّرَ دُخُولَ النّارِ لِمَنْ يَدْخُلُهَا بِعَمَلِهِ السّيِّءِ،وَإِذَا عُرِفَ أَنّ الْبَاءَ هُنَا لِلسّبَبِ ؛ فَمَعْلُومٌ أَنّ السّبَبَ لَا يَسْتَقِلُّ بِالْحُكْمِ ؛ فَمُجَرّدُ نُزُولِ الْمَطَرِ لَيْسَ مُوجِبًا لِلنّبَاتِ ، بَلْ لَا بُدّ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ اللّهُ أُمُورًا أُخْرَى ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ الْآفَاتِ الْمَانِعَةَ ، فَيُرَبِّيهِ بِالتُّرَابِ وَالشّمْسِ وَالرِّيحِ ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ مَا يُفْسِدُهُ .





-وَأَمَّا قَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ . قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ؛ إلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ} : فَإِنَّهُ ذَكَرَهُ فِي سِيَاقِ أَمْرِهِ لَهُمْ بِالِاقْتِصَادِ ، قَالَ : {سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ } ؛فَنَفَى بِهَذَا الْحَدِيثِ مَا قَدْ تَتَوَهَّمُهُ النُّفُوسُ : مِنْ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى سَبِيلِ الْمُعَاوَضَةِ وَالْمُقَابَلَةِ ، كَالْمُعَاوَضَاتِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْأَجِيرَ يَعْمَلُ لِمَنِ اسْتَأْجَرَهُ ؛ فَيُعْطِيهِ أَجْرَهُ بِقَدْرِ عَمَلِهِ عَلَى طَرِيقِ الْمُعَاوَضَةِ : إنْ زَادَ ، زَادَ أُجْرَتَهُ ، وَإِنْ نَقَصَ ، نَقَصَ أُجْرَتَهُ، وَلَهُ عَلَيْهِ أُجْرَةٌ يَسْتَحِقُّهَا ، كَمَا يَسْتَحِقُّ الْبَائِعُ الثَّمَنَ ؛ فَنَفَى-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنْ يَكُونَ جَزَاءُ اللَّهِ وَثَوَابُهُ : عَلَى سَبِيلِ الْمُعَاوَضَةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْمُعَادَلَةِ }.(انْتَهى مِنْ:جامع الرّسائل:١/١٤٥).

-وَقَالَ أَيْضًا-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : {وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْآخِرَةِ : لَيْسَ بِمُجَرَّدِ الْعَمَلِ يَنَالُ الْإِنْسَانُ السَّعَادَةَ ؛ بَلْ هِيَ سَبَبٌ ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ }.وَقَدْ قَالَ:{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}؛فَهَذِهِ بَاءُ السَّبَبِ ، أَيْ: بِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ .

وَالَّذِي نَفَاهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (بَاءُ الْمُقَابَلَةِ) ؛ كَمَا يُقَالُ: اشْتَرَيْتُ هَذَا بِهَذَا ؛ أَيْ: لَيْسَ الْعَمَلُ عِوَضًا وَثَمَنًا كَافِيًا فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ عَفْوِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِعَفْوِهِ يَمْحُو السَّيِّئَاتِ وَبِرَحْمَتِهِ يَأْتِي بِالْخَيْرَاتِ وَبِفَضْلِهِ يُضَاعِفُ الْبَرَكَاتِ}. (انْتَهَى مِنْ:مجموع الفتاوى:٨/٧٠).

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.







(مَا هِيَ صِفَةُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ؟)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:



•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

١٠-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ شَيْخَنَا :مَا هِيَ صِفَةُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ؟-.

جواب

•سَيَكُونُ الْجَوَابُ فِي عِدَّةِ وَقَفَاتٍ:

•الْوَقْفَةُ الْأُولَى:مَفْهُومُ الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ:

•بِدَايَةً نُشِيرُ إِلَى مَعْنَى الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ حَيْثُ يَقُولُ ابْنُ مَنْظُورٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي لِسَانِ الْعَرَبِ:٢٩٨/٩:{الْكُسُوفُ لُغَةً: التَّغَيُّرُ؛ يُقَالُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ تَكْسِفُ كُسُوفًا: إِذَا ذَهَبَ ضَوْؤُهَا وَاسْوَدَّتْ، وَكَسَفَ الْقَمَرُ: إِذَا ذَهَبَ نُورُهُ وَتَغَيَّرَ إِلَى السَّوَادِ}.

-وَقِيلَ: الْكُسُوفُ فِي أَوَّلِهِ، وَالْخُسُوفُ فِي آخِرِهِ.

-وَقِيلَ: الْكُسُوفُ ذَهَابُ النُّورِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَالْخُسُوفُ إِذَا ذَهَبَ بَعْضُهَا .

-وَقِيلَ: الْكُسُوفُ لِلشَّمْسِ، وَالْخُسُوفُ لِلْقَمَرِ .

-وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

-قَالَ ابْنُ دَقِيق الْعِيد-رَحمَهُ اللّهُ تَعالَى-:{وَيَشْهَدُ لِهَذَا: اخْتِلَافُ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَحَادِيث فَأُطْلِقَ فِيهِمَا الْخسُوف وَالْكُسُوفُ مَعًا فِي مَحلٍ وَاحِدٍ}.(انْظُرْ:"إحكام الأحكام"ص: ٢٣٤).

•الْوَقْفَةُ الثَّانِيَةُ:حُكْمُ صلَاةِ الْخُسُوفِ:

•وَصلَاةُ الْكُسُوف شرْعًا: هِيَ صلَاةٌ تُؤدّى بِكَيْفِيّةٍ مَخْصُوصةَ، عِنْدَ ظُلْمَة أحَدِ النّيّرَيْن (الشّمْس، وَالْقَمَرِ)، أوْ بَعْضِهِمَا،وَهِيَ سُنّةٌ مُؤكّدَةٌ لِلرّجَالِ وَلِلنّسَاءِ وتُسَنُّ فِي جَمَاعَةٍ ،ولَاحَرَجَ مِنْ صلَاةِ الْمَرْأة فِي بَيْتِهَا.

•الْوَقْفَةُ الثّالِثَةُ:أحَادِيثٌ وَرَدَتْ فِي صلَاةِ الْكُسُوفِ:

•أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(1043)مِنْ حَدِيث الْمُغِيرَة بْنِ شُعْبَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ-قَالَ: كَسفَت الشّمسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّه-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-يَوْمَ مَاتَ إبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النّاسُ: كَسفَت الشّمْسُ لِمَوْتِ إبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-:{إنّ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِه، فَإِذَا رَأيْتُمْ فَصلّوا، وَادْعُوا اللّهَ}.

•وَأخْرَجَ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(١٠٥٣)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٩٥٣)مِنْ حَدِيث أسْمَاء بِنْت أبِي بَكْرٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهمَا-قَالَتْ: أتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النّبِيِّ-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-حِينَ خَسَفَت الشّمْسُ، فَإِذَا النّاسُ قِيَامٌ يُصلّونَ وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصلّي، فَقُلْتُ:مَا لِلنّاسِ، فَأشَارَتْ بِيَدِهَا إلَى السّمَاءِ، وَقَالَتْ:سُبْحَانَ اللّه، فَقُلْتُ: آيَةٌ؟

فَأشَارَتْ: أيْ نَعَمْ، قَالَتْ: فَقُمْتُ حَتّى تَجَلّانِي الْغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أصُبُّ فَوْقَ رَأْسِي الْمَاءَ، فَلَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللّه-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-حَمِدَ اللّهَ وَأثْنَى عَلَيْه، ثُمّ قَالَ:{مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أرَهُ إلّا قَدْ رَأيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتّى الْجَنّةَ وَالنّارَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيّ أنّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ -أوْ قَرِيبًا مِنْ-فِتْنَةِ الدّجّالِ-لَا أدْرِي أيّتَهُمَا قَالَتْ أسْمَاءُ

– يُؤْتَى أحَدُكُمْ ، فيُقَالُ لَهُ : مَا عِلْمُكَ بهَذَا الرّجُلِ؟ فَأمّا الْمُؤْمِنُ–أو الْموقِنُ، لَا أدْرِي أيّ ذَلِكَ قَالَتْ أسْمَاءُ: فيَقُولُ:محمّدٌ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عليه وسَلّمَ–جَاءَنَا بالبَيِّنَاتِ والْهُدَى،فأجَبْنَا وآمَنّا واتّبَعْنَا،فيُقَالُ لَهُ:نَمْ صَالحًا، فقَدْ عَلِمْنَا إنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا، وأَمّا الْمُنَافِقُ–أوِ الْمُرْتَابُ لَا أدْرِي أيّتَهُمَا قَالَتْ أسْمَاءُ – فيَقُولُ: لَا أدْرِي، سَمِعْتُ النّاسَ يَقُولُونَ شيئًا فَقُلْتُهُ}.

•وَأَخْرَجَ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برقَمِ(١٠٥٩)وَمُسْلِمٌ برقَمِ(٩١٢)مِنْ حَدِيثِ أبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ:قَالَ: خَسَفَتِ الشّمْسُ، فقَامَ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– فَزِعًا، يَخْشَى أنْ تَكُونَ السّاعَةُ، فَأتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلّى بأَطْوَلِ قِيَامٍ ورُكُوعٍ وسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وقَالَ:{هَذِهِ الْآيَاتُ الّتي يُرْسِلُ اللّهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أحَدٍ ولَا لِحَيَاتِهِ، ولَكِنْ يُخَوِّفُ اللّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فإذَا رَأَيْتُمْ شيئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إلَى ذِكْرِهِ ودُعَائِهِ واسْتِغْفَارِهِ}.

•وَأَخْرَجَ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برقَمِ(١٠٤٤)وَمُسْلِمٌ برقَمِ(٩٠١)مِنْ حَدِيثِ أمّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا–قَالَتْ : خَسَفَتِ الشّمْسُ في عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–، فصَلّى رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ–بالنّاسِ، فقَامَ، فأطَالَ القِيَامَ، ثُمّ رَكَعَ، فأطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمّ قَامَ فأطَالَ القِيَامَ وهو دُونَ القِيَامِ الأوّلِ، ثُمّ رَكَعَ فأطَالَ الرُّكُوعَ وهو دُونَ الرُّكُوعِ الأوّلِ، ثُمّ سَجَدَ فأطَالَ السُّجُودَ،ثُمّ فَعَلَ في الرّكْعَةِ الثّانِيَةِ مِثْلَ ما فَعَلَ في الأُولَى،ثُمّ انْصَرَفَ وقَدِ انْجَلَتِ الشّمْسُ، فخَطَبَ النّاسَ، فَحَمِدَ اللّهَ وأَثْنَى عليه، ثُمّ قَالَ:{إنّ الشّمْسَ والْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أحَدٍ ولَا لِحَيَاتِهِ، فإذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللّهَ، وكَبِّرُوا وصَلُّوا وتَصَدَّقُوا.
ثُمّ قَالَ: يا أُمّةَ مُحَمّدٍ واللّهِ ما مِن أحَدٍ أغْيَرُ مِنَ اللّهِ أنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أوْ تَزْنِيَ أمَتُهُ، يَا أُمّةَ مُحَمّدٍ واللّهِ لو تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا}.

•الْوَقْفَةُ الرّابِعَةُ:صِفَةُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَأحْكَامُهَا:

•مِنْ خِلَالِ النُّصُوصِ السّابِقَةِ يَتَبَيّنُ أنّ صِفَةَ صَلَاةِ الْكُسُوفِ عَلَى النّحْوِ الْآتِي:

-يُصَلّي رَكْعَتَيْنِ جَهْرِيّتَيْنِ بِأنْ يُكَبّرَ لِلإحْرَامِ ، وَيَقْرَأ دُعَاءَ الاسْتِفْتَاحِ ، ثُمّ يَسْتَعِيذَ وَيَقْرَأ الْفَاتِحَةَ ، ثُمّ يَقْرَأ قِرَاءَةً طَوِيلَةً،

ثُمّ يَرْكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمّ يَرْفَعَ مِنْ رُكُوعِهِ، وَيَقُول : سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمّ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ ، وَيَقْرَأ قِرَاءَةً طَوِيلَةً ، غَيْر أنّهَا دُونَ الْقِرَاءَةِ الْأولَى،ثُمّ يَرْكَع مَرّةً ثَانِيَةً وَيُطِيل الرّكُوعَ ، وَهُوَ دُونَ الرّكُوعِ الْأوّلِ ،ثُمّ يَرْفَع مِنَ الرّكُوعِ وَيَقُول : سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَيَقِف وُقُوفًا طَوِيلاً.

ثُمّ يَسْجُدَ سَجْدَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ، وَيُطِيل الْجُلُوس بَيْنَ السّجْدَتَيْنِ.

ثُمّ يَقُومَ إلَى الرّكْعَةِ الثّانِيَةِ ، فَيَفْعَل مِثْلَ الرّكْعَةِ الْأولَى مِنَ الرّكُوعَيْنِ وَغَيْرِهِمَا ، لَكِنْ يَكُون دُونَ الْأوّلِ فِي الطّولِ فِي كُلّ مَا يَفْعَل ، ثُمّ يَتَشَهّدَ وَيُسَلّم.

•وَوَقْتُهَا مِنَ ابْتِدَاءِ الْكُسُوفِ إلَى انْتِهَائِهِ لِقَوْلِ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فِي حَدِيث الْإمَامِ مُسْلِمٍ بِرَقَمِ(٩٠٤):{.. فَإذَا رَأيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلّوا حَتّى تَنْجَلِيَ}.

•وَيُشْرَعُ النّدَاءُ لَهَا(الصّلَاةُ جَامِعَةٌ) لِمَا أخْرَجَهُ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(١٠٤٥)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٩١٠)مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:{لَمّا كَسَفَتِ الشّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–نُودِيَ إنّ الصّلَاةَ جَامِعَةٌ}.وَلَا يُسَنّ لَهَا آذَانٌ وَلَا إقَامَةٌ.

•وَيُسَنّ أنْ يَعِظَ الْإمَامُ النّاسَ بَعْدَ الصّلَاةِ وَيُحَذّرَهُمْ مِنَ الْغَفْلَةِ وَيَأمُرَهُمْ بِالدّعَاءِ وَالاسْتِغْفَارِ لِفِعْلِ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فَقَدْ خَطَبَ النّاسَ بَعْدَ الصّلَاةِ وَقَالَ:{إنّ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإذَا رَأيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللّهَ، وَكَبّرُوا وَصَلّوا وَتَصَدّقُوا. ثُمّ قَالَ: يَا أُمّةَ مُحَمّدٍ وَاللّهِ مَا





من أحد أغيرُ من اللّهِ أنْ يزْني عبْده أوْ تزْني أمتُه، يا أُمّةَ محمدٍ واللّهِ لوْ تعلّمُون ما أعْلَمُ لضحِكْتُم قليلًا ولَبكيتم كثيرًا}.

•فإذَا انْتهت الصلّاةُ قبْلَ الانْجلَاءِ فلَا إعادَةَ بلْ يذْكُر اللّهَ ويُكْثِر من الدُّعَاءِ لقوْلِه–صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ–:{فإذَا رأيْتُمُوهما فادْعوا اللّهَ وَصلُّوا حتّى تنْكَشِفَ}.(مُسْلِمٌ:٩١٥).فدَلّ ذَلكَ علَى أنّهُ إذَا أنْهى صلَاتَهُ قبْلَ الانْجلَاءِ انْشغَل بالدُّعَاءِ،وإذَا انْجلَتْ وهُوَ في الصّلَاة أتَمّهَا خفيفَةً ولَا يقْطَعُهَا.
•وبالنّسْبَة للمَسْبُوق إنْ دخلَ بعْدَ الرُّكُوعِ الْأوّلِ من الرّكْعةِ الْأولَى فمَا أدْرَكَ الرّكْعَةَ فعلَى الْمَسْبُوق قضَاءَ هذِه الرّكْعَة بهيْئَتِهَا وَصفَتِهَا.
•وتُصلّى صلَاةُ الْكُسُوفِ لِمنْ يرَى آيَةَ الْكُسُوفِ ومَنْ لَمْ يرَ فلَا تُشْرَعُ في حَقّهِ .
•هذَا واللّهُ أعْلَى وأعْلَمُ.



الْحَمْدُ للّهِ وحْدَهُ،والصّلَاةُ والسّلَامُ علَى منْ لَا نبيّ بعْدَهُ.
أمّا بعْدُ:
•فهَذَا سائِلٌ يسْأَلُ:



١١–أحْسَنَ اللّهُ إليْكَ شيْخَنَا مَا هِيَ أحْكَامُ السُّتْرَةِ للمُصَلِّي إمَامًا كَانَ أوْ مأمُومًا أوْ مُنْفَرِدًا؟



•أوّلًا:الْمَقْصُودُ بِالسُّتْرَةِ:

-السُّتْرَةُ هِيَ مَا يَجْعَلُهُ الْمُصَلِّي أَمَامَهُ مِنْ جِدَارٍ أَوْ عَمُودٍ أَوْ كُرْسِيٍّ أَوْنَحْوِهِ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ يُصَلِّي وَيَمْنَعَ الْمُرُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

•ثانيا:حُكْمُ وَضْعِ السُّتْرَةِ فِي الصَّلَاة:

-السُّتْرَةُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي إِمَامًا كَانَ أَوْ مُنْفَرِدًا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ بِاتِّفَاقِ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ،بَلْ نَقَلَ بَعْضُهُمُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ:

-قَالَ ابْنُ رُشْدٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى اسْتِحْبَابِ السُّتْرَةِ بَيْنَ الْمُصَلِّي وَالْقِبْلَةِ، إِذَا صَلَّى مُنْفَرِدًا كَانَ أَوْ إِمَامًا}. (انْظُرْ:بداية المجتهد:١/١١٣).

-وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{السُّنَّةُ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ سُتْرَةٌ مِنْ جِدَارٍ أَوْ سَارِيَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَيَدْنُو مِنْهَا، وَنَقَلَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ الْإِجْمَاعَ فِيهِ}.(انْظُرْ:المجموع:٣/٢٤٧).

-وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{وَجُمْلَتُه: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى سُتْرَةٍ، فَإِنْ كَانَ فِي مَسْجِدٍ أَوْ بَيْتٍ صَلَّى إِلَى الْحَائِطِ أَوْ سَارِيَةٍ، وَإِنْ كَانَ فِي فَضَاءٍ صَلَّى إِلَى شَيْءٍ شَاخِصٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَوْ نَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَرْبَةً أَوْ عَصًا، أَوْ عَرَضَ الْبَعِيرَ فَصَلَّى إِلَيْهِ، أَوْ جَعَلَ رَحْلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَسُئِلَ أَحْمَدُ: يُصَلِّي الرَّاحِلُ إِلَى سُتْرَةٍ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، مِثْلَ آخِرَةِ الرَّحْلِ. وَلَا نَعْلَمُ فِي اسْتِحْبَابِ ذَلِكَ خِلَافًا}.(انْظُرْ:المغني:٢/١٧٤) .

-وَقَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ ابْنُ مُفْلِحٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى سُتْرَةٍ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، بِغَيْرِ خِلَافٍ نَعْلَمُهُ}.

(انْظُرْ:المبدع:١/٤٣٧).

•ثالثًا:الْأَدِلَّةُ عَلَى اسْتِحْبَابِ السُّتْرَةِ لِلْمُصَلِّي:

-مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ

(698)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ وَلْيَدْنُ مِنْهَا}.

–وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٥١٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ}.

–وَمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٥٠٩)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٥٠٥)

مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَقُولُ: {إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ }.

–وَمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ –أَيْضًا–الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ(٧٦)وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ(٥٠٤)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

–قَالَ : { أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يُصَلِّي بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ، وَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ، فَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَلَيَّ}.

–فَقَوْلُهُ:{يُصَلِّي بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ} هَذِهِ هِيَ الْقَرِينَةُ الَّتِي صَرَفَتْ الْأَمْرَ بِاتِّخَاذِ السُّتْرَةِ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ مِنَ الْوُجُوبِ إِلَى النَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ،وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ صَلَاةِ الْإِمَامِ إِلَى غَيْرِ سُتْرَةٍ.

–وَقَوْلُهُ:{فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ، وَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ، فَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَلَيَّ}:فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ سُتْرَةٌ لِلْمَأْمُومِ،وَدَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْمُرُورِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُومِينَ فِي صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَلَا يُدْفَعُ الْمَارُّ وَلَا يُقَاتَلُ إِنَّمَا ذَلِكَ الْحُكْمُ لِمَنْ مَرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ أَوِ الْمُنْفَرِدِ.

•رَابِعًا:صِفَةُ السُّتْرَةِ فِي الصَّلَاةِ:

-تَحصُلُ السُّتْرَةُ للمُصَلِّي بأَنْ يَضعَ أمَامَهُ شَيْئًا قَائمًا مِثْلَ مُؤْخِرَةِ الرَّحْ-الْعُودُ الَّذي في آخرِ الرَّحْلِ علَى ظَهرِ الْبعيرِ-ومقْدَارُهَا ذِرَاعٌ-مِنَ الْمرفَقِ حتّى طَرَفِ الْأصْبَعِ الْوُسْطَى ويُعَادلُ٤٥،٧٢سَنْتِيمتْرًت تقْرِيبًا-، أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذلِكَ، وتَحْصُلُ أيْضًا بِالْجِدَارِ وَالْعَمُودِ وَالْكُرْسِيِّ، ونَحْوِ ذَلِكَ، وهُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ: الْحَنَفِيَّةِ ، وَالشَّافِعِيَّةِ ، وَالْحَنَابِلَةِ .

-وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٥٠٠) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-أَنّها قَالَتْ:{سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سُتْرَةِ المُصَلِّي؟ فَقَالَ:مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ}

•خَامِسًا:حُكْمُ الْمُرُورِ بَيْنَ الْمُصَلِّي وَالسُّتْرَةِ:

-لَا يَجُوزُ الْمُرُورُ بَيْنَ الْمُصَلِّي وَالسُّتْرَةِ؛لوُرُودِ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

-أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٥١٠)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٥٠٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي جُهَيْمٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ،قَالَ: أَبُو النَّضْرِ: لَا أَدْرِي، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً}.

-أَيْ:لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي وَالسُّتْرَةِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، لَاخْتَارَ الْوُقُوفَ أَرْبَعِينَ عَلَى ارْتِكَابِ ذَلِكَ الْإِثْمِ، فَدَلَّ عَلَى النَّهْيِ الْأَكِيدِ، وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ فِي ذَلِكَ.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ -أَيْضًا-الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٥٠٩)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٥٠٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلْيَدْفَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ}.





-فَقَوْلُهُ:{فَأَرَادَ أحدٌ أن يجْتَازَ بيْنَ يَدَيْه، فَلْيَدْفَعْهُ، فَإنْ أبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ}.أيْ:أنّ الْمُصَلِّيَ مأْمُورٌ شَرْعًا بدَفْعه وَمَنْعه، فيرده رَدًّا لَطيفًا، فإنْ لَمْ يَمْتَنِعْ فَإنّهُ يَدْفَعُهُ بأَشَدّ منْه، وهكذا؛ إذْ لَيْس مَعْنَاه الْمُقَاتَلَةَ الْحَقيقيّةَ،وذَلك لَأنّ الْمَارّ منْ أمَامِ الْمُصَلّي هُوَ بِمَنْزِلَةِ شيْطَانٍ.

•مَسْأَلَةٌ(١)

منَ الْمَسَائلِ الْمُتَفَرّعَة :حُكْمُ الْمُرُورِ بَيْنَ يدى الْمُصَلّينَ في الْحَرَمِ الْمَكّيِّ في ظلّ الزّحَامِ الشّديد،وهَذه منَ الْمَسَائل الّتي اخْتَلَفَ فيهَا الْعُلَمَاءُ عَلَى قوْلَيْن:الْأوّلُ الْجوَاز لرفْعِ الْحرَجِ بسَبَبِ الزّحَامِ الشّديد،والثّاني وَهُوَ الرّاجحُ وفْقَ الدّلِيل عدَمُ الْجوَازِ سوَاء في مَكّةَ أوْ غيْرِهَا،وذَلك لمَا أخْرَجَهُ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برقمِ(٥٠١)ومُسْلمٌ برَقَمِ(٥٠٣)منْ حَديث أبي جُحَيْفَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-،قال:{خَرَجَ رَسُولُ اللّه بالْهَاجرَة، فَصَلّى بِالْبَطْحَاء الظُّهْرَ والعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، ونَصَبَ بيْنَ يَدَيْه عَنَزَةً، وتَوَضّأَ، فَجَعَلَ النّاسُ يَتَمَسّحُونَ بوضُوئه}.

-ووَجْهُ الدّلَالَةِ أنّ النّبيّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَصَبَ سُتْرَةً حِينَمَا صَلّى بِالْبَطْحَاءِ وَهي بمَكّةَ.

-وَقَوْلُهُ:{ونَصَبَ بَيْنَ يَدَيْه عنَزَةً}:الْعَنَزَةُ بفَتْحِ الْعَيْنِ والنُّونِ والزّاي هي عَصًا طَوِيلَةٌ في آخرِهَا زَجٌّ-أيْ حَديدَة في أسْفَلِ الْعَصَا كَزَجِّ الرُّمْحِ- يَتَوَكّأُ عَلَيْهَا الشّيْخُ الْكَبِيرُ.

•مَسْأَلَةٌ(٢):

منَ الْمَسَائلِ الْمُتَفَرّعَة:مَاذَا لوْ لَمْ يَتّخذ الْمُصَلّي سُتْرَةً واحْتَاجَ الْمَارُّ للمُرُورِ؟

الْجَوَابُ:إذَا قَصّرَ الْمُصَلّي ولَمْ يَتّخذْ سُتْرَةً فَيَجُوزُ لمَنِ احْتَاجَ للمُرورِ بَيْنَ يَدَيْه أنْ يَمُرّ بِشَرْطِ الابْتعَاد عَنْ مَوْضعِ سُجُودِهِ أي يَمُرُّ عَلَى بُعْد ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ تَقْرِيبًا ويَتَجَنّبَ الْمُرُورَ بَيْنَ يَدَيْه مُبَاشَرَةً.





•وَاسْتِحْبَابُ السُّتْرَةِ يكُونُ للإمَامِ وَالْمُنْفَرِدِ فقَط أمّا الْمَأمُومُ فَالْإمَامُ سُتْرَةٌ لَهُ لِمَا سبَقَ مِنَ الْأدِلّة.

•هذَا وَاللّه أعْلَى وَأعْلَمُ.



(مَا تَعْرِيفُ الْأشْهُرِ الْحُرُمِ؟)

الْحَمْدُ للّه وحده،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:

•فَهذَا سَائِلٌ يَسْألُ:



١٢-أحسَنَ اللّهُ إلَيْكُمْ شَيْخَنَا:مَا تَعْرِيفُ الْأشْهُرِ الْحُرُمِ؟وَلِمَاذَا سُمِّيتْ الْأشْهُرُ الْعَرَبِيّةُ بِأسْمَائِهَا الْمَعْرُوفَةِ لَدَيْنَا؟



•أوّلًا:التّعْرِيفُ بِالْأشْهُرِ الْحُرُمِ:

-الْأشْهُرُ الْحُرُمُ هِيَ الْأشْهُرُ ذَاتُ الْحُرْمَةِ الْأبَدِيّةِ،وَهِيَ ثَلَاثَةٌ سَرْدٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ،ذُو الْقَعْدَة،وَذُو الْحِجّة،وَالْمُحَرّم،وَرَجَب.

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٤٤٠٦)مِنْ حَدِيثِ أبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{الزّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَوَاتِ وَالْأرْضَ؛ السّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا،

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا:

بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ- وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ -فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ: صَدَقَ مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قَالَ:

أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ}.

-وَهَذِهِ الْأَشْهُرُ وَرِثَتْ الْعَرَبُ حُرْمَتَهَا وَتَعْظِيمَهَا، فَكَانَتْ تُعَظِّمُهَا، فَتُحَرِّمُ فِيهَا الْقِتَالَ، وَهُوَ مِمَّا وَرِثَتْهُ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٣٧٣)مِنْ حَدِيثِ مَهْدِي بْنِ مَيْمُونٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيَّ يَقُولُ: كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ، فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قُلْنَا: مُنَصِّلُ الْأَسِنَّةِ، فَلَا نَدَعُ رُمْحًا فِيهِ حَدِيدَةٌ، وَلَا سَهْمًا فِيهِ حَدِيدَةٌ؛ إِلَّا نَزَعْنَاهُ وَأَلْقَيْنَاهُ شَهْرَ رَجَبٍ. وَسَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ يَقُولُ:

كُنْتُ يَوْمَ بُعِثَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غُلَامًا أَرْعَى الْإِبِلَ عَلَى أَهْلِي، فَلَمَّا سَمِعْنَا بِخُرُوجِهِ فَرَرْنَا إِلَى النَّارِ؛ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ}.هَذَا وَقَدْ أَسْلَمَ أَبُو رَجَاءٍ

الْعُطَارِدِيُّ-رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عنْهُ-زَمَنَ النَّبِيِّ-صلّى اللّه علَيْهِ وسلّم-ولَكِنّهُ لَمْ يرَهُ-صلّى اللّهُ عَلَيْه وسلّمَ-،

فَالْعَرَبُ كَانُوا يُعَظِّمُونَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ في الْجَاهلِيّةِ،غَيْرَ أنّهُمْ كَانَتْ تَقُومُ مَعِيشَتُهُمْ علَى الْحُرُوبِ والثّارَاتِ وَالْغَارَاتِ، فَكَانَتْ تضْطَرُّ إلَى الْحَرْبِ، فَكَانَتْ تَحْتَالُ عَلَى هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَتُؤَخِّرَ تَحْرِيمَ الشّهْرِ هذَا إلَى آخَرَ:

{إنّمَا النّسيءُ زِيَادَةٌ في الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الّذِينَ كفَرُوا يُحلُّونَهُ عاماً وَيُحَرّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللّهُ فيُحِلُّوا ما حرّمَ اللّهُ زُيّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ واللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} .(براءة:٣٧)، ورُبّمَا حَرّمَتْ شَهْراً حَلَالًا وَأحَلّتْ شَهْراً مُحَرّماً، وقَدْ تَجِدُ نَفْسَهَا جعَلَتِ السّنَةَ ثَلَاثَةَ عشَرَ شَهْراً، خِلَافاً لِمَا خلَقَ اللّهُ تعالَى عَلَيْهِ السّنَةَ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْآيَةِ:

{إنّ عِدّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}.(التّوبة:٣٦)، فَهِيَ مُنْذُ خَلَقَ اللّهُ تَعَالَى السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ جَعَلَهَا اثْنَي عَشَرَ شَهْراً لَا ثَلَاثَةَ عشَرَ شَهراً، ثُمّ بَيّنَ أنّ: {مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}، وَهِيَ الّتِي ذَكَرْنَاهَا، ومَا زَالَ خَلَفُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إلَى يَوْمِ النّاسِ هَذَا يُؤْمِنُونَ بِحُرُمَاتِ فَيُقَدّسُونَهَا، ثُمّ يَنْتَهِكُوا حُرْمَتَهَا، ويُحِلُّونَهَا عاماً أَوْ طَوْراً، ويُحَرّمُونَهَا عَاماً، كمَا يَفْعَلُونَ بِأشْيَاءَ كَثِيرَةٍ؛ حَسَبَ أهْوَاءِهِمْ.

•ثَانِياً:سَبَبُ تَسْمِيَةِ الْأَشْهُرِ الْعَرَبِيّةِ:

-لَقَدْ كَانَ لِتَسْمِيَةِ الْأشْهُرِ الْقَمَرِيّةِ ، بِهَذِهِ الْأسْمَاءِ الْمَعْرُوفَةِ الْيَوْمَ : أَسْبَابٌ وَمَعَانٍ اشْتُقّتْ مِنْهَا ، ذَكَرَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ ، قَالَ الْحَافظُ ابْنُ كَثِيرٍ- رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهِ:١٢٨/٤-١٢٩ :{ذَكَرَ الشّيْخُ عَلَمُ الدّينِ السّخَاوِيُّ فِي جُزْءٍ جَمَعَهُ سَمّاهُ (الْمَشْهُورُ فِي أَسْمَاءِ الْأَيّامِ وَالشُّهُورِ) أَنّ:

-الْمُحَرّمَ:

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ شَهْرًا مُحَرَّمًا، وَعِنْدِي أَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ تَأْكِيدًا لِتَحْرِيمِهِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَتَقَلَّبُ بِهِ فَتُحِلُّهُ عَامًا وَتُحَرِّمُهُ عَامًا . قَالَ : وَيُجْمَعُ عَلَى مُحَرَّمَاتٍ وَمَحَارِمَ وَمَحَارِيمَ.

-وَصَفَرٌ:

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِخُلُوِّ بُيُوتِهِمْ مِنْهُمْ حِينَ يَخْرُجُونَ لِلْقِتَالِ وَالْأَسْفَارِ ، يُقَالُ صَفِرَ الْمَكَانُ إِذَا خَلَا وَيُجْمَعُ عَلَى أَصْفَارٍ.

-وَشَهْرُ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ:

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِارْتِبَاعِهِمْ فِيهِ ، وَالِارْتِبَاعُ الْإِقَامَةُ فِي عِمَارَةِ الرَّبِيعِ ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَرْبِعَاءَ كَنَصِيبٍ وَأَنْصِبَاءَ ، وَعَلَى أَرْبِعَةٍ كَرَغِيفٍ وَأَرْغِفَةٍ.

-وَرَبِيعٌ الْآخِرُ:

كَرَبِيعٍ الْأَوَّلِ .

-وَجُمَادَى:

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجُمُودِ الْمَاءِ فِيهِ.

قَالَ : وَكَانَتِ الشُّهُورُ فِي حِسَابِهِمْ لَا تَدُورُ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ ؛ إِذْ كَانَتْ شُهُورُهُمْ مَنُوطَةً بِالْأَهِلَّةِ فَلَا بُدَّ مِنْ دَوَرَانِهَا فَلَعَلَّهُمْ سَمَّوْهُ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَا سُمِّيَ ، عِنْدَ جُمُودِ الْمَاءِ فِي الْبَرْدِ، وَيُجْمَعُ عَلَى جُمَادِيَّاتٍ كَحُبَارَى وَحُبَارِيَّاتٍ ، وَقَدْ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ فَيُقَالُ جُمَادَى الْأُولَى وَالْأَوَّلُ ، وَجُمَادَى الْآخِرُ وَالْآخِرَةُ.

-وَرَجَبٌ:

مِنَ التَّرْجِيبِ وَهُوَ التَّعْظِيمُ وَيُجْمَعُ عَلَى أَرْجَابٍ وَرِجَابٍ وَرَجَبَاتٍ.

-وَشَعْبَانُ:

مِنْ تَشَعُّبِ الْقَبَائِلِ وَتَفَرُّقِهَا لِلْغَارَةِ وَيُجْمَعُ عَلَى شَعَابِينَ وَشَعْبَانَاتٍ.

-وَرَمَضَانُ:





مِنْ شِدَّةِ الرَّمْضَاءِ ، وَهُوَ الْحَرُّ ، يُقَالُ رَمِضَتِ الْفِصَالُ : إِذَا عَطِشَتْ ، وَيُجْمَعُ عَلَى رَمَضَانَاتٍ وَرَمَاضِينَ وَأَرْمِضَةٍ .

-وشَوَّالٌ:

مِنْ شَالَتِ الْإِبِلُ بِأَذْنَابِهَا لِلطِّرَاقِ (يَعْنِي الضِّرَاب).

قَالَ: ويُجْمَعُ عَلَى شَوَاوِلَ وَشَوَاوِيلَ وَشَوَّالَاتٍ .

-و الْقَعْدَةُ:

بِفَتْحِ الْقَافِ ، قُلْتُ : وَكَسْرِهَا، لِقُعُودِهِمْ فِيهِ عَنِ الْقِتَالِ وَالتَّرْحَالِ ، وَيُجْمَعُ عَلَى ذَوَاتِ الْقَعْدَة .

-و الْحِجَّةُ:

بِكَسْرِ الْحَاءِ ، قُلْتُ : وَفَتْحِهَا ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِقَامَتِهِمُ الْحَجَّ فِيهِ ، وَيُجْمَعُ عَلَى ذَوَاتِ الْحِجَّة }.

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



مَا حُكْمُ إِنْكَارِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

سؤال

١٣-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا:مَا حُكْمُ مَنْ يَقُولُ:لَا يُوجَدُ شَئ اسْمُهُ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ الْأَسَاسِ دَهُ اجْتِهَادٌ بَشَرِيٌّ مِنَ الْأَسَاسِ اسْتَخْلَصَهُ الْبَعْضُ لَكِنْ مَفِيش كِتَاب اسْمُهُ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمَصْدُومُ يَتْصدِمِ لَكِنْ يِرُوح يِدَوَّرْ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟!



اعْلَمْ–رحمكَ اللّه تعالَى–أنّ مثْل هذَا الْكَلَامِ لَا يَخْرُجُ إلّا منْ جَاهِلٍ بَلِيد يَهْرِفُ بما لَا يَعْرِفُ،وشيمةُ منْ قدّمَ عَقْلَه السّقِيم علَى النّقْلِ الْحَنِيف أنْ يَذْهبَ عَقْلُهُ،وإذَا ذهبَ عقْلُه قالَ كلَاماً يضْحكُ منْهُ الْعُقَلَاء،وَإلَيْكَ يَا سائلِي الْبَيَانُ وَالتّفْصِيلُ.

•أوّلًا:مَفْهُومُ الشّرِيعَةِ:

(أ)الشّرِيعَةُ لُغَةً:

مُشْتَقّةٌ منَ الْفعْلِ الثُّلَاثِيّ(شَرَعَ)ويَحمِلُ الْكَثِيرَ منَ الْمَعَانِي اللُّغَوِيّة منْهَا:مَوْرِدُ الْمَاءِ الّذِي يُقْصَدُ للشُّرْبِ،وَالنّهْجِ الْمُسْتَقِيمُ والْمِنْهَاجُ ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–: {الشّينُ وَالرّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ شَيْءٌ يُفْتَحُ فِي امْتِدَادٍ يَكُونُ فِيهِ، مِنْ ذَلِكَ الشّرِيعَةُ،وَهِيَ مَوْرِدُ الشّارِبَةِ لِلْمَاءِ،وَاشْتُقّ مِنْ ذَلِكَ الشّرْعَةُ فِي الدّينِ، وَالشّرِيعَةُ}.(انْظُرْ:مُعْجَم مُقَدّمَة اللُّغَة مَادّة شَرَعَ).

(ب)الشّرِيعَةُ اصْطِلَاحاً:

-الشّرِيعَةُ هِيَ وَضْعٌ إلَهِيّ سَائِغٌ لِذَوِي الْعُقُولِ، وَلَا دَخْلَ لِلإنْسَانِ فِي وَضْعِهِ أَوْ تَأْصِيلِهِ،فَهِيَ مَا شَرَعَ اللّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الدّينِ، أَيْ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُخْتَلِفَةِ الّتِي شَرَعَهَا اللّهُ لِعِبَادِهِ ، سَوَاء أَكَانَ تَشْرِيعُ هَذِهِ الْأَحْكَامِ بِالْقُرْآنِ أَمْ بِسُنّةِ النّبِيّ مُحَمّدٍ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ،فَهِيَ مَا شَرَعَهُ اللّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَنُظُمِ الْحَيَاةِ،فَهِيَ شَامِلَةٌ لِلعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ.

•قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.(المائدة:٤٨).

-فَقَوْلُهُ:{ لكلّ جعلْنا منكمْ } أيها الْأممُ جعلنا { شرعةً ومنهاجاً } أي: سَبِيلًا وَسُنّةً، وَهَذِهِ الشّرَائِعُ الّتِي تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ، هِيَ الّتِي تَتَغيّرُ بِحَسْبِ تَغيُّرِ الْأَزْمِنَةِ

وَالْأحْوَالِ، وَكُلّهَا تَرْجِعُ إلَى الْعَدْلِ فِي وَقْتِ شرْعَتِهَا، وَأمّا الْأصُولُ الْكِبَارُ الّتِي هِيَ مَصلَحَةٌ وَحِكْمَةٌ فِي كُلِّ زمَانٍ، فَإنّهَا لَا تَخْتَلِفُ، فَتُشْرَعُ فِي جَمِيعِ الشّرَائِعِ.

•وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى مُخَاطبًا نَبِيّهُ الْكَرِيم مُحَمّدًا–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ–:{ثُمّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}.(الجاثية:١٨).

-قَالَ الْعَلّامَةُ السّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:

{أيْ: ثُمّ شَرَعْنَا لَكَ شَرِيعَةً كَامِلَةً تَدْعُو إلَى كُلِّ خَيْرٍ وَتَنْهَى عَنْ كُلِّ شَرٍّ مِنْ أمْرِنَا الشّرْعِيِّ { فَاتّبِعْهَا } فَإنّ فِي اتّبَاعِهَا السّعَادَةَ الْأبَدِيّةَ وَالصّلَاحَ وَالْفَلَاحَ، { وَلَا تَتّبِعْ أَهْوَاءَ الّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } أيْ: الّذِينَ تَكُونُ أهْوِيَتُهُمْ غَيْرَ تَابِعَةٍ لِلعِلْمِ وَلَا مَاشِيَةً خَلْفَه، وَهُمْ كُلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ الرّسُولِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–هَوَاهُ وَإرَادَتُه فَإنّهُ مِنْ أَهْوَاءِ الّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}.

•وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}.(الشّورى:١٣).

-قَالَ الْعَلّامَةُ السّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:

{هَذِهِ أكْبَرُ مِنّةٍ أنْعَمَ اللّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِه، أنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الدّينِ خَيْرَ الْأدْيَانِ وَأفْضَلَهَا،وَأزْكَاهَا وَأطْهَرَهَا،دِينَ الْإسْلَامِ، الّذِي شَرَعَهُ اللّهُ لِلمُصْطَفَيْنَ الْمُخْتَارِينَ مِنْ عِبَادِه، بَلْ شَرَعَهُ اللّهُ لِخِيَارِ الْخِيَارِ، وَصَفْوَةِ الصّفْوَةِ، وَهُمْ أولُو الْعَزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ،أعْلَى الْخَلْقِ دَرَجَةً،وَأكْمَلُهُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ،فَالدّينُ الّذِي شَرَعَهُ اللّهُ لَهُمْ،لَا بُدّ أنْ يَكُونَ مُنَاسِبًا لِأحْوَالِهِمْ،مُوَافِقًا لِكَمَالِهِمْ، بَلْ إنّمَا كَمّلَهُمُ اللّهُ وَاصْطَفَاهُمْ، بِسَبَبِ قِيَامِهِمْ بِه، فَلَوْلَا الدّينُ الْإسْلَامِيّ، مَا ارْتَفَعَ أحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، فَهُوَ رُوحُ السّعَادَةِ، وَقُطْبُ رَحَى الْكَمَالِ، وَهُوَ مَا تَضَمّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ الْكَرِيمُ، وَدَعَا إلَيْهِ مِنَ التّوْحِيدِ وَالْأعْمَالِ وَالْأخْلَاقِ وَالْآدَابِ.

-ولِهَذَا قَالَ: { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ } أيْ: أمَرَكُمْ أنْ تُقِيمُوا جَمِيعَ شَرَائِعِ الدِّينِ أصُولِه وَفُرُوعِه، تُقِيمُونَهُ بِأَنْفُسِكُمْ، وَتَجْتَهِدُونَ فِي إقَامَتِه عَلَى غَيْرِكُمْ، وتُعَاوِنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تُعَاوِنُونَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ. { وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } أيْ: لِيَحْصُلَ مِنْكُمُ الاتِّفَاقُ عَلَى أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِه، وَاحْرِصُوا عَلَى أنْ لَا تُفَرِّقَكُمُ الْمَسَائِلُ وَتُحَزِّبَكُمْ أَحْزَابًا ، وَتَكُونُونَ شِيَعًا يُعَادِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا مَعَ اتِّفَاقِكُمْ عَلَى أَصْلِ دِينِكُمْ.

-وَمِنْ أَنْوَاعِ الاجْتِمَاعِ عَلَى الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، مَا أَمَرَ بِه الشَّارِعُ مِنَ الاجْتِمَاعَاتِ الْعَامَّةِ،كَاجْتِمَاعِ الْحَجِّ وَالْأَعْيَادِ،وَالْجُمَعِ وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجِهَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي لَا تَتِمُّ وَلَا تَكْمُلُ إِلَّا بِالاجْتِمَاعِ لَهَا وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ.

-{ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } أيْ: شَقَّ عَلَيْهِمْ غَايَةَ الْمَشَقَّةِ، حَيْثُ دَعَوْتَهُمْ إِلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ عَنْهُمْ:

{ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِه إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } وَقَوْلُهُمْ: { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }

-{ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ } أيْ يَخْتَارُ مِنْ خَلِيقَتِه مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِلاجْتِبَاءِ لِرِسَالَتِه وَوِلَايَتِه وَمِنْهُ أَنِ اجْتَبَى هَذِهِ الْأُمَّةَ وَفَضَّلَهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَاخْتَارَ لَهَا أَفْضَلَ الْأَدْيَانِ وَخَيْرَهَا.

-{ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } هَذَا السَّبَبُ الَّذِي مِنَ الْعَبْدِ، يَتَوَصَّلُ بِه إِلَى هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ إِنَابَتُهُ لِرَبِّه، وَانْجِذَابُ دَوَاعِي قَلْبِه إِلَيْه، وَكَوْنُهُ قَاصِدًا وَجْهَهُ، فَحُسْنُ مَقْصِدِ الْعَبْدِ مَعَ اجْتِهَادِه فِي طَلَبِ الْهِدَايَةِ، مِنْ أَسْبَابِ التَّيْسِيرِ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ }

-وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ اللَّهَ { يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} مَعَ قَوْلِه: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} مَعَ الْعِلْمِ بِأَحْوَالِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَشِدَّةِ إِنَابَتِهِمْ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمْ حُجَّةٌ، خُصُوصًا الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.{





•وَبِهذَا الْمَعْنَى الْوَاسِعِ الْجَامِعِ لِلشّرِيعَةِ، أَلّفَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْآجُرّي–رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى– (الْمُتَوَفّى سَنَةَ ٣٦٠هـ) كِتابَهُ الّذِي سَمّاهُ (الشّرِيعَة)، مَعَ أَنّ أَكْثَرَ مَا فِيهِ مَسَائِلٌ عَقَدِيّةٌ وَتَرْبَوِيّةٌ.

•وَبَعْدَهُ أَلّفَ الْفَيْلَسُوفُ الْمُسْلِمُ الرّاغِبُ الْإِصْفَهَانِيّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–(الْمُتَوَفّى سَنَةَ ٥٠٠ ، أو٥٠٢ هـ)، كِتَابَهُ الشّهِيرَ (الذّرِيعَة إِلَى مَكَارِمِ الشّرِيعَةِ)، وَهُوَ كِتَابٌ فِي فَلْسَفَةِ الْأَخْلَاقِ وَالتّرْبِيَةِ. فَالرّاغِبُ يَعْتَبِر –بِحَقّ–أَنّ تَهْذِيبَ النّفُوسِ وَالْعُقُولِ وَالْأَخْلَاقِ مِنْ صَمِيمِ الشّرِيعَةِ وَمَكَارِمِهَا. وَهُوَ يُعَرّفُ مَكَارِمَ الشّرِيعَةِ فَيَقُولُ:

{وَمَكَارِمُ الشّرِيعَةِ هِيَ: الْحِكْمَةُ، وَالْقِيَامُ بِالْعَدَالَةِ بَيْنَ النّاسِ، وَالْحِلْمُ، وَالْإِحْسَانُ، وَالْفَضْلُ. وَالْقَصْدُ مِنْهَا أَنْ تَبْلُغَ إِلَى جَنّةِ الْمَأْوَى، وَجِوَارِ رَبّ الْعِزّةِ تَعَالَى}.(انْظُرْ: الذّرِيعة إلى مكارم الشّريعة ص: ٨٣).

•ثَانيًا:حُكْمُ مَنْ أَنْكَرَ الشّرِيعَةَ:

-عَلِمْنَا أَنّ الشّرِيعَةَ هِيَ مَا شَرَعَهُ اللّهُ تَعَالَى مِنَ الدّينِ فَالشّرِيعَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ كِتَابٌ وَسُنّةٌ،فَمَنْ أَنْكَرَهَا فَقَدْ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ وَأَنْكَرَ السّنّةَ،وَمَنْ أَنْكَرَ الشّرِيعَةَ أَوْ رَفَضَ حُكْمَهَا،أَوِ اعْتَقَدَ أَنّ حُكْمَ غَيْرِ الْقُرْآنِ وَالسّنّةِ أَحْسَنَ مِنْ حُكْمِهِمَا فَقَدْ كَفَرَ وَارْتَدّ عَنِ الْإِسْلَامِ،فَقَدْ أَوْجَبَ اللّهُ تَعَالَى التّحَاكُمَ إِلَى كِتَابِهِ وَسُنّةِ رَسُولِهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–،وَالتّسْلِيمَ لِحُكْمِهِمَا،وَالرّضَا بِهِ:

•قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}.(النّساء:٥٩).

•وَقَالَ تَعَالَى:{فَلَا وَرَبّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلّمُوا تَسْلِيمًا}.(النّساء:٦٥).





•وقَالَ تَعَالَى:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.(المائدة:٥٠).

•وقَالَ تَعَالَى:{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.(يوسف:٤٠).

•قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– :{الْأَحْكَامُ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ وَبَيَّنَهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْأَمِينِ –عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ– ، كَأَحْكَامِ الْمَوَارِيثِ وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَوْضَحَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ الِاعْتِرَاضُ عَلَيْهَا وَلَا تَغْيِيرُهَا ، لِأَنَّهُ تَشْرِيعٌ مُحْكَمٌ لِلْأُمَّةِ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَبَعْدَهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ : تَفْضِيلُ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى مِنَ الْأَوْلَادِ ، وَأَوْلَادِ الْبَنِينَ ، وَالْإِخْوَةِ لِلْأَبَوَيْنِ وَلِلْأَبِّ ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَوْضَحَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ ، فَالْوَاجِبُ الْعَمَلُ بِذَلِكَ عَنِ اعْتِقَادٍ وَإِيمَانٍ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَصْلَحَ خِلَافُهُ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَهَكَذَا مَنْ أَجَازَ مُخَالَفَتَهُ يُعْتَبَرُ كَافِرًا ؛ لِأَنَّهُ مُعْتَرِضٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَعَلَى رَسُولِهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَعَلَى إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ؛ وَعَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَسْتَتِيبَهُ إِنْ كَانَ مُسْلِمًا،فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا وَجَبَ قَتْلُهُ كَافِرًا مُرْتَدًّا عَنِ الْإِسْلَامِ،

لِقَوْلِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ} ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْعَافِيَةَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ وَمِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ}انتهى.

(انْظُرْ:مجموع فتاوى ابن باز:٤/٤١٥).

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.







(مَا هِيَ الْحَالَاتُ الَّتِي تَجُوزُ فِيهَا الْغِيبَةُ؟)

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَي مَنْ لَانَبِيّ بَعْدَهُ.

أَمّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

-

١٤-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا :مَا هِيَ الْحَالَاتُ الَّتِي تَجُوزُ فِيهَا الْغِيبَةُ؟



-اعْلَمْ يَاطَالِبَ النّجَاةَ-أَرْشَدَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ-أَنّ الْغِيبَةَ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَآفَةٌ مِنَ الآفَاتِ، وَبَلِيّةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلِيّاتِ، فَهِيَ مَحْرَقَةُ الْحَسَنَاتِ تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النّارُ الْحَطَبَ، وَهِيَ أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ فِي غَيْبَتِهِ بِمَا يَكْرَهُ.

•قَالَ الْعَلّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ-وَهُوَ يَتَحَدّثُ عَنِ الْغِيبَةِ-: {وَإِذَا وَقَعْتَ عَلَى وَجْهِ ذَمّ أَخِيكَ، وَتَمْزِيقِ عِرْضِهِ، وَالتّفَكّهِ بِلَحْمِهِ، وَالْغَضّ مِنْهُ، لِتَضَعَ مَنْزِلَتَهُ مِنْ قُلُوبِ النّاسِ، فَهِيَ الدّاءُ الْعُضَالُ، وَنَارُ الْحَسَنَاتِ الّتِي تَأْكُلُهَا كَمَا تَأْكُلُ النّارُ الْحَطَبَ}.

(انظر:الرّوح ص:٢٤٠).

•وَالْغِيبَةُ لَهَا ثَلَاثَةُأَقْسَامٍ:مُحَرّمَةٌ، وَوَاجِبَةٌ، وَمُسْتَحَبّةٌ، وَإِلَيْكَ بَيَانُ ذَلِكَ:

•أوّلًا: الْغِيبَةُ الْمُحَرَّمَةُ :

-وَهِيَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ فِي غَيْبَتِهِ بِمَا يَكْرَهُ بِعَيْبٍ فِيهِ مَخْفِيٍّ، سَوَاءٌ كَانَ هَذَا الْعَيْبُ خَلْقِيًّا أَمْ خُلُقِيًّا، فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ، ولَا شَكَّ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ فِي الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالإِجْمَاعِ.

•أدِلَّةُ التَّحْرِيمِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}.(الحجرات:١٢).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـــئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}. (الإسراء: ٣٦).

•قَالَ الرَّازِي-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{الْقَفْوُ هُوَ الْبَهْتُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَفَا، كَأَنَّهُ قَوْلٌ يُقَالُ خَلْفَهُ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الْغِيبَةِ وَهُوَ ذِكْرُ الرَّجُلِ فِي غَيْبَتِهِ بِمَا يَسُوءُهُ}. (انظر:مفاتيح الغيب:٣٣٩/٢٠).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}.(الهمزة: ١).

•قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ }يَعْنِي الطَّعَانَ الْمُغْتَابَ الَّذِي إِذَا غَابَ عَنْهُ الرَّجُلُ اغْتَابَهُ مِنْ خَلْفِهِ} . (انظر:تفسير مقاتل بن سليمان:٨٣٧/٤).

•وَقَالَ قَتَادَةُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: {يَهْمِزُهُ وَيَلْمِزُهُ بِلِسَانِهِ وَعَيْنِهِ، وَيَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَطْعَنُ عَلَيْهِمْ}.(انظر:تفسير ابن كثير:٤٨١/٨).

•أدِلَّةُ التَّحْرِيمِ مِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ:

-أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2589)عن أبي هريرة-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ:{أَتَدْرُونَ مَا

الْغِيبَةُ؟قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ.قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ}.

-وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(4875)وَالإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(2502) وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ -(4875) عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا -قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا(تَعْنِي أَنَّهَا قَصِيرَةٌ)، فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ}.

-قَالَ الْمَنَاوِي-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{قَالَ النَّوَوِي-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ عَنِ الْغِيبَةِ أَوْ أَعْظَمِهَا، وَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الأَحَادِيثِ بَلَغَ فِي ذَمِّهَا هَذَا الْمَبْلَغَ}(.انظر:فيض القدير:٢/٤١١.)

-وَأَخْرَجَ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6052)وَالإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(292) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا -أَنَّهُ قَالَ:مَرَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ:{ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا}.

-قَالَ الْعَيْنِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{التَّرْجَمَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى شَيْئَيْنِ: الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَمُطَابَقَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَوْلِ ظَاهِرَةٌ، وَأَمَّا الْغِيبَةُ فَلَيْسَ لَهَا ذِكْرٌ فِي الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ يُوَجَّهُ بِوَجْهَيْنِ:

-أَحدهمَا: أنّ الْغيبَةَ منْ لَوَازِمِ النّميمَة؛ لأنّ الّذي ينمّ ينْقلُ كلَامَ الرّجُلِ الّذي اغْتَابَه، ويُقَالُ: الْغيبَةُ وَالنّميمَةُ أُخْتَانِ، ومَنْ نمّ عنْ أَحَد فقدْ اغْتَابَه. قيل: لَا يلْزَمُ من الْوعيد علَى النّميمَة ثُبُوتُه علَى الْغيبَةِ وحْدَهَا، لأنّ مَفْسَدَةَ النّميمة أَعْظَمُ وإذَا لمْ تُسَاوهَا لَمْ يَصحّ الإلْحَاقُ. قُلْنَا: لَا يلْزَمُ منَ اللّحَاق وُجُودُ الْمُسَاوَاة، وَالْوَعيدُ علَى الْغيبَةِ الّتي تَضمّنَتْهَا النّميمَةُ موْجُودٌ، فيَصحّ الإلْحَاقُ لِهذَا الْوجْه.

•الْوَجْه الثّاني: أَنّهُ وقَعَ في بعْضِ طُرُقِ هذَا الْحَديث بِلَفْظِ الْغيبَةِ، وقَدْ جرَتْ عَادَةُ الْبُخَارِيّ فِي الإشَارَةِ إلَى ما ورَدَ فِي بعْضِ طُرُقِ الْحَديث} .

(انظر:عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ:٨/٢٠٨).

•دَلِيلُ الإجْمَاع:

-وَقَدْ أَجْمعَ عُلَمَاءُ السّلَف علَي تَحْريمِ الْغيبَةِ إلّا ما استُثْنِي منْهَا.

-قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–:{وَالْغيبةُ مُحرّمَةٌ بالإجْمَاعِ، ولَا يُسْتَثْنَى منْ ذَلِكَ، إلا مَا رَجَحَتْ مَصلَحَتُهُ، كمَا فِي الْجَرْحِ وَالتّعْدِيلِ، والنّصيحَةِ}. (انظر:تفسير ابن كثير:٧/٣٨٠).

•ثَانيًا: الغِيبة الواجبة :

-هيَ الْغيبَةُ الّتي بهَا يَحْصُلُ لِلفَرْدِ نجَاةٌ ممّا لا يُحْمَدُ عُقْبَاه، أَوْ مُصيبَةٌ كَانَتْ مُحتَمَلَةَالْوقُوع به، مثْلُ الّتي تُطْلَبُ لِلنّصيحَة عنْدَ الإقْبَال عَلَى الزّوَاج لمَعْرفَة حَال الزّوْج، أَوْ كَأَنْ يَقُولُ شَخْصٌ لآخرِ مُحَذّرًا لَهُ منْ شَخْصٍ شرّير: إنّ فُلَانَ يُرِيدُ قَتْلَكَ فِي الْمَكَانِ الْفُلَانيّ، أَوْ يُرِيدُ سَرِقَةَ مَالِكَ في السّاعَة الْفُلَانيّة، وَهَذَا منْ بَابِ النّصيحَةِ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَي:{وجَاء رَجُلٌ مّنْ أَقْصَى الْمَدِينَة يَسْعَىٰ قَال يَا مُوسَىٰ إنّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوك فَاخْرُجْ إنّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ }. (القصص:٢٠).

•ثَالِثًا:الْغِيبَةُ الْمُبَاحَةُ:





-كَمَا أَنّ الْغيبَةَ مُحرّمَةٌ لمَا فيهَا منْ أَضْرَارٍ تَمُسُّ الْفَرْدَ إلا أَنّهَا مُبَاحَةٌ بِضوَابِطِهَا لِغَرَضٍ شَرْعِيٍّ صَحِيحٍ، لا يُمْكِنُ الْوُصُولُ لِهَذَا الْغَرَضِ إلا بِهَذِهِ الْغِيبَةِ، وَبِدُونِ هَذِهِ الضّوَابِطِ تُصْبِحُ مُحَرّمَةً.

•قَالَ ابْنُ الأميرِ الصّنْعَانيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى:

-الذّمُّ لَيْسَ بغيبَةٍ في ستّةٍ
مُتَظَلّمٍ ومُعَرّفٍ ومُحَذّرٍ.
-وَلِمُظْهِرٍ فسْقًا ومُسْتَفْتٍ وَمَنْ
طَلَبَ الإعَانَةَ فِي إزَالَةِ مُنْكَرٍ .

(انظر:سبل السّلام:٤/١٩٤.)

•قَالَ النّوَوِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–:{اعْلَمْ أنّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحِيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْه إلا بِهَا وَهُوَ ستّةُ أَبْوَابٍ:

-الأوّلُ: التّظَلُّمُ:

فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلّمَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْقَاضِي وَغَيْرِهِمَا مِمّا لَهُ وِلَايَةٌ أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِه منْ ظَالمه، فَيَقُولُ: ظَلَمَني فُلَانٌ كَذَا.

•الثّاني: الاسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَرَدّ الْعَاصِي إِلَى الصّوَابِ:

-فَيَقُولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إزَالَةِ الْمُنْكَرِ: فُلَانٌ يَعْمَلُ كَذَا، فَازْجُرْهُ عَنْهُ.

-الثّالثُ: الاسْتِفْتَاءُ:

-فَيَقُولُ: لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي، أَوْ أَخِي، أَوْ زَوْجِي، أَوْ فُلَانٌ بِكَذَا.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الإمَامُ البُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحه كِتَابُ النّفَقَات بِرَقَمِ(٥٠٤٩)عَنْ عَائشَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عنْهَا–: أَنّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ:يا رَسُولَ اللّه إِنّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَقَالَ خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ}.





-الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُم:

-وَمِنْهُ عِلْمُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ صِيَانَةً لِلشَّرِيعَةِ وَحِفْظًا لَهَا.

-الْخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ:

-كَالْمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَمُصَادَرَةِ النَّاسِ وَأَخْذِ الْمُكْسِ وَغَيْرِهَا.

-السَّادِسُ: التَّعْرِيفُ:

-فَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبِ الأَعْمَشِ، وَالأَعْرَجِ وَالأَصَمِّ، وَالأَعْمَى وَالأَحْوَلِ، وَغَيْرِهِمْ جَازَ تَعْرِيفُهُمْ بِذَلِكَ.

•فَهَذِهِ سِتَّةُ أَسْبَابٍ ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ وَأَكْثَرُهَا مُجْمَعٌ عَلَيْهَا، دَلَائِلُهَا مِنَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مَشْهُورَةٌ}.(انظر:رياض الصَّالحين للنَّوَوِيِّ:٢/١٨٢ بتصرُّف).

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



(مَا حُكْمُ خُرُوجِ الْمَرْأَةِ مُتَعَطِّرَةً؟)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:





سؤال ١٥- أحْسَنَ اللَّهُ إلَيكَ شَيْخَنَا الْحَبِيب: مَا حُكْمُ خُرُوجِ الْمَرْأةِ مُتَعَطِّرَة؟.



أحَبّكَ اللّهُ الّذِي أحْبَبْتَنِي لَهُ وَإلَيْكَ أقْوَالُ أهْلِ الْعِلْمِ بِخُصُوصِ هَذِهِ الْمَسْأَلَة:

•إنّ استِعْمَالَ الْمَرْأةِ الطِّيب لَهُ حَالَاتٌ مُخْتَلِفَة ، وَيَخْتَلِفُ الْحُكْمُ بِحَسَبِهَا :

•الحالة الأولى:

استعماله للزّوج.

فهو مستحب مندوب ، لأنّه من حسن المعاشرة بالمعروف ، وهو أدعى لزيادة المودة بين الزّوجين،وتأكيد المحبّة بينهما ، وذلك حين يعتني كلّ منهما بما يحبّه الآخر.

-قال المناوي في "فيض القدير) "٣/١٩٠):

(أمّا التّطيّب والتّزين للزّوج فمطلوب محبوب ، قال بعض الكبراء : تزيُّنُ المرأة وتطيُّبها لزوجها من أقوى أسباب المحبّة والألفة بينهما ، وعدم الكراهة والنّفرة ؛ لأن العين رائد القلب ، فإذا استحسنت منظرا أوصلته إلى القلب فحصلت المحبّة ، وإذا نظرت منظرا بشعا أو ما لا يعجبها من زي أو لباس تلقيه إلى القلب فتحصل الكراهة والنّفرة ، ولهذا كان من وصايا نساء العرب لبعضهن : إيّاك أن تقع عين زوجك على شئ لا يستملحه ، أو يشمّ منك ما يستقبحه) انتهى.

•الحالة الثّانية:

وضع الطّيب والخروج به بقصد أن يجد ريحَه الرّجالُ الأجانبُ فهذا محرّم ، بل من كبائر الذّنوب.

-فعَنْ أَبِي مُوسَى-رضي الله عنه-عَنْ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-قَالَ :{إِذَا اسْتَعْطَرَتْ الْمَرْأَةُ فَمَرّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ كَذَا وَكَذَا قَالَ قَوْلًا شَدِيدًا-

يَعْنِي : زَانِيَةً –}.(رواه أبو داود (٤١٧٣) والتّرمذيّ (٢٧٨٦) وصحّحه ابن دقيق العيد في "الاقتراح" (١٢٦) والشّيخ الألبانيّ في "صحيح التّرمذيّ).

-قال في "عون المعبود: "

"(لِيَجِدُوا رِيحهَا) : أَيْ لِأَجْلِ أَنْ يَشُمُّوا رِيح عِطْرهَا" انتهى.

-وقال المناويّ في "فيض القدير) "١/٣٥٥):

"(فهي زانية) أي : هي بسبب ذلك متعرّضةٌ للزنا ، ساعيةٌ في أسبابه ، داعيةٌ إلى طلابه ، فسمّيت لذلك زانيةً مجازا ....فربما غلبت الشّهوة ، فوقع الزّنا الحقيقيّ ، ومثل مرورها بالرّجال قعودها في طريقهم ليمرّوا بها " انتهى باختصار.

•الحالة الثّالثة:

أن تصيب من الطّيب والعطر وتخرج ، ويغلب على ظنّها أنّها ستمرّ بمجامع يجد فيها الرّجال من طيبها وريحها ، فهذا فعلٌ محرّم أيضا وإن لم تقصد فتنة الرّجال أو لم يكن ذلك في نيّتها ، لأنّ الفعل فتنةٌ في نفسه ، وقد جاء في الشّرع أيضا ما يدلّ على تحريمه والمنع منه.

-يقول الله عز وجل : { وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}) .النّور:٣١).

-فنهى المرأة عن إبداء زينتها للرّجال الأجانب ، والطّيب من زينتها ولا شك ، فيدخل في النّهي والتّحريم.

-وعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود قَالَتْ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسّ طيباً }.(رواه مسلم :٤٤٣).

-فإذا كان-صلّى الله عليه وسلّم- ينهى عن خروج المرأة إلى المسجد بالطّيب ؛ لأنّ الغالب أنّ الرّجال سيجدون من ريحها بسبب قرب المكان وعدم الحواجز بين الرّجال والنّساء ، فمن باب أولى أن تمنع المرأة الّتي تخرج إلى الأسواق ومجامع النّاس من مسّ الطّيب ، إلّا أنّه لا يعدّ من الكبائر ، إنّما هو من المحرّمات الظّاهرة.

-قال ابن حجر الهيتميّ في "الزّواجر عن اقتراف الكبائر " (2/71-72) :

"وينبغي حمله – يعني الأحاديث الّتي تعدّه من الكبائر على ما إذا تحقّقت الفتنة ، أمّا مع مجرّد خشيتها فهو مكروه ، أو مع ظنّها فهو حرام غير كبيرة كما هو ظاهر " انتهى.

•الحالة الرّابعة:

أن تصيب من العطر والطّيب ويغلب على ظنّها أنّ طيبها لن يصل مجامع النّاس ، ولن يجد شيئا منه الرّجال ، كأن تخرج في سيّارة زوجها في رحلة في مكان خلاء ، أو لزيارة أهلها ، أو تخرج في سيّارة زوجها لأحد مجامع النّساء الخاصّة ، أو تخرج إلى المسجد في السّيّارة وتنزل على باب مصلى النّساء المفصول كلّيّة عن الرّجال ، ثمّ ترجع بسيارة مباشرة دون المرور في الطّرقات ، ونحو ذلك من الحالات الّتي لا تتوقّع المرأة فيها أبدا مرورها بشيء من طرقات المسلمين ، وكان غرضها من تطييبها هو التّنظّف العامّ الّذي أمرت به الشّريعة ، فلا حرج عليها من استعمال الطّيب حينها ، لعدم تحقّق علّة التّحريم الّتي هي مظنّة أن يصيب طيبها الرّجال.

-والدّليل على ذلك:

١-أنّ علّة التّحريم الظّاهرة من الأدلّة السّابقة غير متحقّقة في هذه الحالة ، فليس هناك فتنة ، وليس هناك إثارة للشّهوة.

٢-وقد جاء في السّنّة ما يدلّ على أن نساء الصّحابة كنّ يستعملن الطّيب فيما يغلب على ظنّهنّ عدم انتشاره بين الرّجال.

-فعن عَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِين-رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا- قَالَتْ:{كُنّا نَخْرُجُ مَعَ النّبِيّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- إِلَى مَكّةَ ، فَنُضَمّدُ جِبَاهَنَا بِالسُّكّ الْمُطَيّبِ (نوع من الطّيب) عِنْدَ الْإِحْرَامِ ، فَإِذَا عَرِقَتْ إِحْدَانَا سَالَ عَلَى وَجْهِهَا ، فَيَرَاهُ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- فَلَا يَنْهَاهَا}.(رواه أبو داود (١٨٣٠) وحسّنه النّوويّ في "المجموع (7/219) " وصحّحه الألبانيّ في "صحيح أبي داود").

-وهو محمول على الحال المعروفة في الزّمان الأوّل ، حيث كانت قوافل النّساء مفصولة عن الرّجال ، أو تكون المرأة في هودجها لا تختلط بالرّجال ولا تمرّ في أماكنهم.

-وقال الشّيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله في -"مجموع الفتاوى "(١٠/٤٠):

"يجوز لها الطّيب إذا كان خروجها إلى مجمع نسائيّ لا تمرّ في الطّريق على الرّجال " انتهى.

-وجاء في "جلسات رمضانية" (عام ١٤١٥/ المجلس الخامس/مجموعة أسئلة تهمّ الأسرة) للشّيخ ابن عثيمين- رحمه الله:-

{أمّا إذا كانت المرأة ستركب في السّيارة ولا يظهر ريحها إلّا لمن يحلّ له أن تظهر الرّيح عنده ، وستنزل فورا إلى محلّ عملها بدون أن يكون هناك رجال حولها ، فهذا لا بأس به ، لأنّه ليس في هذا محذور ، فهي في سيّارتها كأنّها في بيتها ، أمّا إذا كانت ستمرّ إلى جانب الرّجال فلا يحلّ لها أن تتطيّب } انتهى.

-فإن حصلت بعض الظّروف الطّارئة الّتي أدّت إلى شمّ بعض الرّجال طيب هذه المرأة ، بسبب حادث سيّارة مثلا ، أو مرض مفاجئ نقلت على إثره إلى المستشفى

ونحو ذلك ، فهذا من الأمور المعفو عنها إن شاء الله،إذ لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها ، والحكم الشّرعيّ يتبع حالات الاختيار لا حالات الاضطرار.

•هَذا وَاللّهُ أعْلَى وأعْلَمُ.



(مَا الْحِكْمَةَ مِنَ الْعِبَادَةَ)

الْحَمْدُ للّهِ وَحْدَهُ ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:



١٦-لَقَدْ خَلَقَنَا اللّهُ تَعَالَى لِمَقْصِدٍ وَهُوَ الْعِبَادَةُ قَالَ تَعَالَى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} .(الذَّارِيَاتِ:٥٦) .فَمَا الْحِكْمَةُ مِنَ الْعِبَادَةِ؟مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ أسْرَارِهَا؟.

-

-للعِبَادَة حِكَمٌ جَلِيلَةٌ وَأسْرَارٌ عَظِيمَةٌ نَذْكُرُ مِنْهَا:

(1)سُنَّةُ الابْتِلَاءِ فَمِنَ الْمَعْلُومِ أنّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا دَارُ اخْتِبَارٍ وَامْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ،قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍۢ قَدِيرٌ(١) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ}.(الملك:١-٢).

-فَقَوْلُهُ:{ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ}. أيْ: قَدّرَ لِعِبَادِهِ أنْ يُحْيِيَهُمْ ثُمّ يُمِيتَهُمْ؛ { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } أيْ: أخْلَصُهُ وَأصْوَبُهُ، فَإِنّ اللّهَ خَلَقَ عِبَادَهُ، وَأخْرَجَهُمْ لِهَذِهِ الدّارِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنّهمْ سَيُنْقَلُونَ مِنْهَا، وَأمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، وَابْتَلَاهُمْ بِالشّهَوَاتِ الْمُعَارِضَةِ لِأمْرِهِ، فَمَنِ انْقَادَ لِأمْرِ اللّهِ وَأحْسَنَ

الْعَمَلَ، أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الْجَزَاءَ فِي الدَّارَيْنِ، وَمَنْ مَالَ مَعَ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَنَبَذَ أَمْرَ اللَّهِ، فَلَهُ شَرُّ الْجَزَاءِ.

{ وَهُوَ الْعَزِيزُ } الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ كُلُّهَا، الَّتِي قَهَرَ بِهَا جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، وَانْقَادَتْ لَهُ الْمَخْلُوقَاتِ.

{ الْغَفُورُ } عَنِ الْمُسِيئِينَ وَالْمُقَصِّرِينَ وَالْمُذْنِبِينَ، خُصُوصًا إِذَا تَابُوا وَأَنَابُوا، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، وَلَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ، وَيَسْتُرُ عُيُوبَهُمْ، وَلَوْ كَانَتْ مِلْءَ الدُّنْيَا.

-وَأَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّنَّةَ فِي مَوَاضِعِ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ}.(البقرة:٢١٤).

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى:{الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }.(العنكبوت:١-٣).

(2)امْتَثَالُ أَوَامِرِ اللهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِدَامَةَ تَصَوُّرِ عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَمَالِكِ الْمُلْكِ فِي الْقُلُوبِ، وَذَلِكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، وَلِإِدَامَةِ هَذَا التَّصَوُّرِ وَرُسُوخِهِ فِي الْقَلْبِ شَرَعَ اللهُ لِعِبَادِهِ مُذَكِّرًا مُكَرَّرًا، وَعَمَلاً مُتَجَدِّدًا، وَهُوَ الْعِبَادَةُ، وَإِذَا زَادَ الْإِيمَانُ وَقَوِيَ زَادَتِ الْأَعْمَالُ وَقَوِيَتْ، ثُمَّ صَلَحَتِ الْأَحْوَالُ بِالْفَوْزِ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ.

-قَالَ اللهُ تَعَالَى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(٤١)وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}(الأحزاب:٤١- ٤٢)

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }.(الأعراف:٩٦).

(3)فِي أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ رَاحَةٌ لِلنَّفْسِ وَسَعَادَةٌ لِلقَلْبِ وَذَهَابٌ لِلهَمِّ وَمَغْفِرَةٌ لِلذَّنْبِ وَأَمَانٌ مِنَ الْمَخَاوِفِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٤٩٨٥)مِنْ حَدِيثِ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا}.

-الصَّلَاةُ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْعَمَلِيَّةِ، وَلَهَا أَهَمِّيَّتُهَا الْخَاصَّةُ فِي الشَّرْعِ، وَفِيهَا مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَالصِّلَةِ بِاللهِ مَا يَجْعَلُ الْقَلْبَ يَرْتَاحُ وَيَخْرُجُ مِنْ مَتَاعِبِ الدُّنْيَا إِلَى مَعِيَّةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي الصَّلَاةِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ رَاحَةَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَسَعَادَتَهُ فِي الصَّلَاةِ ،فَهِيَ رَاحَةٌ لِلقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَمَشَاغِلِهَا.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٤٥٧)مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟ فَقَالَ :{مَا شِئْتَ . قَالَ قُلْتُ الرُّبُعَ ؟ قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قُلْتُ النِّصْفَ ؟ قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قَالَ قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟ قَالَ : إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ .{

-فَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عِبَادَةٌ وَالْإِكْثَارُ مِنْهَا سَبَبٌ لِزَوَالِ هُمُومِ الدُّنْيَا وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ فِي الْآخِرَةِ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.(الرّعد:٢٨).

-فبطَاعةَ الله تعَالَى وَذِكْرِه وثَوَابِه تسْكُنُ الْقُلُوبُ وتَسْتَأنسُ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ }.(الأنعام:٨٢).

-فَالَّذِين صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ وَلَمْ يَخْلِطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ، أولَئِكَ لَهُم الطُّمَأنِينَةُ وَالسَّلَامَةُ، وَهُمُ الْمُوَفَّقُونَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ.

(4)مِنْ أسْرَارِ الْعِبَادَةِ الْإقْبَالُ عَلَى أدَائِهَا بِحُبٍّ وَفَرْحَةٍ.

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٥٨٢)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

قَالَ لِي النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}.(النِّسَاءِ: ٤١)، قَالَ: أَمْسِكْ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ}.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الاسْتِمَاعُ إِلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ، وَلَوْ كَانَ الْمُسْتَمِعُ مِنْ حُفَّاظِهِ؛ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاتِّبَاعًا لِسُنَّتِهِ.

-وَفِيهِ:الْإقْبَالُ عَلَى الْعِبَادَةِ بِحُبٍّ وَفَرْحَةٍ.

-وَفِيهِ: أَنَّ سَمَاعَ الْقُرْآنِ فِيهِ ثَوَابٌ كَمَا فِي تِلَاوَتِهِ.

-وَفِيهِ: الْبُكَاءُ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.

-وَفِيهِ: الْأمرُ بِقَطْعِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ لِلمَصْلَحَةِ.

•هَذَا وَاللَّهُ أعْلَى وَأَعْلَمُ.







(مَا حُكْمُ مَنْ يَأتِي الْكَاهِنَ؟)

الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ،والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:



-فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

١٧-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا :مَا حُكْمُ إِتْيَانِ الْكَاهِنِ؟.

جواب

•لَابُدّ مِن تَعْرِيفِ الْكَهَانَةِ أوّلًا:

-الْكَهَانَةُ فَعَالَةٌ مَأخُوذَةٌ مِنَ التّكَهّن، وَهُوَ التّخَرّصُ وَالْتِمَاسُ الْحَقِيقَةِ بِأمُورٍ لَا أَسَاسَ لَهَا، وَكَانَتْ فِي الْجَاهِلِيّةِ صَنْعَةٌ لِأقْوَامٍ تَتّصِلُ بِهِمُ الشّيَاطِينُ وتَسْتَرِقُ السّمْعَ مِن السّمَاءِ وَتُحَدّثُهُمْ بِهِ، ثُمّ يَأخُذُونَ الْكَلِمَةَ الّتِي نُقِلَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ السّمَاءِ بِوَاسِطَةِ هَؤلَاءِ الشّيَاطِينِ وَيُضِيفُونَ إِلَيْهَا مَا يُضِيفُونَ مِنَ الْقَوْلِ، ثُمّ يُحَدّثُونَ بِهَا النّاسَ، فَإِذَا وَقَعَ الشّيءُ مُطَابِقًا لِمَا قَالُوا: اغْتَرّ بِهِمُ النّاسُ وَاتّخَذُوهُمْ مَرْجِعًا فِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ، وَفِي اسْتِنْتَاجِ مَا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَلِهَذَا نَقُولُ: الْكَاهِنُ هُوَ الّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.(انْظُرْ:مَجْمُوع فَتَاوَى وَرَسَائِلِ الْعَلّامَةِ الْعُثَيْمِين الْمُجَلّدِ الثّانِي).

•أقْسَامُ مَنْ يَأتُونَ الْكُهّانَ:

-يَنْقَسِمُ مَنْ يَأتُونَ الْكُهّانَ إِلَى ثَلَاثَةِ أقْسَامٍ وَلِكُلّ قِسمٍ حُكْمُهُ عَلَى النّحْوِ التّالِي:

-الْقِسْمُ الْأوّلُ:أتَى الْكَاهِنَ وَلَمْ يُصَدّقْهُ:

-الْقِسْمُ الْأوّلُ مَنْ يَأتِي الْكَاهِنَ وَيَسْألُهُ وَلَا يُصَدّقُهُ فِيمَا قَال وَحُكْمُهُ التّحْرِيمُ وَيَأثَمُ مَنْ فَعَلَهُ وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ صَلَاةٌ أرْبَعِينَ يَوْمًا.

-لِمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ





(2230)عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ–قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}.

-قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: الْعَرَّافُ هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى مَعْرِفَةَ مَكَانِ الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِهِمَا، وَأَمَّا عَدَمُ قَبُولِ صَلَاتِهِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا ثَوَابَ لَهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِئَةً فِي سُقُوطِ الْفَرْضِ عَنْهُ، وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى إِعَادَةٍ، وَنَظِيرُ هَذِهِ الصَّلَاةُ فِي الْأَرْضِ الْمَغْصُوبَةِ مُجْزِئَةٌ مُسْقِطَةٌ لِلْقَضَاءِ وَلَكِنْ لَا ثَوَابَ فِيهَا كَذَا قَالَهُ جُمْهُورُ أَصْحَابِنَا، قَالُوا: فَصَلَاةُ الْفَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ إِذَا أَتَى بِهَا عَلَى وَجْهِهَا الْكَامِلِ تَرَتَّبَ عَلَيْهَا شَيْئَانِ: سُقُوطُ الْفَرْضِ عَنْهُ، وَحُصُولُ الثَّوَابِ، فَإِذَا أَدَّاهَا فِي أَرْضٍ مَغْصُوبَةٍ حَصَلَ الْأَوَّلُ دُونَ الثَّانِي، وَلَابُدَّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مَنْ أَتَى الْعَرَّافَ إِعَادَةَ صَلَوَاتِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَوَجَبَ تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ}.

-وَخَصَّ الْعَدَدَ بِالْأَرْبَعِينَ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذِكْرِ الْأَرْبَعِينَ وَالسَّبْعِينَ وَنَحْوِهِمَا لِلتَّكْثِيرِ، أَوْ لِأَنَّهَا الْمُدَّةُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا تَأْثِيرُ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ فِي قَلْبِ فَاعِلِهَا وَجَوَارِحِهِ، وَعِنْدَ انْتِهَائِهَا يَنْتَهِي ذَلِكَ التَّأْثِيرُ، ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ .

-وَخَصَّ اللَّيْلَةَ لِأَنَّ مِنْ عَادَاتِهِمْ ابْتِدَاءَ الْحِسَابِ بِاللَّيَالِي.

-وَخَصَّ الصَّلَاةَ لِكَوْنِهَا عِمَادَ الدِّينِ فَصَوْمُهُ كَذَلِكَ كَذَا قِيلَ.

-الْقِسْمُ الثَّانِي:أَتَى الْكَاهِنَ وَصَدَّقَهُ:

-الْقِسْمُ الثَّانِي مَنْ يَأْتِي الْكَاهِنَ فَيُصَدِّقُهُ فِيمَا يَقُولُ فَهَذَا حُكْمُهُ الْكُفْرُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

-لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْمُنْذِرِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ بِرَقَمِ(٣٠٤٩)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ

برقَمِ(٣٠٤٩)مِنْ حَدِيثِ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنْ مَسْعُودٍ قَالَ :{مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا ، يُؤمِنُ بِمَا يَقُولُ ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ}.

-وَلِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبَزَّارُ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–بِرقَمِ(٣٥٧٨) وَالْإِمَامُ الْهَيْثَمِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ بِرقَمِ

(5/120)مِنْ حَدِيثِ عُمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطَيِّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكِهِّنَ لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً أَوْ قَالَ عَقَدَ عُقْدَةً وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا قَالَ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–}.

-فَقَدْ زَجَرَ الْإِسْلَامُ وَحَذَّرَ مِنْ كُلِّ مَنْ زَعَمَ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ، كَمَا زَجَرَ عَنِ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُفْسِدُ عَقِيدَةَ الْمُسْلِمِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لَيْسَ مِنَّا}، أَيْ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ذَوِي أُسْوَتِنَا، وَلَيْسَ عَلَى طَرِيقَتِنَا وَسُنَّتِنَا وَأَحْكَامِ شَرْعِنَا،{مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ}، وَالتَّطَيُّرُ أَغْلَبُهُ يَكُونُ فِي التَّشَاؤُمِ وَالشَّرِّ، وَأَصْلُ التَّطَيُّرِ: إِطْلَاقُ الطَّيْرِ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي عَمَلٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ طَارَ جِهَةَ الْيَمِينِ تَفَاءَلَ الْمَرْءُ وَمَضَى لِإِكْمَالِ مَا بَدَأَهُ أَوْ نَوَاهُ، وَإِنْ طَارَ الطَّائِرُ جِهَةَ الشِّمَالِ تَشَاءَمَ الْمَرْءُ وَكَفَّ عَنِ الْعَمَلِ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا بِنَفْسِهِ أَوْ كَلَّفَ مَنْ يَفْعَلُهُ لَهُ، وَاعْتَقَدَ صِحَّتَهُ؛ فَلَيْسَ عَلَى هُدَى الْإِسْلَامِ وَلَا سُنَّةِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، وَفِيهِ عَدَمُ إِيمَانٍ بِالْقَدَرِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}. التَّوبة: ٥٠)، وَقَالَ تَعَالَى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.(التَّغابن:١١) فَمَا قَدْ خُطَّ فِي اللَّوحِ الْمَحْفُوظِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ، وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّشَاؤُمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ مِنَ الطُّيُورِ

عَامَّةً، أوِ الْحَيَوَانَاتِ، أوْ أصْحَابِ الْعَاهَاتِ، وَالْمَشْرُوعُ اجْتِنَابُ مَا وَرَدَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ؛ كَاتِّقَاءِ الْمَجْذُومِ، وَأَمَّا مَا خَفِيَ مِنْهَا فَلَا يُشْرَعُ اتِّقَاؤُهُ وَاجْتِنَابُهُ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الطِّيَرَةِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا.

{أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكِهِّنَ لَهُ}، وَالتَّكَهُّنُ: هُوَ ادِّعَاءُ عِلْمِ الْغَيْبِ وَمَا سَيَحْدُثُ فِي الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ بِاسْتِخْدَامِ النُّجُومِ وَمَا شَاكَلَهَا، وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنِ ادَّعَى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ فَقَدْ وَقَعَ فِي الْمَحْذُورِ وَالشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى شَخْصٍ يَتَكَهَّنُ ظَانًّا أَنَّهُ يَنْفَعُهُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ، فَقَدْ وَقَعَ فِي الْمَحْذُورِ أَيْضًا، وَعَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا التَّوْبَةُ وَالرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ،{أَوْ سَحَرَ}، أَيْ: تَعَلَّمَ السِّحْرَ وَمَارَسَهُ بِنَفْسِهِ،{أَوْ سُحِرَ لَهُ}، أَيْ: كَلَّفَ مَنْ يَعْمَلُ لَهُ سِحْرًا؛ لِيَنْفَعَهُ بِهِ أَوْ يَضُرَّ أَحَدًا،{وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً- أَوْ قَالَ: عَقَدَ عُقْدَةً-} وَذَلِكَ بِرَبْطِ الْخَيْطِ وَالسِّحْرِ عَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ التَّعْوِيذَاتِ الْكُفْرِيَّةِ عَلَيْهِ وَالنَّفْثِ فِيهِ، {وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا}، أَيْ: مَنْ جَاءَ إِلَى مَنْ يَزْعُمُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ،{فَصَدَّقَهُ بِمَا قَالَ} بِأَنِ اعْتَقَدَ صِدْقَ قَوْلِهِ، وَعِلْمَهُ لِلْغَيْبِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،{فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-}،أَيْ: مَنِ ارْتَكَبَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ فَقَدْ بَرِئَ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ؛ فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ مِنْ أَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ تُفْضِي إِلَى الشِّرْكِ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ لَهَا تَأْثِيرًا فِي الْحَقِيقَةِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تُنَافِي أُصُولَ الْإِيمَانِ؛ مِنَ السِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ، وَالتَّشَاؤُمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

-وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَنَاوِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي فَيْضِ الْقَدِيرِ عَنِ الْمَقْصُودِ بِكُفْرِ مَنْ صَدَّقَ كَاهِنًا:{الْمُرَادُ إِنَّ مُصَدِّقَ الْكَاهِنِ إِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ كَفَرَ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْجِنَّ تُلْقِي إِلَيْهِ مَا سَمِعَتْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُ بِإِلْهَامٍ، فَصَدَّقَهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، لَا يَكْفُرُ } . اهـ.

•فمَنْ أتَى كَاهنًا أوْ عرّافًا وصدَّقَهُ في قوْلِه مُعْتقِدًا علمَهُ بالْغيْب، فإنّهُ يَكْفُرُ كُفْرًا مُخْرِجًا من الْملّة بلَا خلَاف، وذَلك لإشْراكه به مع اللّه في علْم الغيْب الّذي استَأثَر به لنَفْسه، قَالَ اللّهُ تعَالَى:{قلْ لَا يَعْلَمُ منْ في السّموَات وَالْأرْض الْغيْبَ إلّا اللّهُ} . (النّمل:٦٥) ولِجَحْده تَكْذيبَ النّبيِّ- صلّى اللّهُ علَيْه وسلّمَ-لَهُمْ، حيْثُ قَالَ-صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ:{منْ أتَى عرّافًا أوْ كَاهنًا يؤمنُ بما يقُولُ فقدْ كفرَ بمَا أنْزلَ علَى مُحمّدٍ}.
أمّا منْ أتَى كاهنًا ويعلَمُ أنّ الْغيْبَ لَا يعلَمُهُ إلّا اللّهُ تعَالَى لكنّهُ اعتَقدَ أنّ الْجنّ أخْبرَت الْكَاهنَ مَا سمعَتْهُ من الْمَلَائكَة فكُفْرُهُ كُفْرٌ دُونَ كفْرٍ أيْ أنّهُ مُرْتكبٌ لكَبيرَةٍ وَهُوَ علَى خَطَرٍ عَظيمٍ يَجبُ أنْ يُبَادرَ بالتّوْبَة إلَى اللّه تَعالَى.

-القسْمُ الثّالثُ:الّذي يأتي الْكاهنَ لبيَان حَالِه للنّاس:

-الْقسْمُ الثّالثُ منْ يذْهبُ إلَى الْكاهنِ لبيَانِ حَالِه للنّاسِ وَالتّحْذيرِ منْهُ ،وبيَانِ أنّ فِعْلَهُ تَمْويهٌ وتَضْليلٌ،وهَذا جائزٌ شرْعًا.
-لمَا أخْرجَهُ الْإمَامُ مُسلْمٌ-رحمَهُ اللّهُ تعَالَى-في صَحيحه برقَمِ (2924)منْ حديث عبْد اللّه بْن مَسْعُود-رَضيَ اللّهُ تعَالَى عنْهُ-قَالَ:كُنّا نَمْشي مَعَ النّبيِّ-صلّى اللّهُ علَيْه وسلّمَ- فمرّ بابْن صيّاد، فقَالَ لهُ رَسُولُ اللّه-صلّى اللّهُ علَيْه وَسَلّمَ-:{قدْ خبَأْتُ لكَ خبْأً فقَالَ: دُخٌّ،فقَالَ رسُولُ اللّه-صلّى اللّهُ علَيْه وسلّمَ-: اخْسأْ، فلَنْ تعْدُو قدْرَك، فقَالَ عمَرُ: يَا رسُولَ اللّه، دعْني فأضْربَ عنُقَهُ، فقَالَ رسُولُ اللّهِ-صلّى اللّهُ عَلَيْه وسلّمَ-:دعْهُ، فإنْ يكُنِ الّذي تخَافُ لَنْ تَسْتَطيعَ قتْلَهُ}.

•ويَلْحَقُ بالْكَهَانَة والتّنْجيمِ في الزّجْرِ والتّحْذيرِ مَا يلِي:

(1)قرَاءَةُ أبْراجِ الْحظِّ:

-فإنّ الْقوْلَ بجوَاز أخْذ الصفَات الْمبْنيّة علَى تَاريخ موْلد كُلّ إنْسَانٍ بتَحْديد الْبُرْجِ الّذي ينْتَمي إلَيْه قوْلٌ بلَا علْمٍ، ومنَ الْأقْوال الْخاطئَة، فهَذه الصفَاتُ الْمَأخُوذَةُ منَ الْأبْراج

مُتَفَرِّعَةٌ عَنْ عِلْمِ التَّنْجِيمِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْكَهَانَةِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي فِيهَا ادِّعَاءٌ لِعِلْمِ الْغَيْبِ وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَيْسَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى عِلْمٍ أَوْ عَادَةٍ أَوِ اسْتِقْرَاءٍ حَتَّى يُقَالَ بِجَوَازِهَا، وَعَلَيْهِ فَلَا يَجُوزُ النَّظَرُ فِيهَا أَوْ تَصْدِيقُهَا.

(2)قِرَاءَةُ الْفِنْجَانِ:

-قِرَاءَةُ الْفِنْجَانِ هِيَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَهَانَةِ، وَقَدْ حَرَّمَ الشَّارِعُ الْإِتْيَانَ إِلَى الْكُهَّانِ وَالْعَرَّافِينَ وَالْمُشَعْوِذِينَ، لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٣٩٠٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ أَوْ أَتَى امْرَأَتَهُ حَائِضًا أَوْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-}.

(3)قِرَاءَةُ الْكَفِّ:

-قِرَاءَةُ الْكَفِّ أَيْضًا هِيَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَهَانَةِ الْمُحَرَّمَةِ شَرْعًا لِلْأَدِلَّةِ السَّابِقَةِ،لِأَنَّهَا مُحَاوَلَةٌ لِمَعْرِفَةِ الْغَيْبِ وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

(4)ضَرْبُ الْوَدَعِ وَالْحَصَى:

-وَهَذَا الْفِعْلُ أَيْضًا مِنْ أَفْعَالِ الْكَهَانَةِ وَالشَّعْوَذَةِ ،وَفِيهِ ادِّعَاءٌ لِعِلْمِ الْغَيْبِ وَتَضْلِيلٌ لِلنَّاسِ فَحُكْمُهُ التَّحْرِيمُ،لِمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّهُ قَالَ:{مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ} وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: {مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ}.(انْظُرْ:فَتَاوَى نُورٍ عَلَى الدَّرْبِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ بَازٍ:٣٧٧/١).

(5)فَتْحُ الْكُوتْشِينَةِ(الْوَرَقِ):

-وَيَلْحَقُ مَا سَبَقَ فِي حُكْمِ التَّحْرِيمِ مَا يُسَمَّى بِفَتْحِ الْكُوتْشِينَةِ (الْوَرَقِ)لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكَهَانَةِ وَادِّعَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى،أَلَا فَلْيَنْتَهِ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا وَيُبَادِرُ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْفَوْتِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ.

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.







الْحَمْدُ للّهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ علَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:

-فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:



١٨-انْتَشَرَتْ قَصِيدَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُنْشِدِينَ بِعُنْوَانِ(قَمَرٌ سِيدْنَا النَّبِيّ) فِيهَا بَعْضُ الْكَلِمَاتِ تَخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةِ فَهَلْ مِنْ تَوْجِيهٍ وَبَيَانٍ لِمَا تَحْوِيهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ مُخَالَفَاتٍ وَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا؟

-السّائِلُ الْفَاضِلُ سَبَقَ لِي مُنْذُ عَامٍ أَنْ نَشَرْتُ مَقَالًا عَبْرَ صَفْحَتِي بِعُنْوَانِ{القَوْلُ الرّضِيِ فِي التّحْذِيرِ مِن قَصِيدَةِ قَمَرٌسِيدنا النّبِيّ}

وَضّحْتُ خِلَالَهُ بَعْضَ بعضَ المُخَالَفَاتِ الْعَقَدِيّةِ الْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَهَذَا نَصّهُ:

-فَكَمَا قَالَ أَحَدُ السّلَفِ :{إنّ الشّيْطَانَ يُحبّبُ الْبِدْعَةَ إلَي النّفْسِ فَتَحَفَظُهَا قَبْلَ السُّنّةِ} هَذَا وَقَد انْتَشَرَتْ قَصِيدَةٌ بعُنْوَانِ {قَمَرٌ سِيدْنَا النّبِيّ قَمَرٌ وَجَمِيلٌ}وَهِي قَصِيدَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْمُخَالَفَاتِ الشّرْعِيّةِ وَالْمُخَالَفَاتِ الْعَقَدِيّةِ، وَللأسَفِ يُرَدّدُهَا بَعْضُ الْإخْوَةِ وَيَتَنَاقَلُونَهَا، وَقَدْ قَرَأْتُ بَعْضَ التّعْلِيقَاتِ الْمُفِيدَةِ النّافِعَةِ لأهْلِ الْعِلْمِ عَلَي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فَأَرَدْتُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا أَحْبَابِي قِيَامًا بِوَاجِبِ النّصْحِ لِكُلّ مُسْلِمٍ وَحِفَاظًا عَلَي الْعَقِيدَةِ الصّحِيحَةِ فَالدّالُ عَلَي الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ.

-وَالْآنَ أَنْقُلُ لَكُمْ أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا يَتَعَلّقُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ {قَمَرٌ سِيدْنَا النّبِيّ} :

*هَذِهِ الْقَصِيدَةُ صُوفِيّةُ الْأَصْلِ مَلِيئَةٌ بِالْمَحَاذِيرِ الشّرْعِيّةِ حَتّى فِي جَانِبِ الْعَقِيدَةِ نَسْأَلُ اللّهَ السّلَامَةَ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَحَاذِيرِ مَا يلِي:-

*قَوْلُهُمْ: { لاَ ظلّ لَهُ بَلْ كَانَ نُورًا } فَهَذَا إِطْرَاءٌ بَاطِلٌ نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ– صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَنَقْلٌ للنَّبِيِّ مِنْ كَوْنِهِ بَشَرًا لَهُ جَسَدٌ وَظِلٌّ إِلَى كَوْنِهِ مَخْلُوقًا أخَرَ غَيْرَ الْبَشَرِ لَا جَسَد لَهُ وَلاَ ظِلّ ؛وَهَذَا تَكْذِيبٌ للقُرْآنِ فَقَدْ قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا}.(الكهف:١١٠).

*قَوْلُهُمْ:{ تَنَالُ الشَّمْسُ مِنْهُ وَالْبُدُورُ } أيْ: أنّ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَمَدٌّ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلاَ يَخْفَى عَلَى مُنْصِفٍ مَا يَعْنِيهِ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ مُغَالَاةٍ ظَاهِرَةٍ وَتَقَوُّلٍ عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَنِسْبَةِ أَمْرٍ لِرَسُولِ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمْ يَنْسِبْهُ لِنَفْسِهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛

*قَوْلُهُمْ:{ وَالْوُجُودُ أَنَارَ بِنُورِ طَهَ } وَفِيهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ وَالْمَصَائِبِ إِذْ أَنّ { طَهَ } لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –بَلْ مِنَ الْأَحْرُفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي بَدَأَتْ بِهَا بَعْضُ سُوَرِ الْقُرْآنِ للإِعْجَازِ وَالتَّحَدِّي وَقَطْعِ الْغُرُورِ الْعِلْمِيِّ وَإِثْبَاتِ صِدْقِ النَّبِيِّ– صَلّي اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –مِثْل: {ألم} و {ق} و {ص} و {ن} و {حم}، وَالْمُصِيبَةُ هِيَ أَنّهُمْ يُقَرِّرُونَ أَنّ الْوُجُودَ أَنَارَ بِنُورِ النَّبِيِّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!-

*فَأَيْنَ هُمْ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.(النور:٣٥).، فَهُمْ يَنْسِبُونَ لِرَسُولِ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛





*قَوْلُهُمْ:{ وَرِيقُ الْمُصْطَفَى يَشْفِى الْعَلِيلَ } سُبْحَانَ اللّهِ مَنِ الشّافِى ؟!!! يَا عِبَادَ اللّهِ الدُّعَاءُ لَا يَشْفِى ، الدّوَاءُ لَا يَشْفِى ، الطّبِيبُ الْبَشَرِيُّ لَا يَشْفِى ، النّبِيُّ–صَلّي اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– لَا يَشْفِى ، رِيقُ النّبِيِّ– صَلّي اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – لَا يَشْفِى ،

{ الشّافِى }هُوَ اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْقَائِلُ عَلَى لِسَانِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ–عَلَيْهِ السّلَامُ– :{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}.(الشّعراء:٨٠)

.،أمّا أَنّ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– مَسَحَ بِرِيقِهِ عَلَى عَيْنِ الرّجُلِ فَشُفِى فَإِنّ رِيقَ النّبِيّ سَبَبٌ وَالّذِى شَفَاهُ هُوَ اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،بَلْ قَدْ يَجْعَلَ اللّهُ تَعَالَى فِى رِيقِنَا شِفَاءً كَمَا عَلّمَنَا النّبِيُّ–صَلّي اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – فِى رُقْيَةِ الْجُرْحِ:{ بِسْمِ اللّهِ رَبّنَا ، وَبِتُرْبَةِ أَرْضِنَا ، وَبِ□رِيقَةِ بَعْضِنَا يَشْفَى سَقِيمُنَا) لَكِنْ لَا نَقُولُ رِيقُ فُلَانٍ يَشْفِى حَتّى لَوْ كَانَ رِيقَ النّبِيِّ– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم –؛

*قَوْلُهُمْ:{ لَمْ يَكُنِ الْهُدَى لَوْلَا ظُهُورِهِ } يَاعِبَادَ اللّهِ الْهَادِى هُوَ اللّهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ وَالّذِى يُقَدّرُ الْهِدَايَةَ هُوَ اللّهُ ، وَالّذِى أَرْسَلَ رُسُلَهُ أَجْمَعِينَ بِالْهُدَى هُوَ اللّهُ ، فَهَلِ اللّهُ يَفْتَقِرُ فِى هِدَايَةِ خَلْقِهِ لِأَحَدٍ وَلَوْ كَانَ لِرَسُولِ اللّهِ؟ !!

هَذِهِ مُغَالَاةٌ فَجّةٌ وَحَصْرٌ لِلْهِدَايَةِ عَلَى ظُهُورِ النّبِيِّ– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–، إِنْ شِئْتَ فَقُلْ لَمْ يَكُنِ الْهُدَى لَوْلَا أَرْسَلَهُ اللّهُ.

فَالْهِدَايَةُ هِدَايَتَانِ:

*الْأُولَى هِدَايَةُ بَيَانٍ وَإِرْشَادٍ:

وَهَذِهِ أَثْبَتَهَا اللّهُ تَعَالَى لِلنّبِيِّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ}.(الشّوري:٥٢–٥٣).

*الثّانيةُ هدَايَةُ عَونٍ وتَوفيق:

وهَذه لَا تَكُونُ إلّا للّه عزّ و جلّ،لذَا نفَاهَا عَنْ نبيّه–صلّي اللّهُ علَيْه وسَلّمَ–كَمَا في قَوْله تَعَالَي:{لّيْسَ عَلَيْك هُداهُمْ ولَكنّ اللّهَ يهْدي من يشَاءُ وما تنفقوا من خيرٍ فلأَنفسُكُمْ ومَا تُنفقُونَ إلّا ابْتغَاء وَجْه اللّه ومَا تنفقوا منْ خيْرٍ يُوفّ إلَيْكُمْ وأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}.(البقرة:٢٧٢).

وكَمَا في قَوْله تَعَالَي:{إنّكَ لَا تَهْدي منْ أَحْبَبْتَ ولَكنّ اللّهَ يَهْدي من يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بالْمُهْتَدينَ}.(القصص:٥٦).

*فَاحْذَرُوا عبَادَ الله:فإنّ رَسُولَ اللّه –صلّي اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–أبْهَى وَأجْمَلُ منَ الْقَمَر لَكنْ كَانَ لَهُ ظلٌّ ، وَلَمْ يُضيءْ بنُوره الشّمْس وَالْقَمَر وَلَمْ يُضيءْ الْوُجُود بنُوره فَاللّهُ تَعَالَى هُوَ نُورُ السّمَاوَات وَالْأَرْض.

*رَسُولُ اللّه– صلّي اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– دَاوَى بريقه بَعْضَ الْمَرْضَى لَكنّ الّذى شَفَاهُمْ وَيَشْفي الْمَرْضَى هُوَ اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ.

*وَالْهَادى هُوَ اللّهُ تَعَالَى، وَبَعَثَ رَسُولَهُ–صلّي اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– بالْهُدَى كَمَا بَعَثَ به غَيْرَهُ منَ الْأَنْبيَاء ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مُحمّدٌ–صلّي اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ –وَأَرَادَ اللّهُ الْهُدَى لخَلَقَ وَيَسّرَ لَهُ أَسْبَابَهُ فَاللّهُ لَا يَفْتَقرُ لأحَد وَلَوْ كَانَ لرَسُوله– صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ.–

*وَلَا شَكّ أَنّ هَذَا منَ الْغُلُوّ في رَسُول اللّه–صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ –وَقَدْ حَذّرَ النّبيُّ– صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– منْهُ وَنَهَى عَنْهُ فَقَالَ : { لَا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتْ النّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإنّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللّه وَرَسُولُهُ }.(رواه البخاريٌ :أحاديث الأنبياء برقم: ٣١٨٩).

•هذَا وَاللّهُ أعْلَى وَأعْلَمُ.







(مَا هِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ تَعَدُّدِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ؟)

الْحَمْدُ للَّهِ وَحْدَهُ،والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

١٩-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا وَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ عَلَى هَذِهِ السِّلْسِلَةِ (سُؤَالٍ وَجَوَابٍ)وَسُؤَالِي:مَا هِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ تَعَدُّدِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟.



•اعلَمْ أيُّهَا السَّائلُ الْكَرِيمُ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-أَنَّ الْمُتَدَبِّرَ لِتَعَدُّدِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَجِدُ لِذَلِكَ حِكَمًا كَثِيرَةً أَذْكُرُ مِنْهَا:

(أ)الْحِكْمَةُ التَّعْلِيمِيَّةُ:

-فَمِنْ حِكَمِ تَعَدُّدِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَخْرِيجُ بَعْضِ مُعَلِّمَاتٍ لِلنِّسَاءِ يُعَلِّمْنَهُنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ خَاصَّةً تِلْكَ الْأَحْكَامِ الْخَاصَّةِ بِالنِّسَاءِ وَالَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الرِّجَالُ،فَالنِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ،وَقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِنَّ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ مَا فُرِضَ عَلَى الرِّجَالِ،وَقَدْ كَانَ الْكَثِيرَاتُ مِنْهُنَّ يَسْتَحْيِينَ مِنْ سُؤَالِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنْ بَعْضِ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَخَاصَّةً الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِنَّ كَأَحْكَامِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالْجَنَابَةِ وَالْأُمُورِ الزَّوْجِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ،وَقَدْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تُغَالِبُ حَاءَهَا حِينَمَا تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنْ بَعْضِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ،كَمَا كَانَ مِنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْحَيَاءُ الْكَامِلُ،وكَانَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا،فَمَا كَانَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ النِّسَاءِ بِالتَّوْضِيحِ الْكَامِلِ بَلْ كَانَ يُكَنِّي فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ،ولَرُبَّمَا لَمْ تَفْهَمِ الْمَرْأَةُ عَنْ طَرِيقِ الْكِنَايَةِ مُرَادَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ كِتَابِ الْحَيْضِ بَاب دَلْكِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا إِذَا تَطَهَّرَتْ مِنَ الْحَيْضِ وَكَيْفَ تَغْتَسِلُ بِرَقَمِ(٣٠٨)

مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-:أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنْ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ :{خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ قَالَ تَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ}.

-فَأُمُّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-صَرَّحَتْ لَهَا بِالْمَكَانِ الَّذِي تَضَعُهَا فِيهِ،فَكَانَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَسْتَحِيي مِنْ هَذَا التَّصْرِيحِ.

-وَكَذَلِكَ كَانَ الْقَلِيلُ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَغَلَّبَ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى حَيَائِهَا فَتُجَاهِرِ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِالسُّؤَالِ عَمَّا يَقَعُ لَهَا.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٣٠)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا}.

-وَمُرَادُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنّ الْجَنِين يَتَوَلّدُ مِنْ مَاءِ الرّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَة،وَلِهَذَا يَأْتِي لَهُ شَبَهٌ بِأُمّه،وَهَكَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍۢ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا}.(الإنسان:٢).

-قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{أَمْشَاجٍ أَيْ:أَخْلَاطٍ،وَالْمَشْجُ وَالْمَشِيجُ:الشَّئ الْخَلِيطُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ،

قَالَ ابْنُ عَبّاس:يَعْنِي مَاءَ الرّجُلِ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ إِذَا اجْتَمَعَا وَاخْتَلَطَا}}.

-وَلِهَذَا فَإِنّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَسْئِلَةَ كَانَ يَتَوَلّى الْجَوَابَ عَنْهَا فِيمَا بَعْدُ زَوْجَاتُهُ الطّاهِرَاتُ أُمّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُنّ أَجْمَعِين.-

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(332)مِنْ حَدِيثِ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا:-

أَنّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النّبِيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ فَقَالَ:{تَأْخُذُ إِحْدَاكُنّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا، فَتَطَهّرُ فَتُحْسِنُ الطّهُورَ، ثُمّ تَصُبّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمّ تَصُبّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسّكَةً فَتَطَهّرُ بِهَا فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ، تَطَهّرِينَ بِهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَأَنّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبّعِينَ أَثَرَ الدّمِ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ؟ فَقَالَ: تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهّرُ فَتُحْسِنُ الطّهُورَ، أَوْ تُبْلِغُ الطّهُورَ، ثُمّ تَصُبّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقّهْنَ فِي الدّينِ}. وَفِي رِوَايَةٍ: نَحْوُهُ، وَقَالَ: {قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ، تَطَهّرِي بِهَا وَاسْتَتِرِي}.

-فَكَانَت النّسَاءُ يَأْتِينَ أُمّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَيَسْأَلْنَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِل وَغَيْرِهَا،وَكَانَتْ أُمّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرَ مُعَلّمَات،وَكَانَ لَهُنّ بَعْدَ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَكْبَرُ الْفَضْلِ فِي نَقْلِ جَمِيعِ أَحْوَالِ النّبِيّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- وَأَطْوَارِهِ وَأَفْعَالِهِ فِي بَيْتِهِ.

(ب)الْحِكْمَة التَّشْرِيعيَّة:

-وَمِنْ حِكَمِ تَعدُّد زَوْجَاته-صلّى اللّه عَلَيْه وَسَلّمَ-الْحِكْمَةُ التَّشْرِيعيَّةُ،وهَذه الْحِكْمَةُ ظَاهِرَةٌ تُدْرَكُ بِسهولَةٍ ويُسْرٍ كَقضيَّةِ إِبْطَالِ عَادةِ التَّبَنّي الَّتي كَانَتْ سَائِدَةً فِي الْمُجْتَمَعِ الْجَاهِلِيِّ،

فَقَدْ كَانَ التّبَنّي دينًا مُتَوارثًا عِنْدَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ،يَتَبَنّى أَحَدُهُم وَلَدًا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ ويَجْعَلُهُ فِي حُكْمِ الْوَلَدِ الصُّلْبِيِّ،

وَيَتّخِذُهُ ابْنًا حَقِيقِيًّا لَهُ حُكْمُ الْأَبْنَاءِ مِنَ النّسَبِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ،فِي الْمِيرَاثِ وَالزّوَاجِ وَالطّلَاقِ وَمُحَرّمَات الْمُصَاهرَة وَمُحَرّمَات النّكَاحِ إِلَى غَيْرِ مَا هُنَالِكَ ممّا تَعَارَفُوا عَلَيْهِ،وكَانَ دينًا تَقْلِيديًّا مُتّبَعًا فِي الْجَاهِلِيّة،وما كَانَ الْإِسْلَامُ لِيُقِرّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ،فَمَهّدَ لِذَلِكَ بِأَنْ أَلْهَمَ رَسُولَ اللّه-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-أَنْ يتبنّى أحَدَ الْأَبْنَاءِ وكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبَعْثَة النّبويّة فَتَبَنّى-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسلّمَ-زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ،وأصْبَحَ زَيْدٌ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-يُدْعَى زَيْدَ بْنَ مُحَمّد.

-أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمٍ(4782)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّه بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا

:-أَنّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللّه-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- مَا كُنّا نَدْعُوهُ إِلّا زَيْدَ بْنَ مُحَمّدٍ حَتّى نَزَلَ الْقُرْآنُ، {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ}.

-وَزَوّجَهُ الرّسُولُ الْكَرِيمُ-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-بِابْنَة عَمّته (زَيْنَب بِنْت جَحْشٍ)-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-وَقَدْ عَاشَتْ مَعَهُ مُدّةً مِنَ الزّمَنِ ولَكِنّهَا لَمْ تَطُلْ،فَقَدْ سَاءَتْ الْعَلَاقَاتُ بَيْنَهُمَا

،ولِحِكْمَةٍ يُرِيدُهَا اللّهُ تَعَالَى طَلّقَ زَيْدٌ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-زَيْنَبَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-فَأَمَرَ اللّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ-صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-أَنْ يَتَزَوّجَهَا لِيُبْطِلَ بِدْعَةَ التّبَنّ

وَيُقِيمَ أُسُسَ الْإِسْلَامِ،ويَأتِيَ عَلَى الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَوَاعِدِهَا،ولَكِنَّهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ يَخْشَى أَلْسِنَةَ الْمُنَافِقِينَ وَالْفُجَّارِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِيهِ وَيَقُولُوا:تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ امْرَأَةَ ابْنِه فَكَانَ يَتَبَاطَأُ حَتَّى نَزَلَ الْعِتَابُ الشَّدِيدُ لِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا}.(الأحزاب:٣٧).

–وَهَذِهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَثَارَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ حَوْلَهَا الشُّبُهَاتِ لِلتَّقْلِيلِ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ–وَعَبَثًا يُحَاوِلُونَ–وَقَدْ ذَكَرُوا بَعْضَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي لَا تَثْبُتُ وَلَا تَصِحُّ حَتَّى يُثْبِتُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَحَبَّ زَيْنَبَ بِنْت جَحْشٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–وَهِيَ تَحْتَ زَيْد بْن حَارِثَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–وَهُوَ ابْنُهُ بِالتَّبَنِّي وَرَغِبَ فِي تَطْلِيقِهَا لِيَتَزَوَّجَهَا،ولَوْ أَنَّهُمْ قَرَؤا الْآيَةَ بِتَدَبُّرٍ،

وَقَرَؤا أَقْوَالَ الْمُفَسِّرِينَ وِفْقَ الثَّابِتِ مِنَ النُّصُوصِ لَعَلِمُوا بُطْلَانَ شُبْهَتِهِمْ،ولَمَا فَضَحُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِظْهَارِ جَهْلِهِمْ،وَإِلَيْكُمُ الثَّابِتَ مِنَ الْآثَارِ وَأَقْوَالَ الْمُفَسِّرِينَ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

(1)قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَاهُنَا آثَارًا عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ–

أَحْبَبْنَا أَنْ نَضْرِبَ عَنْهَا صَفْحًا لِعَدَمِ صِحَّتِهَا فَلَا نُورِدُهَا} .(انْظُرْ:تَفْسِير ابن كَثِير:٦/٤٢٤).

–وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(7420)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ:{اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَاتِمًا

شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِه، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سمَوَاتٍ، وَعَنْ ثَابِتٍ: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ}.(الأحزاب: ٣٧)، نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ}.

(2)وقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ:أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَانَ قَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّ زَيْدًا يُطَلِّقُ زَيْنَبَ،وَأَنَّهُ يَتَزَوَّجُهَا بِتَزْوِيجِ اللَّهِ إِيَّاهَا،فَلَمَّا تَشَكَّى زَيْدٌ لِلنَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–خُلُقَ زَيْنَبَ،وَأَنَّهَا لَا تُطِيعُهُ،وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ طَلَاقَهَا،قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى جِهَةِ الْأَدَبِ وَالْوَصِيَّةِ:{اتَّقِ اللَّهَ فِي قَوْلِكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ}وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُفَارِقُهَا وَيَتَزَوَّجُهَا،

وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَخْفَى فِي نَفْسِهِ،وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالطَّلَاقِ لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُهَا،وَخَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنْ يَلْحَقَهُ قَوْلٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ بَعْدَ زَيْدٍ،وَهُوَ مَوْلَاهُ،

وَقَدْ أَمَرَهُ بِطَلَاقِهَا،فَعَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ أَنْ خَشِيَ النَّاسَ فِي شَئٍ أَبَاحَهُ اللَّهُ لَهُ ،بِأَنْ قَالَ:{أَمْسِكْ}مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ يُطَلِّقُ.وَأَعْلَمَهُ أَنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْخَشْيَةِ،أَيْ فِي كُلِّ حَالٍ،قَالَ عُلَمَاؤُنَا–رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ–:وَهَذَا الْقَوْلُ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ،وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ التَّحْقِيقِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ كَالزُّهْرِيِّ وَالْقَاضِي بَكْرِ بْنِ الْعَلَاءِ الْقُشَيْرِيِّ

،وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرِهِمْ،وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَتَخْشَى النَّاسَ} إِنَّمَا هُوَ إِرْجَافُ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُ نَهَى عَنْ تَزْوِيجِ نِسَاءِ الْأَبْنَاءِ وَتَزَوَّجَ بِزَوْجَةِ ابْنِهِ.

فَأمّا مارُوي أنّ النّبيّ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–هوي زَيْنَبَ امرأة زَيْدٍ،وَرُبّمَا أطْلَقَ بَعْضُ الْمُجّانِ لَفْظَ عِشق فهَذَا إنّمَا يَصدُرُ عَنْ جاهلٍ بعِصْمَةِ النّبيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–عَنْ مثلِ هذَا،أوْ مُسْتَخِفّ بحرْمَتِهِ}.(انظُرْ:تَفسير الْقُرْطُبيّ:١٤/١٩١:١٩٠).

(3)وقال الْعَلّامَةُ مُحَمّد الْأمينُ الشّنْقيطيّ –رَحمَهُ اللّه تعالَى–في أضواءِ الْبيَانِ:

{التّحْقيقُ إنْ شَاء اللّهُ في هذه الْمَسْأَلَة، هُوَ مَا ذكرنَا أَنّ الْقُرآنَ دلّ عليْهِ وَهُوَ أَنّ اللّهَ أَعْلَمَ نَبيّهُ – صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – بأَنّ زيْدًا يُطَلّقُ زيْنَبَ وأنّه يُزوّجُهَا إيّاه – صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ –، وَهِيَ في ذَلكَ الْوَقْتِ تحتَ زَيْدٍ،فلَمّا شكَاهَا زَيْدٌ إليْهِ – صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – قَالَ لَهُ:{أَمسكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتّقِ اللّهَ} فعَاتَبَهُ اللّهُ عَلَى قَوْله:{أَمْسكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} بعْدَ علْمِهِ أَنّهَا ستَصيرُ زَوْجَتَهُ هُوَ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ –وَخَشيَ مَقَالَةَ النّاسِ أَنْ يَقُولُوا: لَوْ أَظْهَرَ مَا علِمَ منْ تَزْويجِهِ إيّاهَا أَنّهُ يُريدُ تَزْويجَ زَوْجَةِ ابْنِهِ في الْوَقْتِ الّذي هيَ فيه في عصْمَةِ زَيْدٍ.

وَالدّليلُ عَلَى هَذَا أَمْرَانِ:

الْأَوّلُ: هُوَ مَا قَدّمْنَا منْ أَنّ اللّهَ جَلّ وَعَلَا قَالَ: وَتُخْفي في نَفْسكَ مَا اللّهُ مُبْديه، وَهَذَا الّذي أَبْدَاهُ اللّهُ جَلّ وَعَلَا هُوَ زَوَاجُهُ إيّاهَا في قَوْلِه: فَلَمّا قَضَى زَيْدٌ منْهَا وَطَرًا زَوّجْنَاكَهَا، وَلَمْ يُبْد جَلّ وَعَلَا شَيْئًا ممّا زَعَمُوهُ أَنّهُ أَحَبّهَا، وَلَوْ كَانَ ذَلكَ هُوَ الْمُرَادُ لَأَبْدَاهُ اللّهُ تَعَالَى كَمَا تَرَى.

الْأَمْرُ الثّاني: أَنّ اللّهَ جَلّ وَعَلَا صرّحَ بأَنّهُ هُوَ الّذي زَوّجَهُ إيّاهَا، وَأَنّ الْحكْمَةَ الْإلَاهيّةَ في ذَلكَ التّزْويجِ هيَ قَطْعُ تَحْريمِ أَزْوَاجِ الْأَدْعيَاءِ في قَوْله تَعَالَى:{فَلَمّا قَضَى زَيْدٌ منْهَا وَطَرًا زَوّجْنَاكَهَا لكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمنينَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعيَائهمْ} الْآيَةَ

فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{لكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمنينَ حَرَجٌ}، تَعْليلٌ صَريحٌ لتَزْويجه إيّاهَا لمَا ذَكَرْنَا، وَكَوْنُ اللّهِ هُوَ الّذي زَوّجَهُ إيّاهَا لهَذه الْحكْمَةِ الْعَظيمَةِ صَريحٌ في أَنّ سَبَبَ زَوَاجِهِ إيّاهَا لَيْسَ هُوَ مَحَبّتَهُ لَهَا الّتي كَانَتْ سَبَبًا في طَلَاقِ زَيْدٍ لَهَا كَمَا





زعموا،ويوضحه قوله تعالى:{فلمّا قضى زيدٌ منها وطراً} الآية ؛ لأنّه يدلُّ على أنّ زيداً قضى وطره منها، ولم تبق له بها حاجةٌ، فطلّقها باختياره، والعلم عند اللّه تعالى}.(انظُرْ:أضواء البيان:٦/٥٨٢-٥٨٣).

-وهكذا انتهى حكم التبنّي،وبطلت تلك العادات التّي كانت متّبعةً في الجاهليّة،ونزل قولُ اللّه تعالى مؤكّداً هذا التّشريع الإلهيّ الجديد:{مّا كان محمّدٌ أباَ أحدٍ من رّجالكم ولكن رسول اللّه وخاتم النّبيّن وكان اللّه بكلّ شيءٍ عليماً}.(الأحزاب:٤٠).

(ج)الحكمة الاجتماعيّة:

-ومن حكم تعدّد زوجات النّبيّ-صلّى اللّه عليه وسلّم-الحكمة الاجتماعيّة،والّتي تظهر جليًا في تزوّج النّبيّ-صلّى اللّه عليه وسلّم-من أمّ المؤمنين عائشة-رضي اللّه تعالى عنها-ابن الصّدّيق الأكبر أبي بكر-رضي اللّه تعالى عنه-وزير الأوّل،ثمّ زواجه من أمّ المؤمنين حفصة-رضي اللّه تعالى عنها-ابنة وزيره الثّاني الفاروق عمر-رضي اللّه تعالى عنه-ثمّ تزويجه لابنته رقيّة-رضي اللّه تعالى عنها-لوزيره الثّالث عثمان بن عفّان-رضي اللّه تعالى عنه-فلمّا ماتت زوّجه النّبيّ-صلّى اللّه عليه وسلّم-من ابنته أمّ كلثوم-رضي اللّه تعالى عنها-ثمّ تزويجه لابنته فاطمة الزّهراء-رضي اللّه تعالى عنها-لوزيره الرّابع وابن عمّه عليّ بن أبي طالب-رضي اللّه تعالى عنه-،ثمّ باتّصاله-صلّى اللّه عليه وسلّم-بقريش اتّصال مصاهرة ونسب وتزوّجه العدد منهنّ ممّا ربط بين هذه البطون والقبائل برباطٍ وثيقٍ ،وجعل القلوب تلتفّ حوله وتلتقي حول دعوته-صلّى اللّه عليه وسلّم

-في إيمانٍ وإجلالٍ وإكبارٍ،فما أجملها من حكمةٍ! وما أكرمها من نظرةٍ.!

(د)الحكمة السّياسيّة:





-وَمِنْ حكَمِ تَعَدُّدِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْحِكْمَةُ السِّيَاسِيَّةُ،فَلَقَدْ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِبَعْضِ أمَّهَاتِ الْمُؤمِنِينَ مِنْ أَجْلِ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ وَجمعِ الْقَبَائِلِ حَوْلَهُ،

فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ مِنْ قَبِيلَةٍ أَوْ عَشِيرَةٍ يُصْبِحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا قَرَابَةٌ وَمُصَاهَرَةٌ،وَذَلِكَ بِطَبِيعَتِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى نُصْرَتِهِ وَحِمَايَتِهِ،وَلْنَضْرِبْ بَعْضَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ لِتَضِحَ لَنَا الْحِكْمَةُ الَّتِي هَدَفَ إِلَيْهَا الرَّسُولُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ وَرَاءِ هَذَا الزَّوَاجِ:

(1)تَزَوَّجَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ سَيِّدِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ،وَكَانَتْ قَدْ أُسِرَتْ مَعَ قَوْمِهَا وَعَشِيرَتِهَا،ثُمَّ بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ فِي الْأَسْرِ أَرَادَتْ أَنْ تَفْتَدِيَ نَفْسَهَا،

فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَسْتَعِينُهُ بِشَئٍ مِنَ الْمَالِ ،فَعَرَضَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنْ يَدفَعَ عَنْهَا الْفِدَاءَ وَأَنْ يَتَزَوَّجَ بِهَا فَقَبِلَتْ ذَلِكَ،فَتَزَوَّجَهَا فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ:أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَحْتَ أَيْدِينَا-أَيْ أَنَّهُمْ فِي الْأَسْرِ-فَاعْتَقُوا جَمِيعَ الْأَسْرَى الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ،فَلَمَّا رَأَى بَنُوا الْمُصْطَلَقِ هَذَا النُّبْلَ وَالسُّمُوَّ ،

وَهَذِهِ الشَّهَامَةَ وَالْمُرُوءَةَ أَسْلَمُوا جَمِيعًا وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ وَأَصْبَحُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،فَكَانَ زَوَاجُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِهَا بَرَكَةً عَلَيْهَا وَعَلَى قَوْمِهَا وَعَشِيرَتَهَا،لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبًا لِإِسْلَامِهِمْ وَعِتْقِهِمْ،وَكَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَةُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-أَيْمَنَ امْرَأَةٍ عَلَى قَوْمِهَا.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرَقَمِ(3931)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُبِنْتُ الْحَارِثِ بنِ الْمُصْطَلَقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَوِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَكَانَتِ

امْرَأَةً مَلّاحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّه–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– فِي كِتَابَتِهَا فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ فَقَالَتْ:

يَا رَسُولَ اللَّه أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ وَإِنِّي وَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ وَإِنِّي كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّه–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– فَهَلْ لَكِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ. قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ:

أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ . قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ. قَالَتْ: فَتَسَامَعَ – تَعْنِي النَّاسَ – أَنَّ رَسُولَ اللَّه– صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ فَأَعْتَقُوهُمْ وَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّه–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ – فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلَقِ.{ قَالَ أَبُو دَاوُدَ:{هَذَا حُجَّةٌ فِي أَنَّ الْوَلِيَّ هُوَ يُزَوِّجُ نَفْسَهُ}.

(2)وَكَذَلِكَ تَزَوُّجه–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–مِنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَي بْنِ أَخْطَب الَّتِي أُسِرَتْ بَعْدَ قَتْلِ زَوْجِهَا فِي غَزْوَةِ خَيْبَر،وَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ،فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ

:هَذِه سَيِّدَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّه–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–فَعَرَضُوا الْأَمْرَ عَلَى رَسُولِ اللَّه–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–فَدَعَاهَاوَخَيَّرَهَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ:

-الْأَوَّل:إِمَّا أَنْ يُعْتِقَهَا وَيَتَزَوَّجهَا–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–فَتَكُون زَوْجَةً لَهُ.

-الثَّانِي:وَإِمَّا أَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَهَا فَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا.

فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُون زَوْجَةً لَهُ–صَلّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–وَذَلِكَ لِمَا رَأَتْهُ مِنْ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعَظَمَتِهِ وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ،وَقَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهَا عَدَدٌ مِنَ النَّاسِ.





-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(371)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–:

أَنّ رَسُولَ اللّهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– غَزَا خَيْبَرَ، فَصَلّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–،ثُمّ حَسَرَ الْإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتّى إِنّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–،فَلَمّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ قَالَ: اللّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}.(الصّافات:١٧٧).

قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ: وَخَرَجَ الْقَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ،

فَقَالُوا: مُحَمّدٌ، قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: وَالْخَمِيسُ – يَعْنِي الْجَيْشَ – قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً، فَجُمِعَ السّبْيُ، فَجَاءَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ–،فَقَالَ:يَا نَبِيّ اللّهِ، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السّبْيِ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً، فَأَخَذَ صَفِيّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النّبِيِّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– فَقَالَ: يَا نَبِيّ اللّهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنّضِيرِ، لَا تَصْلُحُ إِلّا لَكَ، قَالَ: ادْعُوهُ بِهَا فَجَاءَ بِهَا، فَلَمّا نَظَرَ إِلَيْهَا النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–قَالَ:خُذْ جَارِيَةً مِنَ السّبْيِ غَيْرَهَا، قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النّبِيُّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–وَتَزَوّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوّجَهَا، حَتّى إِذَا كَانَ بِالطّرِيقِ، جَهّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللّيْلِ، فَأَصْبَحَ النّبِيُّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– عَرُوسًا، فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ وَبَسَطَ نِطَعًا، فَجَعَلَ الرّجُلُ يَجِيءُ بِالتّمْرِ، وَجَعَلَ الرّجُلُ يَجِيءُ بِالسّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللّهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.{-





-وَ-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٨٩٣)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:-

أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ:{التَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ.فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذَا نَزَلَ،فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ. ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِنَفْسِهِ،فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ. فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ نَظَرَ إِلَى أُحُدٍ فَقَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ}.

-قَوْلُهُ:{ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ}: الْحَيْسُ طَعَامٌ مِنْ تَمْرٍ وَأَقِطٍ وَسَمْنٍ، فِي {نِطَعٍ صَغِيرٍ}، وَالنِّطَعُ: بِسَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ يُفْرَشُ، وَالْمُرَادُ بِهِ السُّفْرَةُ.

(3)وَكَذَلِكَ تَزَوُّجُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ،الَّذِي كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَامِلَ لِوَاءِ الشِّرْكِ،وَأَلَدَّ الْأَعْدَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَقَدْ أَسْلَمَتْ ابْنَتُهُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-فِي مَكَّةَ ثُمَّ هَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا إِلَى الْحَبَشَةِ فِرَارًا بِدِينِهَا،وَهُنَاكَ مَاتَ زَوْجُهَا-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-فَبَقِيَتْ

وَحيدَةً فَرِيدَةً لَا أَنِيسَ لَهَا،فَلَمَّا عَلِمَ الرَّسُولُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِأَمْرِهَا أَرْسَلَ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ لِيُزَوِّجَهُ إِيَّاهَا،فَأَبْلَغَهَا النَّجَاشِيُّ ذَلِكَ فَسُرَّتْ سُرُورًا
لَا يَعْرِفُ مِقْدَارَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى،لِأَنَّهَا لَوْ رَجَعَتْ إِلَى أَبِيهَا وَأَهْلِهَا لَأَجْبَرُوهَا عَلَى الْكُفْرِ وَالرِّدَّةِ أَوْ عَذَّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا،وَقَدْ أَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعمائة دِينَارٍ مَعَ هَدَايَا نَفِيسَةٍ،وَلَمَا عَادَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَلَمَّا بَلَغَ أَبَا سُفْيَانَ الْخَبَرُ أَقَرَّ ذَلِكَ الزَّوَاجَ وَقَالَ:{هُوَ الْفَحْلُ لَا يُقْدَعُ أَنْفُهُ}،فَافْتَخَرَ بِالرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَلَمْ يُنْكِرْ كَفَاءَتَهُ لَهُ
إِلَى أَنْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلإِسْلَامِ.
-وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ لَنَا الْحِكْمَةُ مِنْ زَوَاجِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِأُمِّنَا أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–جَلِيَّةً فَقَدْ كَانَ هَذَا الزَّوَاجُ سَبَبًا لِتَخْفِيفِ الْأَذَى عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ بَيْنَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَبَيْنَ أَبِي سُفْيَانَ قَرَابَةٌ وَنَسَبٌ،مَعَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–كَانَ وَقْتَ ذَاكَ مِنْ أَلَدِّ بَنِي أُمَيَّةَ خُصُومَةً لِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَمِنْ أَشَدِّهِمْ عَدَاءً لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ،فَكَانَ تَزَوُّجُهُ بِابْنَتِهِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–سَبَبًا لِتَأْلِيفِ قَلْبِهِ وَقَلْبِ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ،
كَمَا أَنَّهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–اخْتَارَهَا لِنَفْسِهِ تَكْرِيمًا لَهَا عَلَى إِيمَانِهَا لِأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ دِيَارِهَا فَارَّةً بِدِينِهَا،فَمَا أَكْرَمَهَا مِنْ سِيَاسَةٍ ! وَمَا أَجَلَّهَا مِنْ حِكْمَةٍ.!
•مِنْ أَجْلِ الْحِكَمِ السَّابِقَةِ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِالزِّيَادَةِ عَلَى الْأَرْبَعِ مِنَ الزَّوْجَاتِ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ،وَلِلتَّخْفِيفِ عَنْهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ أَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.







(شُرُوطُ   الْعِبَّادَةِ وأَرْكَانُهَا)

الْحَمْدُ للّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٢٠-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا مَاهِيَ شُرُوطُ قَبُولِ الْعِبَادَةِ؟وَمَا هِيَ أَرْكَانُهَا؟



•أَوَّلًا: شُرُوطُ قَبُولِ الْعِبَادَةِ:

-الْعِبَادَةُ لَا تُقْبَلُ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

-الْأَوَّلُ:الْإِخْلَاصُ فِيهَا لِلْمَعْبُودِ ،فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا الْخَالِصَ لِوَجْهِهِ سُبْحَانَهُ،لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.(الكهف:١١٠).

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى:{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ }.(الزُّمر:٣).

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى:{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي }.(الزّمر:١٤).

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.(البيِّنة:٥).

-الثّاني:الْمُتَابَعَةُ للرّسُولِ-صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-

فَإِنّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلّا الْمُوَافِق لِهَدْيِ الرّسُولِ-صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.(آل عمران:٣١).

ولَقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.(النّساء:٦٥).

ولَقَوْلِهِ تَعَالَى:{مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

(الحشر:٧).

ولِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيٌّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٦٩٧)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-بِرَقَمِ(١٧١٨):{مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ}.

-فَلَا عِبْرَةَ بِالْعَمَلِ مَا لَمْ يَكُنْ خَالِصًا للهِ تَعَالَى صَوَابًا عَلَى سُنّةِ رَسُولِ اللهِ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-كَمَا قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }.(الملك:٢).

:{أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ}قِيلَ:يَا أَبَا عَلِيٍّ،وَمَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟

قَالَ:{إِنّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَل،وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا،وَالْخَالِصُ مَا كَانَ للهِ،وَالصّوَابُ مَا كَانَ عَلَى السُّنّةِ}(.انظُرْ:حِلْيَةَ الْأَولِيَاءِ:٨/٩٥).





•ثَانيا::أَرْكَانُ الْعِبَادَةِ:

-مِنْ خِلَالِ الاستقْرَاءِ وَالتتَبُّعِ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ يَتّضِحُ لَنَا أَنّ لِلعِبَادَةِ ثَلَاثَة أَرْكَانٍ هِيَ:

-الْأَوّلُ:كَمَالُ الْحُبُّ لِلمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ،كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}.

(البقرة:١٦٥).

-الثّانِي:كَمَالُ الرّجَاءِ،كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}.(الإسراء:٥٧).

-الثّالِثُ:كَمَالُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تعَالَى،كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السّابِقَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ:{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}.(الإسراء:٥٧).

•وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تَعَالَى بيْنَ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثّلَاثَةِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣)مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }.(الفاتحة:٢-٤).

فَقَوْلُهُ:{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فِيهَا الْمَحَبّةُ،فَإِنّ اللهَ تَعَالَى مُنْعِمٌ،وَالْمُنْعِمُ يُحَبُّ عَلَى قَدْرِ إِنْعَامِهِ.

وَقَوْلُهُ:{الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ } فِيهَا الرّجَاءُ،فَالْمُتّصِفُ بِالرّحْمَةِ تُرْجَى رَحْمَتُهُ.

وَقَوْلُهُ:{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} فِيهَا الْخَوْفُ،فَمَالِكُ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ يُخَافُ عَذَابُهُ.

-وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى عَقِبَ ذَلِكَ:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.(الفاتحة:٥).

أَيْ:بِالْمَحَبّةِ وَالرّجَاءِ وَالْخَوْفِ أَعْبُدُكَ يَا رَبّ وَأَسْتَعِينُ بِكَ.

•هَذَا وَاللّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.







(مَا هِيَ حُقُوقُ الرَّسُولِ عَلَى أُمَّتِه؟)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

سؤال

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٢١-جَزَاكُمُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا شَيْخَنَا :مَا هِيَ حُقُوقُ الرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى أُمَّتِهِ؟.



-لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى أُمَّتِهِ حُقُوقٌ كَثِيرَةٌ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(1)الْإِيمَانُ الصَّادِقُ بِهِ بِتَصْدِيقِ نُبُوَّتِهِ،وَأَنَّهُ أُرْسِلَ لِلثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.(الأعراف:١٥٨).

(2)اتِّبَاعُهُ وَالتَّأَسِّي بِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَاتِّبَاعُهُ يُثْمِرُ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَغْفِرَتَهُ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(آل عمران:٣١).

(3)طَاعَتُهُ وَالْحَذَرُ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

-قَالَ اللّهُ تعالَى:{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ(١٣)وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ}.(النّساء:١٣-١٤).

-وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ}.(الأنفال:٢٠).

-وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(النّور:٦٣).

-وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا}.(الأحزاب:٣٦).

-وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا}.(الأحزاب:٦٦).

(3)مَحبّتُهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْمَالِ وَالنَّفْسِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنْبَيْنِ.

-قَالَ اللّهُ تعالَى:{قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ}.(التّوبة:٢٤).

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٥)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ}.

-ومَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ أيْضًا بِرَقَمِ(٦٦٣٢)مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فقالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقالَ لَهُ عُمَرُ: فإنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآنَ يَا عُمَرُ}.

(4)تَوْقِيرُهُ وَاحْتِرَامُهُ وَالدِّفَاعُ عَنْهُ وَنُصْرَتُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}.(الفتح:٩).

-وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}.

(الحجرات:١-٢).

(5)الْإكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَفِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ذَهَابُ الْهَمِّ وَمَغْفِرَةُ الذَّنْبِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.(الأحزاب:٥٦).

-ومَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٤٥٧)مِنْ حَدِيث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ. قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ:مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ:

الرُّبُعَ. قَالَ:مَا شئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.قُلْتُ:النِّصْفَ.قَالَ:مَا شئْتَ،فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.قَالَ:قُلْتُ:فَالثُّلُثَيْنِ. قَالَ:مَا شئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.قُلْتُ:أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا. قَالَ:إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ}.

(6)وَجُوبُ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}.

(النِّساء:٥٩).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمٗا}.(النِّساء:٦٥).

(7)عدمُ الْغُلُوِّ أو التَّقْصِير فِي مَنْزِلَتِه ومَكَانَتِه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ،وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ،وَهُوَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لَيْسَ إِلَاهًا وَلَيْسَ ابْنَ إِلَه.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}.

(الأنعام:٥٠).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّٗا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}.(يونس:٤٩).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا}.(الكهف:١١٠).

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(3445)مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-





:{لَا تُطْرُونِي كمَا أَطْرَتِ النّصارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإنّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ}.

•هذَا وَاللّهُ أعْلَى وأَعْلَمُ.



(مَا حُكْمُ خِدْمَةَ الزّوْجَةِ لِزَوْجِهَا؟)

الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَه،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أَمّا بَعْدُ:



•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٢٢-أحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكَ شَيْخَنَا :مَا حُكْمُ خِدْمَةِ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا فِي الْإسْلَامِ؟

-



•اعْلَمْ رَحِمَكَ اللّهُ تَعَالَى أَنّ الْبَيْتَ الْمُسْلِمَ يَقُومُ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ تَقْوَى اللّهِ وَعِمَادُهُ الْمَوَدّةُ وَالرّحْمَةُ لِقَوْلِ اللّهِ تَعَالَى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.(الرّوم:٢١).

-قَالَ الْعَلّامَةُ السّعْدِيّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: { وَمِنْ آيَاتِهِ } الدّالّة عَلَى رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ، { أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } تُنَاسِبُكُمْ وَتُنَاسِبُونَهُنّ وَتُشَاكِلُكُمْ وَتُشَاكِلُونَهُنّ { لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدّةً وَرَحْمَةً } بِمَا رَتّبَ عَلَى الزّوَاجِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْمَوَدّةِ وَالرّحْمَةِ،فَحَصَلَ بِالزّوْجَةِ الِاسْتِمْتَاعُ وَاللّذّةُ وَالْمَنْفَعَةُ بِوُجُودِ الْأَوْلَادِ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَالسّكُونُ إِلَيْهَا، فَلَا تَجِدُ

بَيْنَ أحدٍ في الْغَالِبِ مِثْلَ ما بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } يُعْمِلُونَ أفْكَارَهُمْ ويتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللَّهِ وينتقلُونَ مِنْ شَيءٍ إِلَى شَيءٍ}.

•ولعظَمِ منْزِلَةِ الْأسْرَةِ في الْإسْلَامِ جَعَلَ اللَّهُ تَعالى عَقْدَ النّكَاحِ مِيثَاقًا غَلِيظًا،فقَالَ اللَّهُ تَعالَى:{وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}.(النِّساء:٢١).

-وَالْمُرَادُ بِالْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ فِي قوْلِه {وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} هُوَ مَا أَخَذَهُ اللَّهُ لِلنِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ أوِ الْمُفَارَقَةِ بِإحْسَانٍ كَمَا فِي قَوْلِه تَعالَى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}. ولَيْسَ أخْذُ شَيءٍ ممّا أعْطَاهُ الرِّجَالُ لِلنِّسَاءِ مِنَ التَّسْرِيحِ بِإحْسَانٍ، بَلْ يَكُونُ مِنَ التَّسْرِيحِ الَّذِي صَاحَبَهُ الظُّلْمُ وَالإسَاءَةُ.

وَالْمُرَادُ بِالْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ الَّذِي أخِذَ: كَلِمَةُ النِّكَاحِ الْمَعْقُودَةُ عَلَى الصَّدَاقِ،وَالَّتِي بِهَا تُسْتَحَلُّ فُرُوجُ النِّسَاءِ،

فَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–عَنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ وَالَّذِي أخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٢١٨)قَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{.. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ}.

•هَذَا وقَدْ أمرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ ويَأْمُرَ بِالْعُرْفِ وَيُعْرِضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ فقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ}.(الأعراف:١٩٩).

-قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–: {هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ، تَضَمَّنَتْ قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ فِي الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ.

فَقَوْلُهُ:{خُذِ الْعَفْوَ} دخَلَ فيه صِلَةُ الْقَاطِعِينَ وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، وَالرِّفْقُ بِالْمُؤمنينَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أخْلَاقِ الْمُطِيعِينَ. وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ:{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} صِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَتَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحرامِ، وَغَضُّ الْأَبْصارِ، وَالاستعْدادُ لِدارِ الْقرارِ.

وَفِي قَوْلِه:{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ} الْحَضُّ عَلَى التَّعَلُّقِ بِالْعِلْمِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ مُنَازَعَةِ السُّفَهَاءِ، وَمُسَاوَاةِ الْجَهلَةِ الْأغْنِيَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَجِيدَةِ وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ}.

•وَقَدْ أَخَذَ عُلَمَاءُ الْأُصُولِ مِنَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ قَاعدَةً أُصُولِيَّةً بِعُنْوَانِ(الْعَادَة مُحَكَّمَةٌ) فَكُلُّ مَا تَعَارَفَ عَلَيْه النَّاسُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَلَمْ يُخَالِفْ نَصًّا شَرْعِيًّا،وَلَمْ يُحِلّ حَرَامًا وَلَمْ يُحَرِّمْ حَلَالًا،وَلَيْسَ لَهُ مَدْلُولٌ فِي الشَّرْعِ أَوِ اللُّغَةِ، فَإِنَّ مَرْجِعَهُ إِلَى الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ،فَيَكُونُ الْعُرْفُ الصَّحِيحُ مَرْجِعًا وَحُكْمًا فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ وَبِشُرُوطٍ أَرْبَعَةٍ هِيَ:

(1)أَنْ يَكُونَ الْعُرْفُ غَيْرَ مُخَالِفٍ لِلشَّرِيعَةِ.

(2)أَنْ يَكُونَ الْعُرْفُ غَالِبًا عِنْدَ أَهْلِهِ.

(3)أَنْ يَكُونَ الْعُرْفُ سَابِقًا غَيْرَ لَاحِقٍ.

(4)أَنْ لَا يُوجَدَ تَصْرِيحٌ يُخَالِفُ الْعُرْفَ.

•وَيَنْدَرِجُ تَحْتَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ(الْعَادَة مُحَكَّمَة)قَاعِدَةُ(الْمَعْرُوف عُرْفًا كَالْمَشْرُوطِ شَرْطًا)فَالْمَعْرُوفُ عُرْفًا أَنَّ الزَّوْجَةَ تَقُومُ عَلَى خِدْمَةِ زَوْجِهَا وَالْقِيَامِ بِبَيْتِهَا وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا–وَهَذَا مَا سَوْفَ نُوَضِّحُهُ بِالْأَدِلَّةِ–فَخِدْمَةُ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا مِنَ الْعُرْفِ الصَّحِيحِ فَهُوَ كَالشَّرْطِ الْمُلْزِمِ.

•وَقَدْ سَادَ الْعُرْفُ بِأَنّ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ تَقُومُ عَلَى خِدْمَةِ زَوْجِهَا.

فَأُمَّهَاتُ الْمُؤمِنِينَ وَالصَّحَابِيَّاتُ الْفُضْلَيَاتُ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنّ أجْمَعِينَ–كُنّ يَقُمْنَ عَلَى خِدْمَةِ الْأزْوَاجِ وَهُنَّ خَيْرُ النِّسَاءِ وَإِلَيْكَ

الْأدلّة:

(1)أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(5225)مِنْ حَدِيثِ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ. ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ}.

-قَوْلُهُ:{فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ} قِيلَ: هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–،وَقِيلَ: هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–فَتَأَمَّلْ مَعِي أَيُّهَا السَّائِلُ اللَّيْلَةَ لَيْسَتْ لَيْلَتَهَا وَتُعِدُّ الطَّعَامَ لِلنَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي غَيْرِ بَيْتِهَا وَفِي غَيْرِ لَيْلَتِهَا.

(2)وَهَذِهِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ–عَلَيْهَا السَّلَامُ–ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَرَيْحَانَةُ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَأُمُّ الْحَسَنَيْنِ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَانَتْ تَخْدُمُ زَوْجَهَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–وَتَعْمَلُ بِالرَّحَا حَتَّى تَشَقَّقَتْ يَدُهَا مِنْ طَحْنِ الْحُبُوبِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٧٠٥)مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ،

فَقَالَ:{عَلَى مَكَانِكُمَا. فقعَدَ بيْنَنا حَتّى وجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أربَعًا وثَلَاثِينَ، وتُسبّحَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، وتَحْمَدَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ} .

(3)وهَذِهِ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ كَانَتْ تَخْدُمُ زَوْجَهَا الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–وتَخْدُ فرسَ الزُّبَيْرِ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ برقَمِ(٥٢٢٤)مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ–رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُمَا–قَالَتْ:{تزوّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا شَيْءٍ؛ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ، وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: إِخْ إِخْ؛ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ، وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ، فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي}.

•ودَرَجَ عَلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِنْ خِدْمَةِ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا النِّسَاءُ الصَّالِحَاتُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، حَتَّى صَوَّبَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ سِهَامَهُم الْمَسْمُومَةَ نَحْوَ الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الزَّوْجَةَ الْمُسْلِمَةَ هِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ لِتَمَاسُكِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ فَهِيَ صَانِعَةُ الرِّجَالِ وَمُرَبِّيَةُ الْأَجْيَالِ،فَأَنْفَقُوا الْأَمْوَالَ وَجَيَّشُوا الْجُيُوشَ لِلنَّيْلِ مِنَ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فَقَامَ الْأَذْيَالُ

بإصْدَارِ الْفَتَاوَى الضَّالَّة الْمُضِلَّة تَحْتَ عُنْوَانٍ عَرِيضٍ(الزَّوْجَة غَيْر مُلْزَمَة)وَبَدَؤوا فِي دَعْوَتِهَا إِلَى التَّمَرُّدِ عَلَى زَوْجِهَا وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادهَا فَالزَّوْجَة غَيرُ مُلْزَمَة بِخِدْمَةِ زَوْجِهَا،وَغَيْرُ مُلْزَمَة بِإِرْضَاعِ أَطْفَالِهَا،وَلِلأَسَفِ رَوَّجَ لِهَذِه الْفَتَاوَى الْمُضِلَّة بَعْضُ مَنْ يَنْتَسِبُونَ لِلعِلْمِ إِمَّا إيثَارًا لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ،وَإِمَّا لِجَهْلِهِمْ بِوَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَنَاطِ الْأَحْكَامِ،فَمَنَاطُ أَخْذِ الزَّوْجَة الْأَجْر عَلَى خِدْمَةِ زَوْجِهَا وَإِرْضَاعِ أَطْفَالِهَا الْقَضَاء عِنْدَ النِّزَاعِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ حَالَ ظُلْمِ الزَّوْجِ لِزَوْجَتِه،وَلَيْسَ الْمَنَاطُ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْمَقَالَات وَالَّتِي تُتَّخذ ذَرِيعَةً لِهَدْمِ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ.

•الْخُلَاصَةُ أنّ خِدْمَةَ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا مَنْهَجُ النَّقِيَّاتِ الصَّالِحَات الْمُؤمِنَات مِنَ الزَّوْجَات اللَّاتِي آثَرْنَ رِضَا اللَّه تَعَالَى وَاتِّبَاعَ هَدْيِ رَسُولِه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَطَاعَة الزَّوْجِ فِي الْمَعْرُوف وَالَّتِي تُثْمِرُ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَة،فَقَدْ أخْرَجَ ابْنُ حِبَّان–رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى–فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ (٤١٦٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَت شَهْرَهَا ، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَت زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّة شِئْتِ}.

•هَذَا وَاللَّهُ أعْلَى وَأَعْلَم.



(مَا هِيَ الْحُقُوقُ وَالْوَاجِبَاتُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ؟)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:





•فَهَذِه سَائِلَةٌ تَسْأَلُ:

سؤال **٢٣-جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا شَيْخَنَا :مَا هِيَ الْحُقُوقُ وَالْوَاجِبَاتُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ؟.**

جواب -لِكَيْ تَتَحَقّقَ الْمَوَدّةُ وَالرّحْمَةُ ويَتَحَقّق السّكَن بَيْنَ الزّوْجَيْنِ، أَقَامَ الْإِسْلَامُ الْبَيْتَ الْمُسْلِمَ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ تَقْوَى الله،فَجَعَل حقُوقًا لِكُلّ مِن الزّوْجَيْنِ عَلَى الْآخَرِ،فَمِنْ حَقّ الزّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا:الْمَهْرُ وَالسُّكْنَى وَالنّفَقَةُ عَلَيْهَا،وتَعْلِيمُهَا أمْرِ دِينِهَا ،

وَمُعَاشَرَتُهَا بِالْمَعْرُوفِ،وعَلَى الزّوْجَةِ السّمْعُ وَالطّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ،وتَمْكِينُ الزّوْجِ مِنْ نَفْسِهَا إنْ طَلَبَهَا إِلّا مِنْ عُذْرٍ كَحَيْضٍ أوْ مَرَضٍ،وَحِفْظِه فِي نَفْسِه وَمَالِه وعِيَالِه،وأَلّا تَأْذَن فِي بَيْتِه لِأحَد إلّا بِإِذْنِه،وأَلّا تَخْرُج إلّا بِإذْنِه إلّا مِنْ ضَرُورَةٍ،وَإِلَيْك بَعضُ نُصُوصِ السُّنّة الْمُطَهّرَةِ الّتِي تُشِيرُ إلَى بَعْضِ مَاذَكَرْتُ وَمِنْهَا:

(1)مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٤٨٩٠)مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-عَنْ النَبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-قَالَ:{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا فَإِنّهُنّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضّلَعِ أعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا}.

(2)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرَقَمِ

(3990)مِنْ حَدِيث أُمّ الْمُؤْمِنِين عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-، قَالَتْ:قَال رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-: {خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي }.

(3)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُد-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرَقَمِ

(2142)مِنْ حَدِيث حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيّ عَنْ أَبِيه قَال قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّه مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ :{أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا

تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ }.قَالَ أَبُو دَاوُدَ:{وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ قَبَّحَكِ اللَّهُ}.

(4)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–بِرَقَمِ)١٣٨٦٠(

وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمِ(١٨٤٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–وَسُلْمَانَ بْنِ يَسَارٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–عَنْ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ،الْمُوَاتِيَةُ، الْمُوَاسِيَةُ،إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ،وَ شَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ،

وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ ،لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ.{

-جَاءَ فِي"التَّيْسِيرِ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ"(١ / ٥٣٢) : " (خَيْرُ نِسَائِكُمْ الْوَلُود) أَيْ: الْكَثِيرَة الْوِلَادَةِ (الْوَدُود) أَيْ: الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا (الْمُوَاسِيَةُ الْمُوَاتِيَةُ) أَيْ:الْمُوَافِقَةُ لِلزَّوْجِ (إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ) أَيْ : خِفْنَهُ فَأَطَعْنَهُ (وَشَرُّ نِسَائِكُمْ الْمُتَبَرِّجَاتُ) أَيْ:الْمُظْهِرَاتُ زِينَتَهُنَّ لِلْأَجَانِبِ، (الْمُتَخَيِّلَاتُ) أَيْ: الْمُعْجَبَاتُ الْمُتَكَبِّرَاتُ (وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ) أَيْ: يُشْبِهْنَهُنَّ (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ) الْأَبْيَضُ الْجَنَاحَيْنِ أَوِ الرِّجْلَيْنِ أَرَادَ قِلَّةَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ لِأَنَّ هَذَا النَّعْتَ فِي الْغِرْبَانِ عَزِيزٌ" انتهى.

(5)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي الْمُسْنَدِ بِرَقَمِ(1619)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-

، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :{ إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا،وَصَامَتْ شَهْرَهَا،وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا،وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا:ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ}.

(6)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجَه–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٨٥٨)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ : {لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،قَالَ مَا هَذَا يَا مُعَاذُ ؟ قَالَ : أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ

لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَا تَفْعَلُوا ، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا ، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ.{

(7)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥١٩٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ}.

-فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ حَقَّ الزَّوْجِ آكَدُ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنَ التَّطَوُّعِ بِالْخَيْرِ؛فَلَا يَجُوزُ لِلزَّوْجَةِ صِيَامُ التَّطَوُّعِ وَزَوْجُهَا حَاضِرٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، لِأَنَّ حَقَّهُ وَاجِبٌ، وَالْقِيَامُ بِالْوَاجِبِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْقِيَامِ بِالتَّطَوُّعِ.

-وَفِيهِ:نَهْيُ الزَّوْجَةِ أَنْ تُدْخِلَ أَحَدًا بَيْتَ زَوْجِهَا –سَوَاءٌ كَانَ رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً– إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ سُوءَ الظَّنِّ، وَيَبْعَثُ الْغَيْرَةَ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْقَطِيعَةِ.

-وَفِيهِ:إِثَابَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْخَيْرِ إِذَا كَانَ سَبَبًا فِيهِ، وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ.

(8)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ أَيْضًا بِرَقَمِ(٣٢٣٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ}.

-فَفِي الْحَدِيثِ:بَيَانُ عِظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ،فَإِذَا طَلَبَ الزَّوْجُ مِنْ زَوْجَتِهِ أَنْ يُجَامِعَهَا، فَامْتَنَعَتْ عَنْ إِجَابَتِهِ،مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ مِنْ حَيْضٍ أَوْ نِفَاسٍ أَوْ مَرَضٍ، فَغَضِبَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، وَبَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ؛ كَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةً عَلَى الزَّوْجَةِ،





حَيْثُ تَلْعَنُها الْمَلَائِكَةُ فتدعو عَلَيْها بالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى الصَّبَاحِ؛ لأَنَّهَا عَصَتْ زَوْجَهَا وَمَنَعَتْهُ حَقَّهُ الشَّرْعِيّ.

-وَفيه:النَّهْيُ عَنْ عصيَانِ الْمَرْأة لزَوْجِها.

-وَفيه : دَلِيلٌ عَلَى قَبُول دُعَاءِ الْمَلَائِكَة؛ لكَوْنه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-خَوَّفَ بِذَلِكَ.

-فَبِهَذِه الْحُقُوق وَالْوَاجِبَات يَتَحَقّقُ السَّكَنُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ،

وَتَتَحَقَّقُ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ،وتَكُونُ الْأُسْرَةُ سَكَنًا وَمَوَدَّةً،وَهَذِهِ أسْمَى مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّة.

•هَذَا وَاللَّهُ أعْلَى وَأعْلَمُ.





٢٤-جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا شَيْخَنَا :مَا هِيَ الْحُقُوقُ وَالْوَاجِبَاتُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ؟.

-لِكَيْ تَتَحَقَّقَ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ وَيَتَحَقَّقَ السَّكَنِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، أقَامَ الْإِسْلَامُ الْبَيْتَ الْمُسْلِمَ عَلَى أسَاسٍ مِنْ تَقْوَى الله،فَجَعَلَ حُقُوقًا لِكُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الْآخَرِ،فَمِنْ حَقِّ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا:الْمَهْرُ وَالسُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ عَلَيْهَا،وَتَعْلِيمُهَا أمرِ دِينِهَا ،

وَمُعَاشَرَتُهَا بِالْمَعْرُوفِ،وَعَلَى الزَّوْجَةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ،وَتَمْكِينُ الزَّوْجِ مِنْ نَفْسِهَا إِنْ طَلَبَهَا إِلَّا مِنْ عُذْرٍ كَحَيْضٍ أوْ مَرَضٍ،وَحِفْظه فِي نَفْسه وَمَاله وَعِيَاله،وَألَّا تَأْذَنَ فِي بَيْتِه لأحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِه،وَألَّا تَخْرُجَ إِلَّا بِإِذْنِه إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ،وَإِلَيْكَ بَعْضُ نُصُوصِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى بَعْضِ مَاذَكَرْتُ وَمِنْهَا:

(1)مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٨٩٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–عَنْ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا}.

(2)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(3990)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–، قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: {خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي }.

(3)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(2142)مِنْ حَدِيثِ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ :

{أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ }.قَالَ أَبُو دَاوُد:{وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ قَبَّحَكِ اللَّهُ}.

(4)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–بِرَقَمِ(١٣٨٦٠) وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمِ(١٨٤٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–وَسُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–عَنْ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ،الْمُوَاتِيَةُ، الْمُوَاسِيَةُ،إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ،وَ شَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ ،لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ}.

-جَاءَ فِي"التَّيْسِيرِ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ"(١ / ٥٣٢) : " (خَيْرُ نِسَائِكُمْ الْوَلُود) أَيْ: الْكَثِيرَةُ الْوِلَادَةِ (الْوَدُودُ) أَيْ: الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا (الْمُوَاسِيَةُ الْمُوَاتِيَةُ) أَيْ:الْمُوَافِقَةُ لِلزَّوْجِ (إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ) أَيْ : خِفْنَهُ فَأَطَعْنَهُ (وَشَرُّ نِسَائِكُمْ الْمُتَبَرِّجَاتُ) أَيْ:الْمُظْهِرَاتُ

زِينَتُهِنّ للأجَانب، (الْمُتَخَيِّلَاتُ) أَيْ: الْمُعْجَبَاتُ الْمُتَكَبِّرَاتُ (وَهُنّ الْمُنَافِقَاتُ) أَيْ: يُشْبِهْنَهُنّ (لَا يدْخُلُ الْجَنّة منْهن إِلّا مثْلُ الْغرَابِ الْأعْصَمِ) الْأَبْيَضُ الْجَنَاحين أو الرّجْلَيْنِ أَرَادَ قِلّة من يَدْخُلُ الْجنّة منْهن لِأَنّ هَذَا النّعْتَ فِي الْغرْبَانِ عَزِيزٌ" انتهى.

(5)وَمَا أخْرَجَه الْإِمَامُ أحْمَدُ–رَحِمَهُ الله تَعَالَى–فِي الْمُسْنَد برقَمِ(1619)مِنْ حَديث عَبْد الرّحْمَن بْنِ عوفٍ–رَضِيَ الله تَعالَى عنْهُ–، قَالَ : قَال رسُولُ اللّه –صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسلّمَ– :{ إذَا صلّتِ الْمرْأةُ خمسَها،وصامَتْ شهرَها،وحفِظَتْ فرْجَهَا،وأطَاعتْ زوْجها قِيلَ لَهَا:ادْخُلِي الْجَنّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنّةِ شِئْتِ}.

(6) ومَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجه–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِه برقَمِ(١٨٥٨)مِنْ حَديث عَبْدِ اللّه بْنِ أَبِي أَوْفَى –رَضِيَ الله تَعَالَى عنْهُ–، قَالَ : {لَمّا قدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشّامِ سَجَدَ لِلنّبِيّ–صلّى اللّهُ عَلَيْه وسلّمَ–،قَالَ ما هَذَا يا مُعَاذُ ؟ قَالَ :

أَتَيْتُ الشّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ : فَلَا تَفْعَلُوا ، فَإِنّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللّه ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ، وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ ، لَا تُؤَدّي الْمَرْأَةُ حَقّ رَبِّهَا حَتّى تُؤَدّيَ حَقّ زَوْجِهَا ، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ}.

(7)وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحه برقَمِ(٥١٩٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–قَالَ:قَال رَسُولُ اللّه–صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– :{لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلّا بِإِذْنِه، ولَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِه إِلّا بِإِذْنِه، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنّهُ يؤَدّى إِلَيْه شَطْرُهُ}.

-فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنّ حَقّ الزّوجِ آكَدُ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنَ التّطوّعِ بِالْخَيْرِ؛فَلَا يَجُوزُ لِلزّوْجَةِ صِيَامُ التّطَوّعِ وَزَوْجُهَا حَاضِرٌ إِلّا بِإِذْنِهِ، لأَنّ حَقّهُ وَاجِبٌ، وَالْقِيَامُ بِالْوَاجِبِ مُقَدّمٌ عَلَى الْقِيَامِ بِالتّطَوّعِ.





-وَفيهِ:نَهْيُ الزّوْجَةِ أنْ تُدْخِلَ أحدًا بَيْتَ زَوْجِهَا -سوَاءٌ كَانَ رَجُلًا أو امْرَأةً- إلّا بإِذْنِه؛ فَإنّ ذَلِكَ يُوجِبُ سُوءَ الظّنّ، ويَبْعَثُ الْغَيْرَةَ الّتِي هِيَ سَبَبُ الْقَطِيعَةِ.

-وَفيهِ:إِثَابَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْخَيْرِ إِذَا كَانَ سَبَبًا فِيهِ، وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ.

(8)وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه أيْضًا بِرَقْمِ(٣٢٣٧)مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهِ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{إِذَا دَعَا الرّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتّى تُصْبِحَ}.

-فَفِي الْحَدِيثِ:بَيَانُ عِظَمِ حَقّ الزّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ،فَإِذَا طَلَبَ الزّوْجُ مِنْ زَوْجَتِهِ أنْ يُجَامِعَهَا، فَامْتَنَعَتْ عَنْ إِجَابَتِهِ،مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيّ مِنْ حَيْضٍ أوْ نِفَاسٍ أوْ مَرَضٍ، فَغَضِبَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، وَبَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ؛ كَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةً عَلَى الزّوْجَةِ، حَيْثُ تَلْعَنُهَا الْمَلَائِكَةُ فَتَدْعُو عَلَيْهَا بِالطّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ تَعَالَى حَتّى الصّبَاحِ؛ لِأنّهَا عَصَتْ زَوْجَهَا وَمَنَعَتْهُ حَقّهُ الشّرْعِيّ.

-وَفيهِ:النّهْيُ عَنْ عِصْيَانِ الْمَرْأةِ لِزَوْجِهَا.

-وَفيهِ : دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ دُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ؛ لِكَوْنِهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-خَوّفَ بِذَلِكَ.

-فَبِهَذِهِ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ يَتَحَقّقُ السّكَنُ بَيْنَ الزّوْجَيْنِ،

وَتَتَحَقّقُ الْمَوَدّةُ وَالرّحْمَةُ،وَتَكُونُ الْأُسْرَةُ سَكَنًا وَمَوَدّةً،وَهَذِهِ أسْمَى مَعَانِي الْإِنْسَانِيّةِ فِي الشّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيّةِ.

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وَأعْلَمُ.







(مَا حُكْمُ زَوَاجِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ كَافِرٍ أَوْ مُشْرِكٍ؟)

الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:-



٢٥-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا :مَا حُكْمُ زَوَاجِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ كَافِرٍ أَوْ مُشْرِكٍ؟

جواب

•فَقَدْ رَخَصَ الْإِسْلَامُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ كِتَابِيَّةٍ-يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ- بِشَرْطِ الْإِحْصَانِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ يُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ،وَيُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

•قَالَ اللهُ تَعَالَى:{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.(المائدة:٥).

•وَيَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمَةِ أَنْ تَتَزَوَّجُ مِنْ كَافِرٍ لَا يُؤْمِنُ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

•وَالدَّلِيلُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَائِدَةِ سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.(الممتحنة:١٠).

•قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا: {وَقَوْلُهُ : (لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي حَرَّمَتِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ}.

•فَلَاشَكّ أنّ زوَاجَ الْمُسْلِمَةِ منْ غيْرِ الْمُسْلِمِ –مَهْمَا كَانَتْ مِلّتُهُ– منَ الْفَوَاحِشِ الْعَظِيمَةِ الّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا وَهُوَ باطِلٌ؛ بِالْكِتَابِ وَالسُّنّة وَالإجْمَاعِ وَالْمعْقُولِ .

•أمّا الْكِتَابُ إضَافَةً لآيَةِ الْمُمْتَحنَة: فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {ولَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حتّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ منْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إلَى النّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ}.(البقرة:٢٢١).

•قَالَ شَيْخُ الْمُفَسّرِينَ الإمَامُ أبُو جَعْفَرٍ الطّبَرِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : {إنّ اللهَ قدْ حَرّمَ عَلَى الْمُؤْمِنَاتِ أنْ يَنْكِحْنَ مُشْرِكاً كَائِناً مَنْ كَانَ الْمُشْرِكُ، وَمِنْ أيّ أصْنَافِ الشّرْكِ كَانَ، فَلَا تُنْكِحُوهُنّ أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ، فَإِنّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، ولَأَنْ تُزَوِّجُوهُنّ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أنْ تُزَوِّجُوهُنّ مِنْ حُرٍّ مُشْرِكٍ، وَلَوْ شَرُفَ نَسَبُهُ وَكَرُمَ أَصْلُهُ، وَإِنْ أَعْجَبَكُمْ حَسَبُهُ وَنَسَبُهُ}.

•وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:{أَيْ لَا تُزَوِّجُوا الْمُسْلِمَةَ مِنَ الْمُشْرِكِ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمّةُ عَلَى أنّ الْمُشْرِكَ لَا يَطَأُ الْمُؤْمِنَةَ بِوَجْهٍ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَضَاضَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ}.

•وَالْأَدِلّةُ مِنَ السُّنّةِ الْمُطَهّرَةِ عَلَى تَحْرِيمِ زَوَاجِ الْمُسْلِمَةِ مِنَ الْكَافِرِ أوِ الْمُشْرِكِ كَثِيرَةٌ أذْكُرُ مِنْهَا:

(1)مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ النّسَائِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى–كِتَاب النّكَاحِ بِرَقَمِ(٣٣٤١)

مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:{خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ وَاللّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ وَلَكِنّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوّجَكَ فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَاقَالَ ثَابِتٌ فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الْإِسْلَامَ فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ}.

(2)وَفِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ -أَيْضًا-أَنّ النَّبِيّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَرّقَ بَيْنَ جميعِ الْمُسْلِمَاتِ وَأَزْوَاجِهِنّ الّذِينَ لَمْ يُسلِمُوا، وَمِنْهُمْ ابْنَتُهُ زَيْنَب-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا- زَوْج أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الأَسْرَى يوم بَدْرٍ أَطْلَقَهُ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى أَنْ يَبْعَثَ ابْنَتَهُ إِلَيْهِ، فَوَفّى لَهُ بِذَلِكَ ثُمّ أَسْلَمَ بَعْدَهَا فَرَدّهَا عَلَيْهِ وَأَثْنَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهِ فِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٥٢٣)

مِنْ حَدِيثِ عَلِيّ بْنِ حُسَيْنٍ أَنّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ قَالَ :{إِنّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَتْ:يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهّدَ يَقُولُ:

أَمّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدّثَنِي وَصَدَقَنِي وَإِنّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنّي وَإِنّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ }.

فَأَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-عِنْدَمَا كَانَ فِي الْأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى أَنّ يَسمَحَ لِزَيْنَب بِنْتِ رَسُولِ اللهِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى أَبِيهَا فِي الْمَدِينَةِ لِأَنّهُ يَحْرُمُ أَنْ تَكُونَ الْمُسْلِمَةُ تَحتَ مُشْرِك فَوَفّى لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ثُمّ بَعْدَ ذَلِكَ أَسْلَمَ فَرَدّهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَيْهِ.

•وَأَمّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدِ انْعَقَدَ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنّ زَوَاجَ الْكَافِرِ بِالْمُسْلِمَةِ بَاطِلٌ لَا يَنْعَقِدُ أَصْلاً؛ لِمُخَالَفَتِهِ صَرِيحَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛وَقَدْ نَقَلَ الإِجْمَاعَ ابْنُ الْمُنْذِرِ، وَأَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَابْنُ قُدَامَةَ، وَالشَّوْكَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ .





•فمَنْ زَعَمَ جوازَ زَواجِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ كَافِرٍ أوْ مُشْرِك فهُوَ ضَالٌ مُضلٌّ مُتَّبِعٌ لِهوَاهُ مُخَالفٌ لِمَوْلَاه فَاسِدٌ مُفْسِدٌ فِي كَوْنِ الله،حَقُّهُ أن يَتُوبَ قَبْلَ الْفَوْتِ وقَبْلَ الْمَوْتِ.
•هذَا وَاللَّه أعْلَى وأعْلَمُ.



الْحَمْدُ لله
وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
أمَّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٢٦-اذْكُرْ لِي بَعْضَ الْفَوَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ}.(الرَّعد:٢٨).

-إِلَيْكَ مَا تَيَسَّرَ جَمْعُهُ مِنْ فَوَائِدَ إِيمَانِيَّةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ حَوْلَ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ:
-مِنْ رَكَائِزِ الْأَمْنِ النَّفْسِيِّ وَالْفِكْرِيِّ لِلْإِنْسَانِ كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى،وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،فَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى لَذَّةُ الْحَيَاةِ،وَالْأُنْسُ بِاللَّهِ تَعَالَى جَنَّةُ الدُّنْيَا وَالَّتِي لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ،
وَالذَّاكِرُ لِلَّهِ تَعَالَى حَيٌّ،وَالْغَافِلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَيْتٌ وَإِنْ تَحَرَّكَ بِجَسَدِهِ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ}.(الرّعد:٢٨).

-فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ لِعَلَامَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ } أَيْ : يَزُولُ قَلَقُهَا وَاضْطِّرَابُهَا، وَتَحْضُرُهَا أَفْرَاحُهَا وَلَذَّاتُهَا.

-{ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } أَيْ: حَقِيقٌ بِهَا وَحَرِيٌّ أَنْ لَا تَطْمَئِنَّ لِشَيْءٍ سِوَى ذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَلَذُّ لِلْقُلُوبِ وَلَا أَشْهَى وَلَا أَحْلَى مِنْ مَحَبَّةِ خَالِقِهَا، وَالْأُنْسِ بِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَعَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهَا بِاللَّهِ وَمَحَبَّتِهَا لَهُ، يَكُونُ ذِكْرُهَا لَهُ، هَذَا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ، ذِكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

-وَقِيلَ:إِنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ اللَّهِ كِتَابُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَى هَذَا مَعْنَى طُمَأْنِينَةِ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ اللَّهِ: أَنَّهَا حِينَ تَعْرِفُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامَهُ تَطْمَئِنُّ لَهَا، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ الْمُؤَيَّدِ بِالْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ، وَبِذَلِكَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، فَإِنَّهَا لَا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إِلَّا بِالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَضْمُونٌ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا، وَأَمَّا مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ فَلَا تَطْمَئِنُّ بِهَا، بَلْ لَا تَزَالُ قَلِقَةً مِنْ تَعَارُضِ الْأَدِلَّةِ وَتَضَادِّ الْأَحْكَامِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }.(النّساء:٨٢). وَهَذَا إِنَّمَا يَعْرِفُهُ مَنْ خَبَرَ كِتَابَ اللَّهِ وَتَدَبَّرَهُ، وَتَدَبَّرَ غَيْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، فَإِنَّهُ يَجِدُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَرْقًا عَظِيمًا.

-فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا دَهَمَهُ مَا يُزْعِجُهُ وَيُجْزِعُهُ ثُمَّ ذَكَرَ رَبَّهُ فِي نَفْسِهِ وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا سَمِيعًا بَصِيرًا رَحِيمًا وَدُودًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَلَا يَخْذُلُ أَوْلِيَاءَهُ وَلَا يَتَخَلَّى عَنْهُمْ، بَلْ يَهْدِيهِمْ وَيَنْصُرُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ لِمَا تَذَكَّرَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَآثَارِهَا الَّتِي لَا تَتَخَلَّفُ عَنْهَا.

-وَإِذَا ذَكَرَ وَعْدَ اللَّه تَعَالَى لِمَن اتَّبَعَ هُدَاهُ أَنْ لَا يَخَاف وَلَا يَحْزَن وَأَنْ لَا يَضِلّ وَلَا يَشْقَى، وَأَنّ اللَّهَ مع عِبَادِهِ الْمُؤْمنين الْمُتَّقِين يحبهم ويؤيِّدهم وينصرهم، ويخرجهم من الظُّلُمَات إِلَى النُّور: اطْمَأَنّ قَلْبُه بِذِكْر اللَّه، وَصدق وَعْده.

-وَإِذَا تَلَا آيَاتِ اللَّه وجد مِنْ نَفْسه طُمَأْنِينَةً لَهَا وفَرَحًا بِهَا وَرِضًا يَنْشَرِحُ بِهِ الصَّدْرُ وَتَسكُنُ بِهِ النَّفْسُ فَيَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ اللَّه الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى عِبَادِه؛ فَيَتَّبِعُ الْعَبْدُ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى، وَيَعْتَبِرُ بِمَا فِيه مِنَ الْعِبر وَالْمَوَاعِظ، وَيَعْقِلُ مَا فِيه مِنَ الْأَمْثَال، فَيَثْبُتُ بِإِذْنِ رَبِّه عَلَى الْحَقّ وَالْهُدَى فَيَزِيدُهُ اللَّهُ هُدًى وَفَضْلًا وَثَبَاتًا عَلَى الْحَق.

-وَإِذَا تَأَمّلَ آيَاتِ اللَّه الْكَوْنِيَّةَ وَاعْتَبَرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ وَتَعَرَّفَ بِهَا عَلَى أَسْمَاءِ اللَّه وَصِفَاتِه ، وَأَنّ مَنْ خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ الْعَظِيم فَإِنّهُ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَمَنْ سَيّرَ هَذِه الْأَفْلَاكَ الْعَظِيمَةَ بِنِظَامٍ دَقِيقٍ عَجِيبٍ مُحكَمٍ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَأَنّ مَنْ يُدَبّرُ أُمُورَ الْكَائِنَاتِ عَلَى كَثْرَتِهَا الْهَائِلَةِ وَتَنَوّعِهَا الْعَظِيمِ وَاخْتِلَافِهَا وَتزَامُنِهَا لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيءٌ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ.

-وَلَا يَزَالُ يَتَفَكّرُ فِي نَفْسِهِ وَفِي الْآفَاقِ وَفِي مَا يَرَاهُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّه تَعَالَى لِلكَائِنَاتِ وَتَدْبِيرِهِ لِأَحْوَالِهَا وَتَقْدِيرِهِ لِأَوْصَافِهَا وَقَسْمِهِ لِأَقْوَاتِهَا وَأَرْزَاقِهَا وَطَبَائِعِهَا وَأَخْلَاقِهَا.

-فَيَكُون هَذَا التَّفَكُّرُ دَلِيلاً يُذَكِّرُه بِاللَّه فَيطْمَئِنّ قَلْبُهُ بِذِكْرِ اللَّه، وَيُثْمِر لَهُ هَذَا التَّفَكُّرُ وَالتَّذَكُّرُ مَا يُثْمِر مِنْ خَشْيَةِ اللَّه وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَتَعْظِيمِه وَمَحَبّتِهِ وَالْخُضُوعِ لِأَمْرِه، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ.

-وَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبّهُ بِلِسَانِه مُؤْمِنًا بِاللَّه جَلّ وَعَلَا عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَان الْوَسْوَاسِ الْخَنّاسِ الّذِي يُوَسْوِسُ فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبّهُ خَنَس، وَوُقِي أَيْضًا شَرّ وَسْوَسَةِ نَفْسِه الْأَمّارَةِ بِالسُّوءِ وَشَرّ وَسْوَسَةِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنّ ، وَإِذَا انْدَفَعَتْ هَذِه الْوَسَاوِسُ عَنِ الْقَلْبِ وَعُصِمَ الْعَبْدُ مِنْ شَرّهَا اطْمَأَنّ الْقَلْبُ لِعِصْمَتِهِ مِنَ الْأَذَى الّذِي كَانَ يُزْعِجُهُ

وَيُقْلِقُهُ ؛ فَإِنّ مَا يَحْجُبُ الطُّمَأْنِينَةَ عَنِ الْقَلْبِ رَاجِعٌ إِلَى مَعَانٍ مُتَقَرِّبَةٍ مِنَ التَّحْزِينِ وَالتَّيْئِيسِ وَالتَّشْكِيكِ وَالتَّخْوِيفِ وَكُلّهَا إنّمَا مَصْدَرُهَا شُرُورُ النُّفُوسِ وَوَسَاوِسُ الشّيَاطِينِ؛ فَإِذَا عُصِمَ الْعَبْدُ مِنْهَا بَقِيَ الْقَلْبُ مُطْمَئِنًا بِذِكْرِ اللّهِ جَلّ وَعَلَا.

-وَهَذِهِ الْمَعَانِي إِذَا تَأَمّلْتَهَا حَقّ التّأَمُّلِ وَجَدْتَهَا مِنْ أَظْهَرِ عَلَامَاتِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللّهِ تَعَالَى.

-وَأَنّ الشّقِيّ الْمَحْرُومَ هُوَ الْمُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ، الّذِي إِذَا ذُكِرَ اللّهُ اشْمَأَزّ قَلْبُهُ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُهُ أَعْرَضَ عَنْهَا؛ فَهَذَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ كَمَا قَالَ اللّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ }.(السّجدة:٢٢).

-وَمَنْ تَأَمّلَ الْعُقُوبَاتِ الّتِي جَعَلَهَا اللّهُ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ عَلِمَ شِدّةَ انْتِقَامِ اللّهِ جَلّ وَعَلَا مِمّنْ لَا يُنِيبُ إِلَيْهِ وَلَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ بِذِكْرِهِ.

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدّمَتْ يَدَاهُ إِنّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا}.(الكهف:٥٧).

-فَتَأَمّلْ شِدّةَ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ، وَكَيْفَ أَنّهَا فِي مُقَابِلِ مَا يَمُنُّ اللّهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِنَابَةِ وَالْخَشْيَةِ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَفِقْهِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ.

-وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنّهُمْ مُهْتَدُونَ}.(الزّخرف:٣٦-٣٧).

-فَانْظُرْ حَفِظَنِي اللّهُ وَإِيّاكَ وَوَقَانَا أَسْبَابَ سَخَطِهِ وَنِقْمَتِهِ عِظَمَ هَذَا الذّنْبِ وَهُوَ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ وَكَيْفَ أَنّهُ سَبَبٌ لِهَذِهِ الْعُقُوبَاتِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الشّقَاءِ وَالْخِذْلَانِ، وَتَسَلُّطِ الشّيَاطِينِ ، وَالْحِرْمَانِ مِنَ الْهُدَى وَالِانْتِفَاعِ بِالْقُرْآنِ،وَسَبَبُ ذَلِكَ:الْإِعْرَاضُ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ.

-وَعِلَاجُهُ : الْإِنَابَةُ إِلَى اللّهِ تَعَالَى، وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ بِذِكْرِهِ.





-فَإِذَا علِمَ الْفَقِيرُ الّذي ضَاقتْ به السّبُلُ ، وأغْلقتْ دُونَهُ الْأبْوَابُ ،أنّ منْ أسْمَاءِ اللّه الْحُسْنَى،وصِفَاته الْمُثْلَى أنّهُ (الرّزّاقُ)اطْمَئَنّ قَلْبَهُ،وسعَى عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ،وأَخَذَ بِالْأسْبَابِ الْمُبَاحَةِ الْمُتَاحَةِ مُتَوَكّلًا عَلَى اللّه تعَالَى.

-وَإِذَا عَلِمَ الْمُذْنِبُ الْعَاصِي،أنّ منْ أسْمَاءِ اللّه الْحُسْنَى،وَصِفَاتِه الْمُثْلَى أنّهُ (الرّحْمَنُ،الرّحِيمُ،الْغَفّارُ،الْغَفُورُ،الْعفُوُّ،التّوّابُ) الّذِي يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِه،وَيَعْفُو عَنِ السّيِّئَاتِ،بَادَرَ بِالْإِنَابَةِ والتّوْبَةِ إِلَى اللّه تَعَالَى قَبْلَ الْفَوْتِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ.

-وَإِذَا عَلِمَ الْمَظْلُومُ ،أنّ منْ أسْمَاءِ اللّه الْحُسْنَى،وَصِفَاتِه الْمُثْلَى أنّهُ (الْعَدْلُ)وَأَنّهُ لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ،وَأنّهُ سَيَقْتَصُّ لِلْمَظْلُومِ مِمّنْ ظَلَمَهُ،اطْمَئَنّ قَلْبُهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْقَائِلِ:{ٱلّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ}.(الرّعد:٢٨).

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وَأعْلَمُ.



(مَاحَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟)

الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أَمّا بَعْدُ:



•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٢٧-أحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا سُؤالِي:مَا حَقُّ اللّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ؟.







•منَ الْمَعْلُومِ أنّ الْحُقُوق مرَاتبٌ،وَأعْلَى تِلْكَ الْمرَاتِبِ حقٌ اللّهِ تعَالَى علَى الْعبَاد.

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَاريٌّ–رَحِمَهُ اللّهُ تعَالَى–فِي صَحِيحِهِ برقَمِ(1968) مِنْ حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللّه السوَائيّ أبِي جُحَيْفَةَ–رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عنْهُ–قَالَ:

آخَى النّبِيُّ– صلّى اللّهُ عليْهِ وَسلّمَ –بيْنَ سلْمَانَ وَأَبِي الدّرْدَاءِ، فزارَ سلْمَانُ أبَا الدّرْدَاءِ، فرَأَى أمّ الدّرْدَاءِ مُتَبَذّلَةً، فقَالَ لَهَا:مَا شَأْنُك؟قَالَتْ:أخُوكَ أبُو الدّرْدَاءِ لَيْسَ لَه حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أبُو الدّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ:

كُلْ، قَالَ:فَإنّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أنَا بِآكِلٍ حَتّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأكَلَ، فَلَمّا كَانَ اللّيْلُ ذَهَبَ أبُو الدّرْدَاءِ يقُومُ، قَالَ: نَمْ، فنَامَ، ثُمّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمّا كَانَ مِن آخِرِ اللّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الْآنَ. فَصلّيَا فقَالَ لَه سلْمَانُ:

إنّ لِربّكَ عَلَيْكَ حقًّا، وَلِنفْسِكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حقًّا، فَأعْطِ كُلّ ذِي حَقٍّ حَقّهُ.
فَأتَى النّبِيّ–صلّى اللّهُ علَيْهِ وَسلّمَ–فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النّبِيُّ–صلّى اللّهُ علَيْهِ وسَلّمَ–:{صدَقَ سَلْمَانُ}.

-لَمْ يَأمُرِ اللّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى هَذِهِ الْأُمّةَ بِالانْقِطَاعِ للعِبَادَةِ؛ فَلَا رَهْبَانِيّةَ فِي الْإسْلَامِ كَالّتِي ابْتَدَعَهَا النّصَارَى فِي دِينِهِمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيث يَرْوِي أبُو جُحَيْفَةَ وَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ السُّوَائِيُّ –رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–أنّ النّبِيّ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–آخَى بيْنَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيّ وَأبِي الدّرْدَاءِ عُوَيْمِرِ بنِ قَيْسٍ الْأنْصَارِيّ –رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُمَا– مُؤَاخَاةَ مُوَاسَاةٍ، وَلَيْسَتْ كَالّتِي فِي أوّلِ الْهِجْرَةِ الّتِي كَانَتْ عُقِدَتْ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأنْصَارِ لِيَتَوَارَثُوا بِهَا؛ فَقَدْ نُسِخَتْ، فَزَارَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ أبَا الدّرْدَاءِ–رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُمَا– ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَجَدَ أُمّ الدّرْدَاءِ خَيْرَةَ بِنْتَ أبِي حَدْرَدٍ الْأسْلَمِيّةَ –رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهَا– مُتَبَذّلَةً، يَعْنِي تَلْبَسُ

ثِيَابَ الْخِدْمَةِ وَعَمَلِ الْبَيْتِ وَتَتْرُكُ التَّزَيُّنَ، فَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ هَذِهِ الْحَالَةِ، فَقَالَتْ لَهُ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا؛ اسْتِحْيَاءً مِنْ أَنْ تُصَرِّحَ بِعَدَمِ حَاجَتِهِ إِلَى مُبَاشَرَتِهَا، وَكَانَتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ وَهَذَا الْحِوَارُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْحِجَابُ عَلَى الْمُسْلِمَاتِ، ثُمَّ دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لِسَلْمَانَ طَعَامًا يَأْكُلُهُ، فَقَالَ سَلْمَانُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: كُلْ مَعِي، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ صَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ:

مَا أَنَا بِآكِلٍ مِنْ طَعَامِكَ شَيْئًا حَتَّى تَأْكُلَ، وَغَرَضُهُ بِذَلِكَ صَرْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَمَّا يَصْنَعُهُ مِنَ الْجَهْدِ فِي الْعِبَادَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَضَرَّرَتْ مِنْهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ زَوْجَتُهُ، فَأَكَلَ مَعَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ نُزُولًا عَلَى رَغْبَتِهِ، ثُمَّ بَاتَ سَلْمَانُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَلَمَّا انْقَضَى جُزْءٌ مِنَ اللَّيْلِ قَامَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِيُصَلِّيَ، فَأَمَرَهُ سَلْمَانُ أَنْ يَنَامَ، فَنَامَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فِي وَقْتٍ آخَرَ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ:

نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ لَهُ سَلْمَانُ: قُمِ الْآنَ، وَقَامَ مَعَهُ سَلْمَانُ فَصَلَّيَا، ثُمَّ نَصَحَهُ سَلْمَانُ وَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ حَقًّا بِالْعِبَادَةِ، وَلِنَفْسِهِ وَجَسَدِهِ عَلَيْهِ حَقًّا بِالرَّاحَةِ وَنَحْوِهَا، وَأَنَّ لِأَهْلِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ عَلَيْهِ حَقًّا، كَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَتَعَهُّدِهِمْ بِمَا يُصْلِحُ حَالَ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَرْشَدَهُ أَنْ يُعْطِيَ كُلَّ صَاحِبِ حَقٍّ حَقَّهُ، ثُمَّ أَتَى أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ سَلْمَانُ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-فَقَالَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

صَدَقَ سَلْمَانُ فِيمَا قَالَهُ وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَلِّفَ نَفْسَهُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَإِنَّمَا يُصَلِّي وَيَقُومُ عَلَى وَجْهٍ يَحْصُلُ بِهِ الْخَيْرُ، وَيَزُولُ بِهِ التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ وَالْعَنَاءُ.

-وَفِيهِ: مَشْرُوعِيَّةُ الْمُؤَاخَاةِ فِي اللَّهِ، وَزِيَارَةَ الْأَخِ لِأَخِيهِ وَالْمَبِيتِ عِنْدَهُ.

-وَفِيهِ: مُخَاطَبَةُ الْأَجْنَبِيَّةِ لِلْحَاجَةِ، وَالنُّصْحُ لِلْمُسْلِمِ.

-وَفِيهِ: فَضْلُ قِيَامِ آخِرِ اللَّيْلِ.

-وَفيهِ: النّهْيُ عَنِ الْمُسْتَحَبّاتِ إذَا خُشِيَ أنّ ذَلِكَ يَفْضِي إلَى السّآمَةِ وَالْمَلَلِ، وتَفْوِيتِ الْحُقُوقِ الْمَطْلُوبَةِ.

-وَفيهِ: كَرَاهِيَةُ الْحَمْلِ عَلَى النفْسِ فِي الْعِبَادَةِ.

-وَفيهِ: الْفِطْرُ مِنْ صَوْمِ التّطَوّعِ للحَاجَةِ وَالْمَصْلَحَةِ.

-وَفيهِ: مَشْرُوعِيّةُ تَزَيُّنِ الْمَرْأةِ لِزَوْجِهَا.

-وَفيهِ: مَنْقَبَةٌ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيّ، حَيْثُ صَدّقَهُ النّبِيُّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-.

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٣٠) مِنْ حَدِيثِ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللّهِ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فقَالَ:{يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللّه عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبادِ عَلَى اللّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: فَإنّ حَقّ اللّه عَلَى الْعِبَادِ أنْ يَعْبُدُوا اللّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللّه عَزّ وَجَلّ أنْ لَا يُعَذّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ،أفَلَا أُبَشّرُ النّاسَ،قَالَ:لَا تُبَشّرْهُمْ فَيَتّكِلُوا}.

-وَفِي رِوَايَةِ الْإمَامِ الْبُخَارِيِّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-بِرَقَمِ(٥٩٦٧)قَالَ مُعَاذُ بْن جَبَلٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:بَيْنَا أنَا رَدِيفُ النّبِيِّ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلّا أخِرَةُ الرّحْلِ، فَقَالَ:

{يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمّ سَارَ سَاعَةً، ثُمّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمّ سَارَ سَاعَةً، ثُمّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللّهِ عَلَى عِبَادِهِ أنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمّ سَارَ سَاعَةً،ثُمّ قَالَ:يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ،قُلْتُ:لَبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللّهِ إذَا فَعَلُوهُ؟ قُلْتُ:

اللّهُ ورَسُولُهُ أعلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبادِ عَلَى اللّهِ أنْ لَا يُعَذِّبَهم}.

-فَالطَّرِيقُ لنَجَاة الْعَبْدِ في الدُّنْيَا والْآخرة يَبْدَأُ ويَنْتَهِي بِإفْرَادِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ بالْعِبَادَة وَحْدَه، ونَبْذ وتَرْك كُلّ ما سواه عَزّ وَجَلّ فِي عُلَاه.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيث يُخْبِرُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ- رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنّهُ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- يوماً، والرَّدِيفُ:

هُوَ الرّاكِبُ خَلْفَ الرّاكِب بإذْنه، وَهَذَا مِنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- وَإنْسَانيَّته؛ فَإنّ إرْدَافَ الْإِمَامِ وَالشَّرِيف لمَنْ هُوَ دُونَهُ وَرُكُوبَهُ مَعَهُ:منَ التّوَاضُع وَتَرْك التّكَبُّر، وكَانَا عَلَى حِمَارٍ، وكَانَ اسْمُهُ عُفَيْرًا، ويَذْكُرُ مُعَاذٌ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أنّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ إلّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، وَالرّحْلُ للبَعِير كَالسَّرْجِ للفَرَسِ، وآخرَتُهُ: هِيَ الْعُودُ الّذي يُجْعَلُ خَلْفَ الرّاكِبِ يَسْتَنِدُ إلَيْه، وَفَائدَةُ ذكْره الْمُبَالَغَةُ فِي شدّة قُرْبه؛ لِيَكُونَ أَوْقَعَ فِي نَفْسِ سَامِعه أنّهُ ضَبَطَ مَا رَوَاهُ.

فَنَادَى عَلَيْه رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{يَا مُعَاذُ} ثَلَاثَ مَرّاتٍ، وفي كُلّ مَرّةٍ يَرُدُّ مُعَاذٌ- رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ- عَلَيْه: {لَبّيْكَ رَسُولَ اللّه وَسَعْدَيْكَ}، أيْ: أُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللّه إجَابَةً لَكَ بَعْدَ إجَابَةٍ، أَوْ أَقَمْتُ عَلَى طَاعَتكَ إقَامَةً بَعْدَ إقَامَةٍ، وَطَلَبْتُ السّعَادَةَ لإجَابَتكَ فِي كُلّ مَرّةٍ في الْأُولَى وَالْآخرة، وَهَذَا يَعْنِي أنّهُ مُجِيبٌ لرَسُولِ اللّه- صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- وَمُؤكّدٌ لَهُ عَلَى حُسْنِ طَاعَته فيمَا يَأمُرُ به، فَلمّا أحْسَنَ مُعَاذٌ- رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-الإجَابَةَ وَأَصْغَى السّمْعَ، سَأَلَهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-قَائلًا: {هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللّه عَلَى عبَاده؟} أيْ: هَلْ تَعْلَمُ مَا يَجِبُ للّه عَلَى عبَاده،ومَا يَسْتَحقُّهُ منْهُمْ؟ فَقَالَ مُعَاذٌ:{اللّهُ وَرَسُولُهُ أعلَمُ}، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْأَدَب، وَعَدَمِ التّقَدُّمِ عَلَى اللّه وَرَسُوله، فَبَيّنَ لَهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-أنّ حَقّ اللّه عَلَى عبَاده: {أنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا به شَيْئًا}. وَالْمُرَادُ بِالْعِبَادَة: عَمَلُ الطّاعَات وَاجْتنَابُ الْمَعَاصِي، وَهِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلّ مَا يُحِبُّهُ اللّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. وَعَطَفَ عَلَى الْعِبَادَةِ عَدَمَ

الشِّرْك بِه سُبْحَانَهُ؛ لأنَّهُ تَمامُ التَّوْحِيد. وقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِي ذَلكَ: أنّ بَعْضَ الْكَفَرة كَانُوا يَدّعُونَ أنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللّهَ، ولَكِنّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى، فَاشْتُرِطَ نَفْيُ ذَلِكَ، وأَنْ تَكُونَ عِبَادَتُهُمْ للّهِ وحْدَهُ؛ لأنّهُ تَعالَى هُوَ الْخَالِقُ الرّزّاقُ، النّافِعُ، الدّافِعُ عَنْ عِبَادِه الْآفَاتِ وَالمُؤذِيَات، فإذَا كَانَ كَذَلكَ وَجَبَ عَلَيْهِمْ أنْ يُوَحّدُوهُ وَيُخْلِصُوا لَهُ الطّاعَةَ دُونَ مَنْ سِوَاهُ؛ فَهَذَا هُوَ حَقٌّ اللّه تَعَالَى عَلَى عِبَادِه.

وَسَارَ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- مُدّةً مِنَ الزّمَنِ، ثُمّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، فَقَالَ مُعَاذٌ -رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ- بِأَدَبِهِ الْجَمِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{لَبّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ}،

فَقَالَ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ إذَا فَعَلُوهُ؟}أيْ:أيُّ شَيءٍ حَقِيقٌ وَجَدِيرٌ وَلَائِقٌ أنْ يَفْعَلَ اللّهُ تَعَالَى بِعِبَادِهِ إنْ هُمْ أدّوْا حَقّهُ؟ فَقَالَ مُعَاذٌ- رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:

{اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ}، فَفَوّضَ الْعِلْمَ للّهِ وَرَسُولِه كَمَا فَعَلَ قَبْلَ ذَلكَ، فَذَكَرَ لَهُ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-أنّ حَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ إذَا فَعَلُوا ذَلكَ: ألّا يُعَذّبَهُمْ. وَيَسْتَلْزِمُ ذَلكَ حُصُولَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثّوَابِ وَالْجزَاءِ، وَهَذَا بِشَرْطِ الْإتْيَانِ بِأوَامِرِه، وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَنَاهِيهِ؛ فَإنّ كُلّ ذَلكَ مِنْ عِبَادَتِه، وقَدْ حَقّ ذَلكَ الْجَزَاءُ وَوَجَبَ بِحُكْمِ وَعْدِ اللّهِ الصّدْقِ، وَقَوْلِه الْحَقّ الّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ فِي الْخَبَرِ، وَلَا الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ؛ فَاللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيءٌ بِحُكْمِ الْأمْرِ؛ إذْ لَا آمِرَ فَوْقَهُ سُبْحَانَهُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: تَكْرَارُ الْمُعَلّمِ أوِ الْوَاعِظِ النّدَاءَ؛ لِتَأكِيدِ الاهْتِمَامِ بِمَا يُخْبِرُ بِه، وَلِيَكْمُلَ تَنَبُّهُ الْمُتَعَلّمِ فِيمَا يَسْمَعُهُ.

-وَفِيهِ: أنّ مَنْ مَاتَ عَلَى التّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنّةَ قَطْعًا.

-وَفِيهِ:مَنْزِلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَدَبُهُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-، وَقُرْبُهُ مِنْه.

-وَفيه:جوَازُ كتْمَان بَعْض الْعلْمِ عمّنْ لَا يَفْهمُهُ كَأحَاديث الرّجَاءِ الّتي قَدْ يُؤدّي الْفَهْمُ الْخَاطِئ لَهَا إلَى ترْك الْعمَلِ،فيَجب عِنْدَ سردِها وضع الْقيودِ الّتي تُحقّق الْفَهْمَ الصّحيح لَهَا.

•فحَقٌ اللّه تَعَالَى عَلَى عبَاده التّوْحيدُ الْخَالصُ وَالْعبَادَةُ الصّادقَةُ،لقَوْله تَعَالَى:{ومَا خلَقْتُ الْجِنّ وَالْإنْسَ إلّا ليَعْبُدُونِ}.(الذّاريات:٥٦).،وهَذَا الْحَقٌ يُثْمِرُ تَزْكِيَةَ النّفُوسِ فَتَتَحَقّقُ لَدَى الْعَابِدِ الْإنْسَانيّةُ فِي أسْمَى مَعَانيهَا.

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وَأعْلَمُ.





•فَهَذَا سَائلٌ يَسْألُ:

٢٨-أحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكُمْ شَيْخَنَا:مَا السَّبِيلُ لِمَعْرِفَةِ الْعِبَادَةِ فِي الْأقْوَالِ وَالْأعْمَالِ؟



-لمَعْرِفَةِ الْعبَادَة فِي الْأقْوَالِ وَالْأعْمَالِ هُنَاك أحدُ سَبيلَيْن:

-الْأوّلُ:

صُدُورُ الْأمرِ وَالنّهْي بالْقَوْلِ أوِ الْفعْلِ،فإذَا وردَ الْأمْرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أوْ فِي صَحيحِ السّنّة فهَذَا يَعْني أنّ الْمَأمُورَ به عبَادَةٌ فَعَلَى سَبيل الْمثَال لَا الْحَصْرِ:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَأقيمُوا الصّلَاةَ وآتُوا الزّكَاةَ وَأطيعُوا الرّسُولَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ }.(النّور:٥٦).

-وَقوْلُهُ تَعَالَى:{قُل لّعبَادِى ٱلّذِينَ ءَامَنُواْ يُقيمُواْ ٱلصّلَوٰةَ وَيُنفقُواْ ممّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعلَانِيَةً مّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ}.(إبراهيم:٣١).

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }.(الحجرات:٦-١٠).

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ }.(الحجرات:١٢).

-وَمِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٩٨٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ ابْنُ حِبَّانَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٣٧٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَهُ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا: {بَشِّرَا وَيَسِّرَا وَعَلِّمَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا } فَلَمَّا وَلِّي مُعَاذٌ رَجَعَ أَبُو مُوسَى فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لَهُمْ شَرَابًا مِنَ الْعِنَبِ يُطْبَخُ حَتَّى يَعْقِدَ، وَالْمِزْرُ يُصْنَعُ مِنَ الشَّعِيرِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{كُلُّ مَا أَسْكَرَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهُوَ حَرَامٌ }.





-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(47)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:
{مَن كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ والْيومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيصمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ والْيومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ والْيومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرَقَمِ(616)مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-يَخْطُبُ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ:
{ اتّقُوا اللّهَ رَبّكُمْ وَصَلّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنّةَ رَبّكُمْ}.
•وَإِذَا وَرَدَ النّهْيُ عَنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَصَحِيحِ السُّنّةِ يَكُونُ الاجْتِنَابُ لِهَذَا الْقَوْلِ أَوِ الْفِعْلِ عِبَادَةً،فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا الْحَصْرِ:
-قَالَ اللهُ تَعَالَى:
{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }.(الأنعام:١٥٢).
-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}(.الإسراء:٣٢.)

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}.(النّحل:١١٦).
-وَمِنَ السُّنّةِ الْمُطَهّرَةِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(١٥٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ الْحَارِثِ بْنِ رِبْعِيٍّ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ

رَسُولُ اللهِ –صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفّسْ فِي الْإِنَاءِ، وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ فَلَا يَمَسّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَمَسّحْ بِيَمِينِهِ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2033)مِنْ حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–أَنّ النّبِيّ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–قَالَ: {إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا بِهَا مِنَ الْأَذَى ، وَ لْيَأْكُلْهَا ،وَ لَا يَدَعْهَا لِلشّيْطَانِ ، وَ لَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ ؛ حَتّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا ، فَإِنّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةَ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(2361)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–أَنّ النّبِيّ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–قَالَ:{لَا تُوَاصِلُوا ، فَأَيّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ ،فَلْيُوَاصِلْ حَتّى السّحَرَ قَالُوا : فَإِنّكَ تُوَاصِلُ ، قَالَ : إِنّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ، إِنّ لِي مُطْعِمًا يُطْعِمُنِي ، وَسَاقِيًا يَسْقِينِي}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(105)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يُدْخِلْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثَ مَرّاتٍ؛ فَإِنّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ، أَوْ أَيْنَ كَانَتْ تَطُوفُ يَدُهُ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–أَيْضًا فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٧٢١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{لَا تُصَاحِبْ إِلّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلّا تَقِيٌّ}.

-الثّانِي:

حُبُّ اللهِ تَعَالَى وحُبُّ رَسُولِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-للقَوْلِ أوِ الفِعْلِ وَالْحَثّ عَلَيْهِ فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ والسُّنَّة الْمُطَهَّرَة، فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا الْحَصْرِ:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }.(البقرة:١٩٥).

-فَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ،فَالْإِحْسَانُ عِبَادَةٌ،وَالْإِحْسَانُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }.(البقرة:٢٢٢).

-فَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ التَّوَّابِينَ،فَالتَّوْبَةُ عِبَادَةُ وَهِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالنَّدَمِ عَلَى الذَّنبِ،وَالاقْلَاعِ عَنْهُ،وَالْعَزْمِ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَيْهِ،وإِذَا تَعَلَّقَ الذَّنْبُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ فَلَابُدَّ مِنْ رَدِّ الْمَظْلَمَةِ،مَعَ الْإِخْلَاصِ فِي التَّوْبَةِ وَابْتِغَاءِ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى.

-وَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ،فَالتَّطَهُّرُ عِبَادَةٌ ،سَوَاء طَهَارَة النَّفْسِ بِتَزْكِيَتِهَا،أوْ طَهَارَة الْبَدَنِ بِالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ،وَالْوُضُوءِ لِلصَّلَاةِ،أوْ طَهَارَة الْمَلْبَسِ مِنَ الْقَاذُورَاتِ وَالنَّجَاسَاتِ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.(آل عمران:٧٦).

-فَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ،فَالتَّقْوَى عِبَادَةٌ وَهِيَ فِعْلُ الْأوَامِرِ وَالْوَاجِبَاتِ ،وَتَرْكُ النَّوَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ،فِي كُلِّ الْأمَاكِنِ وَفِي جَمِيعِ الْأوْقَاتِ.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.(الحجرات:٩).

-فَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالاسْتِقَامَةِ الْمُوَفَّقُونَ الْمَهْدِيُّونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِم،فَالْعَدْلُ عِبَادَةٌ.

-وَمِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ:

-مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(3939)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ}.

-كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعبدَ النَّاسِ وَأَتْقَاهُمْ للهِ عَزّ وَجَلّ؛ فَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا الطَّيِّبَ، فَأَحَبَّ أَزْوَاجَهُ، وَأَحَبَّ الرَّوَائِحَ الطَّيِّبَةَ؛ مِنْ مِسْكٍ وَغَيْرِهِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، وَكَانَتْ فَرْحَتُهُ وَسَعَادَتُهُ فِي الصَّلَاةِ،فَالطِّيبُ عِبَادَةٌ،وَحُبُّ الزَّوْجَةِ عِبَادَةٌ،وَالسَّعَادَةُ عِنْدَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ عِبَادَةٌ.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(478)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ:-

أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ :{إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ}.

-رَغَّبَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ فِي صَلَاةِ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَحَثَّهُمْ عَلَيْهَا، حَيْثُ بَيَّنَ لَهُمْ عَظِيمَ أَجْرِهَا وَفَضْلَهَا وَثَوَابَهَا،فَبِدَايَةُ الزَّوَالِ مِنَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءِ وَتُتَقَبَّلُ الْأَعْمَالِ،فَهَذِهِ الرَّكَعَاتُ عِبَادَةٌ أَحَبَّهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَحَثَّ عَلَى فِعْلِهَا.





-وَمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْمُنْذِرِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي التّرْغِيب وَالتّرْهِيب بِرَقَمِ(٢٦٢٣)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْن عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:

{أَحَبُّ النّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ،أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ ؛ أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ أَنْ اعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ ؛ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًا ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتّى يَقْضِيَهَا لَهُ ؛ ثَبّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ}.

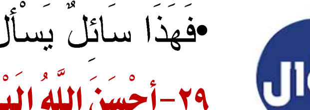
•هَذَا وَاللّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



(مَاهِيَ حُقُوقُ الْأَبْنَاءِ عَلَى الْآبَاءِ؟)

الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أَمّا بَعْدُ:



•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٢٩-أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ شَيْخَنَا :مَا هِيَ حُقُوقُ الْأَبْنَاءِ عَلَى الْآبَاءِ؟-.



•أَيُّهَا الْآبُ الْأَبْنَاءُ هُمْ عِمَادُ ظُهُورِنَا، وَثَمَرُ قُلُوبِنَا،وَقُرّةُ عُيُونِنَا،بِهِمْ نَصُولُ عَلَى أَعْدَائِنَا،وَهُمُ الْخَلَفُ مِنّا لِمَنْ بَعْدَنَا، فَكُنْ لَهُمْ أَرْضاً ذَلِيلَةً، وَسَمَاءً ظَلِيلَةً، إِنْ سَأَلُوكَ فَأَعْطِهِمْ،وَإِنْ غَضِبُوا فَأَرْضِهِمْ، يَمْنَحُوكَ

وُدّهم،ويُحِبُّوكَ جُهْدَهُمْ،لَا تَمْنَعُهُمْ رِفْدَكَ فَيَمَلُّوا قُرْبَكَ،وَيَكْرَهُوا حَيَاتَكَ وَيَسْتَبْطِئُوا وَفَاتَكَ.

-وَقَدْ جَعَلَت الشّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيّةُ حُقُوقًا للأبْنَاءِ عَلَى الْآبَاءِ وَأَعْظَمُهَا حَقٌّ التّرْبِيَةِ،وَالتّرْبِيَةُ الّتِي نَقْصِدُ هِيَ تَنْشِئَةُ الْمُسْلِمِ وإعْدَادُه إعْدَاداً كَامِلاً مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِه لِحَيَاتَيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي ضَوْءِ الإسْلَامِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْ: هِيَ الصِّيَاغَةُ الْمُتَكَامِلَةُ لِلفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ عَلَى وِفْقِ شَرْعِ الله الْمُتَمَثّلِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنّة.

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{يَٰأَيُّهَا ٱلّذِينَ ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لّا يَعْصُونَ ٱللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.(التّحريم:٦).

-قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:

{قَالَ سُفْيَانُ الثّوْرِيّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَلِيّ-رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}يَقُولُ أَدّبُوهُمْ وَعَلّمُوهُمْ، وَقَالَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبّاس:{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} يَقُولُ اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللّهِ وَاتّقُوا مَعَاصِيَ اللّهِ وَأمُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذّكْرِ يُنَجّيكُمُ اللّهُ مِنَ النّارِ.

-وَقَالَ مُجَاهِدٌ:{قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} قَالَ اتّقُوا اللّهَ وَأَوْصُوا أَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللّه،وَقَالَ قَتَادَةُ تَأمُرُهُمْ بِطَاعَةِ اللّهِ وتَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللّهِ وَأَنْ تَقُومَ عَلَيْهِمْ بِأمْرِ اللّهِ وَتَأمُرُهُمْ بِهِ وَتُسَاعِدُهُمْ عَلَيْه فإذَا رَأَيْتَ لِلّه مَعْصِيَةً قَذَعْتَهُمْ عَنْهَا وَزَجَرْتَهُمْ عَنْهَا ،وَهَكَذَا قَالَ الضّحّاكُ وَمُقَاتِلٌ:حَقٌّ الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَلّمَ أَهْلَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ وَإِمَائِهِ وَعَبِيدِهِ مَا فَرَضَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا نَهَاهُمُ اللّهُ عَنْهُ}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2409)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا:-

أَنّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- يَقُولُ:{كُلّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ؛فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ، وَالرّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ

رَعِيّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-وَأَحْسِبُ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- قَالَ:
وَالرّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ، فَكُلّكُمْ رَاعٍ وَكُلّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ.{
-لَا يُكَلّفُ اللّهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَهَا، وَوَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ أَلّا يُقَدّمَ نَفْسَهُ لِأَمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُؤَهّلٍ لَهُ، فَإِذَا تَعيّنَت الْمَسْؤولِيّةُ عَلَيْهِ لَزِمَهُ الْقِيَامُ بِحَقّهَا، وَسَيُسْأَلُ عَنْهَا أَمَامَ اللّهِ عَزّ وَجَلّ.
-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُرْشِدُ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- كُلّ فَرْدٍ مِنْ أُمّتِهِ إِلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِهِ نَحْوَ مَا خَوّلَهُ اللّهُ عَلَيْهِ، فَيُخْبِرُ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-أَنّهُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ فِي هَذِهِ الْأُمّةِ إلّا وَتَحْتَهُ مَنْ يَرْعَاهُمْ وَيَتَحَمّلُ مَسْؤولِيّتَهُمْ، فَيَقُولُ:{كُلّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ}، وَالرّعْيُ: هُوَ حِفْظُ الشّيْءِ وَحُسْنُ التّعَهّدِ لَهُ، وَالرّاعِي
:هُوَ الْحَافِظُ الْمُؤْتَمَنُ الْمُلْتَزِمُ صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْهِ، فَكُلّ مَنْ كَانَ تَحْتَ نَظَرِهِ شَيْءٌ فَهُوَ مُطَالَبٌ بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَمُتَعَلّقَاتِهِ، فَإِنْ وَفّى مَا عَلَيْهِ مِنَ الرّعَايَةِ حَصَلَ لَهُ الْحَظّ الْأَوْفَرُ وَالْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ طَالَبَهُ كُلّ أَحَدٍ مِنْ رَعِيّتِهِ بِحَقّهِ، وَاللّهُ عَزّ وَجَلّ سَائِلُهُ عَنْ تِلْكَ الرّعِيّةِ إِنْ فَرّطَ فِي حُقُوقِهَا.
ثُمّ فَصّلَ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-مَا أَجْمَلَهُ: فَالْإِمَامُ -الْخَلِيفَةُ- رَاعٍ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ اللّهُ، فَعَلَيْهِ حِفْظُ رَعِيّتِهِ فِيمَا تَعيّنَ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِ شَرَائِعِهِمْ وَالذّبّ عَنْهَا،وَعَدَمِ إِهْمَالِ حُدُودِهِمْ، وَتَضْيِيعِ حُقُوقِهِمْ وَتَرْكِ حِمَايَتِهِمْ مِمّنْ جَارَ عَلَيْهِمْ، وَمُجَاهَدَةِ عَدُوّهِمْ، فَلَا يَتَصَرّفُ فِيهِمْ إلّا بِإِذْنِ اللّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَطْلُبُ أَجْرَهُ إلّا مِنَ اللّهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ.
وَالرّجُلُ فِي أَهْلِهِ -زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَغَيْرِهِمْ- رَاعٍ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِمْ بِالْحَقّ فِي النّفَقَةِ وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ، وَتَقْوِيمِهِمْ،وَحُسْنِ تَرْبِيَتِهِمْ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ.

وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ فِي أَمْرِ بَيْتِهِ، وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ، وَالتَّعَهُّدِ لِخَدَمِهِ وَأَضْيَافِهِ،وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا.

وَالْخَادِمُ -أَيْ: الْعَبْدُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْأَجِيرُ عُمُومًا- فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ بِالْقِيَامِ بِحِفْظِ مَا فِي يَدِهِ مِنْهُ وَخِدْمَتِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ بِحِفْظِهِ وَتَدْبِيرِ مَصْلَحَتِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَعَمَّمَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ خَصَّصَ، وَقَسَّمَ الْخُصُوصِيَّةَ إِلَى جِهَةِ الرَّجُلِ وَجِهَةِ الْمَرْأَةِ، وَهَكَذَا، ثُمَّ عَمَّمَ آخِرًا تَأْكِيدًا لِبَيَانِ الْحُكْمِ أَوَّلًا وَآخِرًا.

•فَمِنْ حَقِّ الابْنِ عَلَى أَبِيهِ أَنْ يَنْتَقِيَ لَهُ أُمًّا صَالِحَةً ذَاتَ دِينٍ وَخُلُقٍ،وَأَنْ يُطْعِمَهَا الْحَلَالَ الطَّيِّبَ،وَأَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ،وَأَنْ يَعُقَّ عَنْهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ مَوْلِدِهِ فَيَذْبَحُ شَاتَيْنِ عَنْ مَوْلُودِهِ إِنْ كَانَ غُلَامًا،وَشَاةً إِنْ كَانَتْ جَارِيَةً،وَيَتَعَهَّدُهُ بِالتَّرْبِيَةِ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ،وَالْعُبُودِيَّةِ الْحَقَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى،وَيَغْرِسُ فِيهِ الْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ،وَالشَّمَائِلَ الْحَمِيدَةَ،وَيُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ،وَيَتَعَهَّدُهُ بِالرِّعَايَةِ الصِّحِّيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ،وَيَقُومُ عَلَى أَمْرِهِ.

-{جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- يَشْكُو إِلَيْهِ عُقُوقَ وَلَدِهِ، فَأَمَرَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-بِإِحْضَارِ الْوَلَدِ، وَأَنَّبَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-الْوَلَدَ لِعُقُوقِهِ لِأَبِيهِ،فَقَالَ الْوَلَدُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ لِلْوَلَدِ حُقُوقٌ عَلَى أَبِيهِ؟! قَالَ: بَلَى، قَالَ:

فَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ؟ قَالَ عُمَرُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-: أَنْ يَنْتَقِيَ أُمَّهُ، وَيُحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُعَلِّمَهُ الْكِتَابَ ـــ أَيْ:الْقُرْآنَ ـــ، قَالَ الْوَلَدُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ، إِنَّ أَبِي لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؛ أَمَّا أُمِّي فَإِنَّهَا زِنْجِيَّةٌ كَانَتْ لِمَجُوسِيٍّ، وَقَدْ سَمَّانِي جُعْلًا-أَيْ:خُنْفُسَاء-، وَلَمْ يُعَلِّمْنِي مِنَ الْكِتَابِ حَرْفًا وَاحِدًا، فَالْتَفَتَ عُمَرُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ: جِئْتَ تَشْكُو عُقُوقَ ابْنِكَ وَقَدْ عَقَقْتَهُ مِنْ





قَبْلِ أنْ يَعُقّكَ، وَأسَأتَ إلَيْهِ منْ قَبْلِ أنْ يُسِيءَ إلَيْكَ}. (انْظُرْ:موسوعة الدِّفاع عن رسول اللّهِ–صلّى الله عليه وسلّم –:٤/١٨٤ ل علي بن نايف الشّحود).

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وَأعْلَمُ.



(هَلْ كُلُّ منْ عَمَلَ صَالِحاً يَدْخُلُ الْجَنّةَ حَتّى وَإنْ كَذّبَ مُحَمّداً؟)

الْحَمْدُ للّهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى منْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:



•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْألُ:

٣٠-أرْسَلَ لِي أخٌ فَاضِلٌ رِسَالَةً عَبْرَ الْخَاصّ فِيهَا مَقْطَع فِيدِيو لأحَدِ الْمَفْتُونِين وَالأغْتَامِ الْجَاهِلِينَ يَزْعُمُ كَذِبًا وَزُورًا أنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا سَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتَّى وَإنْ كَذَّبَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَالْأخُ يَسْألُ :هَلْ مِنْ رَدًّ عَلَى كَلَامِ هَذَا الْكَذَّابِ؟.

سَبَقَ لِي الرّدُّ عَلَى هَذّا الْكَذِبِ وَالافْتِرَاء فِي مَقَالٍ بِعُنْوَانِ(الْفُجُور فِي الْفَتْوَى)وَإلَيْك أيّهَا السّائلُ الْكَرِيمُ نَصّ الْفَتْوَى:

-فَمَرْحَبًا بِكَ يَا طَالِبَ النّجَاةِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإيّاكَ–مَعَ حَلْقَةٍ جَدِيدَةٍ منْ سِلْسِلَةِ(تَصْحِيحِ الْمَفَاهِيمِ)وَعُنْوَانُهَا(الْفُجُورُ فِي الْفَتْوَى)وَلَعَلّكَ يَا صَاحِ تَتَعَجّبُ لِهَذَا الْعُنْوَانِ وَتَسْألُ :





نَعْلَم أنّ الْفُجُورَ يَكُونُ فِي الْخُصُومَةِ كَصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ النِّفَاقِ الْعَمَلِيِّ،ويَكُونُ فِي الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْعِنَادِ،ويَكُونُ فِي الظُّلْمِ والْجَوْرِ وتَجَاوُزِ الْحَدِّ،لَكِن أنْ يَكُون فِي الْفَتْوَى فهَذَا أمرٌ غَرِيبٌ؟

-وَجَوَابُ مَسْأَلَتِكَ يَاصَاح فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–الّذِي أخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِه برقَمِ(١٠٠)مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:سمعْتُ رَسُولَ اللّه– صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– يَقُولُ:{ إنّ اللّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتّخَذَ النّاسُ رُءُوسًا جُهّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلّوا وَأَضَلّوا }.

-فَمَفْهُومُ الْفُجُورِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الْفِسْقُ وَهَذِهِ الْمَادّةُ تَدُلُّ عَلَى التّفَتّحِ فِي الشّئِ،وَمِنْهُ:انْفَجَرَ الْمَاءُ انفِجَارًا :

أيْ تَفَتّح ثُمّ كَثُرَ هَذَا حَتّى صَارَ الْانْبِعَاثُ وَالتّفَتّحُ فِي الْمَعَاصِي فُجُورًا،ولِذَلِكَ سُمّيَ الْكَذِبُ فُجُورًا،لِذَا فَالْكَذِبُ فِي الْفَتْوَى فُجُورٌ،والْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فُجُورٌ،والْفَتْوَى لِعَرَضٍ مِنَ الدّنْيَا فُجورٌ،والْفَتْوَى بِقَصْدِ الانْتِقَامِ فُجُورٌ، وَفِي الاصْطِلَاحِ هُوَ هَيْئَةٌ حَاصِلَةٌ للنّفْسِ بِهَا تُبَاشِرُ أمُورًا عَلَى خِلَافِ الشّرْعِ وَالْمُرُوءةِ،فَالّذِي يُخَالِفُ الشّرْعَ فِي الْفَتْوَى وَقَعَ فِي الْفُجُورِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى.

-وَإلَيْكَ يَا صَاح أسُوقُ جُمْلَةً مِنَ الْفَتَاوِي الّتِي وَقَعَ أصْحَابُهَا فِي الْفُجُورِ وَعَبَثُوا مِنْ خِلَالِهَا فِي ثَوَابِتِ الدّينِ وأُسُسِه:

(1)مَنْ أفْتَى بِأنّ الْإيمَانَ بِالنّبِيِّ مُحَمّدٍ–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–لَيْسَ شَرْطًا فِي دُخُولِ الْجَنّةِ،هَذَا تَكْذِيبٌ لله وَرَسُولِه وفُجُورٌ فِي الْفَتْوَى،لأنّ مَنْ أفْتَى يَتَلَاعَبُ بِالْألْفَاظِ وَيُدَلّسُ عَلَى الْعَوَامّ وَالْبُسَطَاءِ،وكَمَا يُقَالُ:كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ وَإلَيْكَ الْبَيَان:





•فَقبْلَ بعثَةِ النّبيِّ مُحَمّدٍ–صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–منْ آمنَ بنبيِّ اللهِ موسى–عليْهِ السّلامُ–وعملَ بالتّوراةِ الصّحيحةِ الْمُنزّلةِ على نبيِّ اللهِ موسى–عليْهِ السّلامُ–وماتَ على ذلكَ فهُوَ منْ أهْلِ الْجنّةِ.

-ومنْ آمنَ بنبيِّ اللهِ عيسى بنِ مريمَ–عليْهِ السّلامُ–وعملَ بالْإنْجيلِ الصّحيحِ الْمُنزّلِ على نبيِّ اللهِ عيسى–عليْهِ السّلامُ–وماتَ على ذلكَ فهُوَ منْ أهْلِ الْجنّةِ.

•أمّا بعْدَ بعْثَةِ النّبيِّ مُحمّدٍ– صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–؛فليْسَ منْ أهْلِ الْجنّةِ إلّا منْ تابعَ مُحمّدًا–صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–،فجميعُ أهْلِ الْأرْضِ بعْدَ مبْعثِ مُحمّدٍ–صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–ليْسَ لهُمْ نجاةٌ إلّا باتّباعِ مُحمّدٍ–صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–،فقدْ بعثَ اللهُ تعالى رسولَهُ مُحمّدًا–صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–للنّاسِ كافّةً،فمنْ آمنَ بهِ واتّبعَ وماتَ على ذلكَ فهُوَ منْ أمّةِ الإجابةِ وهُوَ منْ أهْلِ الْجنّةِ،ومنْ كذّبَ مُحمّدًا–صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–فقدْ كفرَ وهُوَ منْ أمّةِ الدّعْوةِ فإنْ ماتَ على كُفْرِهِ فهُوَ منْ أهْلِ النّارِ.

-فقدْ أخْرجَ الْإمامُ الْبُخاريُّ–رحمهُ اللهُ تعالى–في صحيحِهِ برقمِ(6851)منْ حديثِ أبي هُريْرةَ –رضيَ اللهُ تعالى عنْهُ–أنّ رسولَ اللّهِ –صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ– قالَ:{ كُلُّ أُمّتي يدْخُلُونَ الْجنّةَ إلّا منْ أبى قالُوا يا رسُولَ اللّهِ ومنْ يأْبى قالَ منْ أطاعني دخلَ الْجنّةَ ومنْ عصاني فقدْ أبى}.

-وما أخْرجهُ الْإمامُ مُسْلمٌ–رحمهُ اللهُ تعالى–في صحيحِهِ برقمِ(153)منْ حديثِ أبي هُريْرةَ–رضيَ اللهُ تعالى عنْهُ– عنْ رسُولِ اللّهِ –صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ– أنّهُ قالَ:{ والّذي نفْسُ مُحمّدٍ بيدِهِ لا يسْمعُ بي أحدٌ منْ هذهِ الْأُمّةِ يهُوديٌّ ولا نصْرانيٌّ ثُمّ يمُوتُ ولمْ يُؤْمنْ بالّذي أُرْسلْتُ بهِ إلّا كانَ منْ أصْحابِ النّارِ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِرَقْمِ(١٨٥/١)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ:{ أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُونَكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُونَهُ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُونَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي}.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ }.(محمَّد:٣:١).

-فَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ وَاحِدٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ،قَالَ اللهُ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١)وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيماً}.(النِّساء:١٥٢:١٥٠).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.(البقرة:١٧٧).





فَجعَلَ حَقِيقَةَ الْإيمَان فِي هَذِه الْآيَة ومِنْهَا الْإيمَان بِجمِيعِ الْأنْبِيَاء.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا }.(الفتح:١٣).

-أيْ: ومَنْ لَمْ يُؤْمِنْ باللهِ – تَعَالَى – إيمَانًا حَقًّا ، وَيصدقِ الرّسُولِ مُحَمّد– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ – فِي كُلّ مَا جاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبّهِ ، وَيُطِيعُهُ فِي كُلّ مَا أَمَرَ بِهِ أَوْ نَهى عَنْهُ ، عَاقَبْنَاهُ عِقَابًا شَدِيدًا ، فَإنّا قَدْ هَيّأنَا لِلكَافِرِينَ نَارًا مُسعرة ، تَحْرِقُ الْأَبْدَانَ ، وَتَشْوِي الْوُجُوهَ.

-فَإلَى هؤلَاءِ الْفُجّارِ فِي الْفَتْوَى إنْ أَرَدْتُم رِضَا غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْوَاكُمْ فَلَنْ يَرْضَوْا عَنْكُمْ،لِأَنّكُمْ بِذَلِكَ نَصبتُمْ الْعَدَاءَ مَعَهُمْ بِإِضْلَالِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَأَصْبَحْتُمْ فِتْنَةً لَهُمْ بِصدّهِمْ عَنِ الْإيمَانِ،

وَذَلِكَ بِضَعْفِكُم وهوانِكُمْ وتَضْيِيعِكُمْ لِلحَقّ فَيَعْتَقِدُ الْكُفّارُ بِسَبَبِ فُجُورِكُمْ فِي الْفَتْوَى أَنّهُمْ عَلَى الْحَقّ فَيَتَمَسّكُونَ بِبَاطِلِهِم فيَهْلَكُوا،وتَأَمّلُوا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى:{ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.(الممتحنة:٥).

•رَبّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنّكَ أَنْتَ الْوَهّاب،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبّ الْعَالَمِينَ.

•هَذَا وَاللّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:





سؤال **٣١-فَقَدْ سَأَلَنِي سَائِلٌ هَذَا السُّؤالَ: مَا هِيَ أَسْرَارُ سُورِ الْفَاتِحَةِ؟**



•سُورَةُ الْفَاتِحَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَسْرَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلِّهِ وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْإِشَارَاتِ:

(أ)اشْتَمَلَتْ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ عَلَى الْمَحَاوِرِ الرَّئِيسَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهِيَ ثَلَاثَةُ مَحَاوِرَ:

-الْأَوَّلُ:الْعَقِيدَةُ وَالتَّوْحِيدُ:

وَيَتَمَثَّلُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣)مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}.

(الفاتحة:٢-٤).

فَ{الْحَمْدُ}تَوحِيدُ رُبُوبِيَّةٍ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُحْمَدُ عَلَى مَحَاسِنِهِ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْمُثْلَى،وَيُحْمَدُ عَلَى إِحْسَانِهِ فَهُوَ الْخَالِقُ وَالْمَالِكُ وَالْمُدَبِّرُ.

وَ{للهِ}تَوْحِيدُ أُلُوهِيَّةٍ فَالْمُسْتَحِقُّ لِلعِبَادَةِ وَحْدَهُ هُوَ اللَّهُ أَيِ الْمَأْلُوهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَ{رَبِّ الْعَالَمِينَ} بَيَانُ الرُّبُوبِيَّةِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَقَوْلُهُ:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَ(الرَّحْمَنِ) اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى يَتَضَمَّنُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ الْمُثْلَى هِيَ صِفَةُ(الرَّحْمَةِ)وَمَعْنَى الرَّحْمَنِ:ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ،

وَ{الرَّحِيمِ}اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى يَتَضَمَّنُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ الْمُثْلَى هِيَ صِفَةُ(الرَّحْمَةِ)وَمَعْنَى الرَّحِيمِ:ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ.

وَقَوْلُهُ:{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَ(مَالِك)

اسْم منْ أسْمَائه الْحُسْنَى يَتَضَمَّنُ صفَةً منْ صفَاته الْمُثْلَى هيَ صفَةُ(الْمُلْك)،فَالْمَالكُ: هُوَ مَن اتّصَفَ بصفَة الْمُلْك الّتي منْ آثَارها أنّهُ يَأمُرُ ويَنْهَى، ويُثيبُ ويُعَاقبُ، ويَتَصرّفُ بمَماليكه بجَميع أنْواع التّصرُّفات، وأضافَ الْمُلْكَ ليوم الدّين، وهُوَ يوْمُ الْقيامَة، يوْمَ يُدَانُ النّاسُ فيه بأعْمَالهمْ، خَيْرهَا وشَرّهَا، لأنّ في ذَلكَ الْيَوْم، يَظْهَرُ للخَلْق تَمَامَ الظُّهور، كَمالُ مُلْكه وعَدْله وحكْمَته، وَانْقطَاع أمْلَاك الْخَلَائق.

-الثّاني:الشّريعَةُ(عبَادَاتٌ ومُعَامَلَاتٌ):

وتَتَمَثّلُ الشّريعَةُ في قَوْل الله تَعَالَى:{إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعينُ}.(الفاتحة:٥).

-أيْ: نَخُصُّكَ وَحْدَكَ بالْعبَادَة وَالاسْتعَانَة، لأنّ تَقْديمَ الْمَعْمُول يُفيدُ الْحَصْرَ، وَهُوَ إثْبَاتُ الْحُكْم للمَذْكُور، وَنَفْيُهُ عَمّا عَدَاهُ. فَكَأنّهُ يَقُولُ:

نَعْبُدُكَ، وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ، وَنَسْتَعينُ بكَ، وَلَا نَسْتَعينُ بغَيْركَ. وقَدّمَ الْعبَادَةَ عَلَى الاسْتعَانَة، منْ بَاب تَقْديم الْعَامّ عَلَى الْخَاصّ، وَاهْتمَامًا بتَقْديم حَقّه تَعَالَى عَلَى حَقّ عَبْده.

-و { الْعبَادَةُ } اسْمٌ جَامعٌ لكُلّ مَا يُحبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ منَ الْأعْمَال، وَالْأقْوَال الظّاهرَة وَالْبَاطنَة .

-و { الاسْتعَانَةُ } هيَ الاعْتمَادُ عَلَى اللّه تَعَالَى في جَلْب الْمَنَافع، وَدَفْع الْمَضَارّ، مَعَ الثّقَة به في تَحْصيل ذَلكَ.

-وَالْقيَامُ بعبَادَة الله وَالاسْتعَانَة به هُوَ الْوَسيلَةُ للسّعَادَة الْأبَديّة، وَالنّجَاة منْ جَميع الشُّرُور، فَلَا سَبيلَ إلَى النّجَاة إلّا بالْقيَام بهمَا. -وَإنّمَا تَكُونُ الْعبَادَةُ عبَادَةً، إذَا كَانَتْ مَأخُوذَةً عَنْ رَسُول اللّه- صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- مَقْصُودًا بهَا وَجْهُ اللّه، فَبهَذَيْن الْأمْرَيْن تَكُونُ عبَادَةً.

-وَذَكَرَ { الاسْتِعَانَةَ } بَعْدَ { الْعِبَادَةِ } مَعَ دُخُولِهَا فِيهَا، لِاحْتِيَاجِ الْعَبْدِ فِي جَمِيعِ عِبَادَاتِهِ إِلَى الاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُعِنْهُ اللَّهُ، لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَا يُرِيدُهُ مِنْ فِعْلِ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي.

-الثَّالِثُ:الْقَصَصُ:

وَيَتَمَثَّلُ مُحْوَرُ الْقَصَصِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}.(الفاتحة:٦-٧).

-فَفِي الْآيَتَيْنِ إِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ لِأَنَّ الْهِدَايَةَ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مُمْتَنِعَةٌ بِدُونِ الرِّسَالَةِ،وَفِيهَا قَصَصُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ،وَقَصَصُ الطَّالِحِينَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ،وَالضَّالِّينَ الَّذِينَ تَرَكُوا الْحَقَّ عَلَى جَهْلٍ وَضَلَالٍ.

(ب)كَمَا اشْتَمَلَتِ السُّورَةُ عَلَى مَرَاتِبِ وَأَرْكَانِ الْعِبَادَةِ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ(الْمَحَبَّةُ وَالرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ):

-فَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}رُكْنُ الْمَحَبَّةِ لِأَنَّ الْحَمْدَ هُوَ ذِكْرُ الْمَحْمُودِ بِصِفَاتِ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ فَاللَّهُ تَعَالَى يُحْمَدُ عَلَى مَحَاسِنِهِ كَمَا يُحْمَدُ عَلَى إِحْسَانِهِ.

-وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} رُكْنُ الرَّجَاءِ فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَئٍ ،وَهُوَ سُبْحَانَهُ الرَّحِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَالْآيَةُ تَفْتَحُ بَابَ الرَّجَاءِ.

-وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}رُكْنُ الْخَوْفِ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ.

(ج)وَمِنْ أَسْرَارِهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّاهَا الصَّلَاةَ:





-فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-في صَحِيحِهِ برقم(395)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ:

إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ: {قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ}.

(د)وَمِنْ أَسْرَارِهَا أَنَّهَا رُقْيَةٌ:

-أَخْرَجَ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2201)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ، أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ:

وَمَا أَدْرَاكَ أَنّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمّ قَالَ: خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ. وفي رواية : بهذا الإِسْنَادِ. وَقَالَ فِي الحَدِيثِ: فَجَعَلَ يَقْرَأُ أُمّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ فَبَرَأَ الرّجُلُ}.

(هــ)وَمِنْ أَسْرَارِهَا أَنّهَا أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلِّهِ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(4703)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيد بْنِ الْمُعَلّى–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-

أَنّهُ قَالَ: مرّ بِي النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–وَأَنَا أُصَلّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتّى صَلّيْتُ ثُمّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللّهُ: {يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} ثُمّ قَالَ: أَلَا أُعَلّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ ؟فَذَهَبَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكّرْتُهُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العَالَمِينَ. هِيَ السّبْعُ الْمَثَانِي، وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الّذِي أُوتِيتُهُ}.

(و)وَمِنْ أَسْرَارِهَا أَنّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَفْضَلِ الدُّعَاءِ؛ بِطَلَبِ الْهِدَايَةِ إِلَى الصّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، كَمَا أَنّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى آدَابِ الدُّعَاءِ؛ بِالْحَمْدِ أَوّلًا، ثُمّ الثّنَاءُ، ثُمّ التّمْجِيدُ، وَإِفْرَادُ الْعُبُودِيّةِ لِلّهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ دُونَ سِوَاهُ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ التّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٤٧٧)
مِنْ حَدِيثِ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:سَمِعَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يُصَلّ عَلَى النّبِيّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– فَقَالَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{عَجِلَ هَذَا ثُمّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إِذَا صَلّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمّ لِيُصَلّ عَلَى النّبِيّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ}.

(ز)وَمِنْ أَسْرَارِهَا تَعَدُّدُ أَسْمَائِهَا:





-فمِنْ أسْمَائِهَا:(الْفَاتِحَةُ)لِأنّ اللّهَ تَعالَى افْتَتَحَ بِهَا كِتَابَهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ،(أُمُّ الْكِتَاب)لِأنّهَا أجْمَلَت الْقُرْآنَ كُلّهُ وجاءَتْ بقِيّةُ السّورِ بَعْدَهَا تُفصِّلُ مَا أجْمَلَتْهُ،(السّبْعُ الْمَثَاني)لِأنّ الْعَبْدَ يُثْنِي بِهَا عَلَى اللّهِ تَعالَى ويُكَرِّرُهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ،(الْحَمْدُ)وَهُوَ مَا ابْتَدَأتْ بِهِ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ،(الشّافِيَةُ)لِأنّها رُقْيَةٌ كمَا سبَقَ ذِكْرُهُ،(الْكَافِيَةُ) لِأنّ الصّلَاةَ لَا تَتِمُّ إلّا بِهَا ولَا تَتِمُّ بِقِرَاءَةِ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ.

(ح)ومِنْ أسْرَارِهَا أنّ أوّلَهَا رَحْمَةٌ وَأوْسَطَهَا هِدَايَةٌ وَآخِرَهَا نِعْمَةٌ، وتَتَمَثّلُ الرّحْمَةُ بِالْعَقِيدَةِ الصّافِيَةِ ومَعْرِفَةِ اللّهِ تَعالَى، أمّا الْهِدَايَةُ فتَكُونُ بِالْعِبَادَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي وَسَطِ السُّورَةِ، وَأمّا النّعْمَةُ فَفِي اتِّبَاعِ الْمَنْهَجِ السّلِيمِ وَالسّيْرِ عَلَى الطّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْقِيَامِ بِأوَامِرِ اللّهِ وهَذِهِ مِنْ أعْظَمِ النِّعَمِ الّتِي أنْعَمَ بِهَا اللّهُ تَعالَى عَلَى عِبَادِهِ.

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وَأعْلَم.



(مَاهِيَ حُقُوقُ الْجَارِ؟)

الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

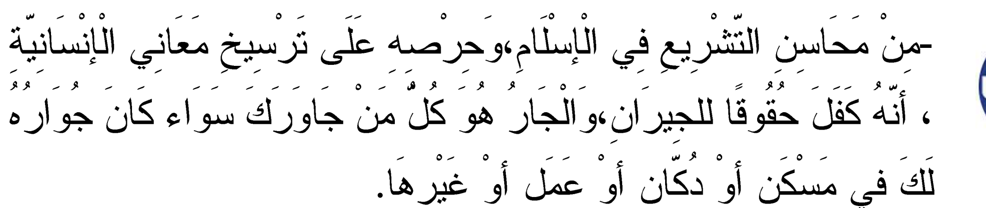
أمّا بَعْدُ:



•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْألُ:


٣٢-جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا شَيْخَنَا الْحَبِيب:مَا هِيَ حُقُوقُ الْجَارِ فِي الْإسْلَامِ؟.




-مِنْ مَحَاسِنِ التّشْرِيعِ فِي الْإسْلَامِ،وَحِرْصِهِ عَلَى تَرْسِيخِ مَعَانِي الْإنْسَانِيّةِ ، أنّهُ كَفَلَ حُقُوقًا لِلجِيرَانِ،وَالْجَارُ هُوَ كُلُّ مَنْ جَاوَرَكَ سَوَاءٌ كَانَ جُوَارُهُ لَكَ فِي مَسْكَنٍ أوْ دُكّانٍ أوْ عَمَلٍ أوْ غَيْرِهَا.

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا}.(النّساء:٣٦).

-أي:وَاعۡبُدُوا اللّهَ وَانۡقَادُوا لَهُ وَحۡدَهُ، وَلَا تَجۡعَلُوا لَهُ شَرِيكًا فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالۡعِبَادَةِ، وَأَحۡسِنُوا إِلَى الۡوَالِدَيۡنِ، وَأَدُّوا حُقُوقَهُمَا، وَحُقُوقَ الۡأَقۡرَبِينَ، وَالۡيَتَامَى وَالۡمُحۡتَاجِينَ، وَالۡجَارِ الۡقَرِيبِ مِنۡكُمۡ وَالۡبَعِيدِ، وَالرَّفِيقِ فِي السَّفَرِ وَفِي الۡحَضَرِ، وَالۡمُسَافِرِ الۡمُحۡتَاجِ، وَالۡمَمَالِيكِ مِنۡ فِتۡيَانِكُمۡ وَفَتَيَاتِكُمۡ، إِنَّ اللّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الۡمُتَكَبِّرِينَ مِنۡ عِبَادِهِ، الۡمُفۡتَخِرِينَ عَلَى النّاسِ.

-وَأَخۡرَجَ الشَّيۡخَانِ الۡبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦٠١٨)وَمُسۡلِمٌ بِرَقَمِ(٤٧)مِنۡ حَدِيثِ أَبِي هُرَيۡرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنۡهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلَّى اللّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-:{مَنۡ كَانَ يُؤۡمِنُ بِاللّهِ وَالۡيَوۡمِ الۡآخِرِ فَلَا يُؤۡذِ جَارَهُ، وَمَنۡ كَانَ يُؤۡمِنُ بِاللّهِ وَالۡيَوۡمِ الۡآخِرِ فَلۡيُكۡرِمۡ ضَيۡفَهُ، وَمَنۡ كَانَ يُؤۡمِنُ بِاللّهِ وَالۡيَوۡمِ الۡآخِرِ فَلۡيَقُلۡ خَيۡرًا أَوۡ لِيَصۡمُتۡ}.

-يُرۡشِدُنَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- فِي هَذَا الۡحَدِيثِ إِلَى التَّحَلِّي بِالۡآدَابِ وَالۡأَخۡلَاقِ الۡإِسۡلَامِيَّةِ، الَّتِي تَزِيدُ الۡأُلۡفَةَ وَالۡمَوَدَّةَ بَيۡنَ الۡمُسۡلِمِينَ، فَيُخۡبِرُ أَنَّ مَنۡ كَانَ يُؤۡمِنُ بِاللّهِ الَّذِي خَلَقَهُ إِيمَانًا كَامِلًا، وَيُؤۡمِنُ بِالۡيَوۡمِ الۡآخِرِ الَّذِي إِلَيۡهِ مَعَادُهُ وَفِيهِ مُجَازَاتُهُ بِعَمَلِهِ؛ فَلَا يُؤۡذِ جَارَهُ، بَلۡ يُكۡرِمُهُ بِالۡإِحۡسَانِ إِلَيۡهِ وَاللُّطۡفِ فِي مُعَامَلَتِهِ.

وَأَنَّ مَنۡ كَانَ يُؤۡمِنُ بِاللّهِ وَالۡيَوۡمِ الۡآخِرِ فَلۡيُكۡرِمۡ ضَيۡفَهُ، وَإِكۡرَامُ الضَّيۡفِ يَكُونُ بِطَلَاقَةِ الۡوَجۡهِ، وَطِيبِ الۡكَلَامِ، وَالۡإِطۡعَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، بِمَا حَضَرَهُ مِنۡ غَيۡرِ تَكَلُّفٍ؛ لِئَلَّا يُثۡقِلَ عَلَيۡهِ وَعَلَى نَفۡسِهِ، وَبَعۡدَ الثَّلَاثَةِ يُعَدُّ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَمِنَ الضُّيُوفِ مَنۡ يَكُونُ حَقُّهُ أَوۡلَى، كَالضَّيۡفِ الۡمُسَافِرِ، وَهُوَ الۡقَادِمُ مِنۡ بَلَدٍ آخَرَ، فَحَقُّهُ وَإِكۡرَامُهُ أَوۡلَى مِنَ الزَّائِرِ مِنَ الۡبَلَدِ نَفۡسِهِ، وَلَيۡسَ قَادِمًا مِنَ السَّفَرِ.

وَأَنّ مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ، أَيْ: يَلْتَزِمِ السُّكُوتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلَ الْخَيْرِ؛ وَذَلِكَ أَنّ الْإِنْسَانَ فِي الْأَصْلِ مَأْمُورٌ بِقَوْلِ الْخَيْرِ دَوْمًا، وَإِنّمَا نَبَّهَ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ؛ لِأَنّ آفَاتِ اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ، فَإِنّ الْمَرْءَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلّمَ، فَلْيَتَفَكَّرْ قَبْلَ كَلَامِهِ؛ فَإِنْ عَلِمَ أَنّهُ لَا يَتَرَتّبُ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ وَلَا يَجُرُّ إِلَى مُحَرّمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، فَلْيَتَكَلّمْ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا فَالسَّلَامَةُ فِي السُّكُوتِ؛ لِئَلّا يَجُرّ الْمُبَاحُ إِلَى مُحَرّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ.

-وَإِنّمَا ذَكَرَ الْيَوْمَ الْآخِرَ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللّهِ؛ لِلتّرْغِيبِ فِي تَحْصِيلِ الثّوَابِ وَالنّجَاةِ فِيهِ مِنَ الْعِقَابِ،وَلِبَيَانِ أَنّ الْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الْإِيمَانِ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ:كَفُّ الْأَذَى عَنِ الْجَارِ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ صُوَرِ الْإِيذَاءِ فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْمُنْذِرِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي التّرْغِيبِ وَالتّرْهِيبِ وَصَحّحَهُ الشّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ التّرْغِيبِ وَالتّرْهِيبِ بِرَقَمِ(٢٥٦٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، فُلَانَةُ تَصُومُ النّهَارَ وَتَقُومُ اللّيْلَ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا؟ قَالَ: هِيَ فِي النّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، فُلَانَةُ تُصَلّي الْمَكْتُوبَاتِ، وَتَصَدّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا؟ قَالَ: هِيَ فِي الْجَنّةِ}.

-وَإِيذَاءُ الْجَارِ سَبَبٌ لِلَعْنِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ النّاسِ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٥١٥٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النّبِيِّ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-يَشْكُو جَارَهُ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَاصْبِرْ فَأَتَاهُ مَرّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطّرِيقِ فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطّرِيقِ، فَجَعَلَ النّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللّهُ بِهِ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ}.

-فَالْجَارُ لَهُ حُقُوقٌ كَثِيرَةٌ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(1)-مِنْ حُقُوقِ الْجَارِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ لَهُ وَالْإِهْدَاءُ إِلَيْهِ،فَفِي الصّحِيحِ الْمُسْنَدِ لِلْوَادِعِيِّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-بِرَقَمِ(٧٩٧)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-

:أنّهُ ذَبَحَ شَاةً فَقَالَ : أَهْدَيْتُمْ لِجَارِي الْيَهُودِيِّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ:{مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ }.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (2625)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً،فَأَكْثِرْ مَاءَهَا،وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ}.

(2)-وَمِنْ حُقُوقِ الْجَارِ مَحَبَّةُ الْخَيْرِ لَهُ،فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(١٣)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٤٥)وَاللَّفْظُ لَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}.وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ:{لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}.

(3)-وَمِنْ حَقِّ الْجَارِ التَّعَاوُنُ مَعَهُ وَمُسَاعَدَتُهُ بِمَا لَا يُلْحِقُ الضَّرَرَ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2463)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟! وَاللَّهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ}.

(4)-وَمِنْ حُقُوقِ الْجَارِ حِفْظُ عَوْرَاتِهِ،وَمَنْعُ الشُّرُورِ عَنْهُ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6016)مِنْ حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرٍو–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-
{وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ}.

-وَمَا أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (4761)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:سَأَلْتُ –أَوْ سُئِلَ– رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

أيٌّ الذّنْبِ عنْدَ اللّه أكْبَرُ؟ قَال: أنْ تَجْعَلَ لِلّه ندًا وَهُوَ خَلَقَك. قُلْتُ: ثُمّ أيٌّ؟ قَال: ثُمّ أنْ تَقْتُل ولَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يطْعَم معَك. قُلت: ثُمّ أيٌّ؟ قَال: أنْ تُزَانِي بِحَلِيلَةِ جَارِك. قَالَ: ونَزَلَتْ هَذه الآيَةُ تَصدِيقًا لِقَوْلِ رسُولِ اللّهِ –صلّى اللّهُ عَلَيْه وسَلّم–:{والّذين لَا يدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ ولَا يقْتُلُونَ النفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَقِّ ولَا يزْنُونَ}.(الفرقان: ٦٨)}.

-وقَدْ طَبّقَ السّلَفُ الصّالِحُ هَذِه التّعَالِيمَ خَيْرَ تَطْبِيقٍ فَسَادتْ بيْنَهم الْمودّةُ:{فقَدْ كَانَ لِأَبِي حَنِيفَةَ– رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى– جَارٌ إِسْكَافٌ بِالْكُوفَة، يَعْمَلُ نَهَارَهُ أَجْمَع، فَإِذَا أَجَنّهُ اللّيْلُ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِه بِالْخَمْرِ ولَحمٍ أوْ سمَكٍ، فَيَطْبُخُ اللّحْمَ أوْ يَشْوِي السّمَك، حَتّى إذَا دَبّ الشّرَابُ فِيهِ رفَعَ عَقِيرَتَهُ يُنْشِدُ:

-أَضَاعُونِي وأَيّ فَتًى أَضَاعُوا

لِيَـــــــوْمِ كَرِيهَةٍ وسَدَادِ ثَغْرِ.

فَلَا يَزَالُ يَشْرَبُ ويُرَدِّدُ هَذَا الْبَيْتَ حَتّى يَغْلِبَهُ النّوْمُ.

وَكَانَ أبُو حَنِيفَةَ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى– يُصَلّي اللّيْلَ ويَسْمَعُ جَلَبَتَهُ وَإِنْشَادَه، فَفَقَدَ صَوْتَهُ لَيَالِي، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: أَخَذَهُ الْعَسَسُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ،وَهُوَ مَحْبُوسٌ،فَصَلّى الْفَجْرَ وَرَكِبَ بَغْلَتَهُ، وَمَشَى فَاسْتَأْذَنَ عَلَى الْأَمِيرِ، فَقَال:{ائْذَنُوا لَهُ، وأَقْبِلُوا بِهِ رَاكِبًا، ولَا تَدَعُوهُ يَنْزِلُ حَتّى يَطَأَ الْبِسَاطَ}، فَفُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَوَسّعَ لَهُ الْأَمِيرُ مَجْلِسَهُ، وقَالَ لَهُ:{مَا حَاجَتُك؟} فَقَالَ:{لِي جَارٌ إِسْكَافٌ أَخَذَهُ الْعَسَسُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَتَأْمُر بِتَخْلِيَتِه}، فَقَالَ:{نَعَم، وكُلُّ مَنْ أُخِذَ تِلْكَ اللّيْلَةَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا}، ثُمّ أَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِمْ أَجْمَعِينَ، فَرَكِبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَتَبِعَهُ جَارُهُ الْإِسْكَاف، فَلَمّا أَوْصَلَهُ دَارَه، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ:{أَتُرَانَا يَا فَتَى أَضَعْنَاكَ؟} قَالَ:{لَا،بَلْ حَفِظْتَ وَرَعَيْتَ، جَزَاكَ اللّهُ خَيْرًا عَنْ صُحْبَةِ الْجِوَارِ وَرِعَايَةِ الْحَقِّ، وَلِلّهِ عَلَيّ أَلّا أَشْرَبَ الْخَمْرَ أَبَدًا}،وَلَمْ يَعُدْ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ}

(انْظُرْ:شرح مقامات الحريريّ:٣/ ٣١).

•فَاللّه اللّه فِي حُقُوقِ الْجَارِ فَهِي دَلِيلُ كَمَالِ الْإِيمَانِ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،وَالْجِيرَان ثَلَاثَةُ أقْسَام:

-الْأوّلُ:جَارٌ قَرِيبٌ مُسْلِمٌ ولَه ثَلَاثَةُ حقُوقٍ:حَقُّ الْإِسْلَامِ،وَحَقُّ الْقَرَابَةِ،وحقُّ الْجِوَارِ.

-الثّانِي:جَارٌ مُسْلِمٌ ولَهُ حقّانِ:حَقُّ الْإِسْلَامِ،وحَقُّ الْجِوَارِ.

-الثّالِثُ:جَارٌ غيْرُ مُسْلِمٍ ولَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ:حَقُّ الْجِوَارِ.

•وَحَدُّ الْجَارِ لَيْسَ سَابِعَ جَارٍ كَمَا يَزْعُمُ عَوَامُّ النّاسِ بَلْ كَمَا قَالَ بَعْضُ السّلَفِ:أرْبَعُونَ بَيْتًا عَنْ يَمِينِكَ،وأرْبَعُونَ بَيْتًا عَنْ شِمَالِكَ،

وَأرْبَعُونَ بَيْتًا بَيْنَ يَدَيْكَ،وأرْبَعُونَ بَيْتًا مِنْ خَلْفِكَ.،وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

كُلُّ مَنْ يُصَلِّي مَعَكَ الْفَجْرَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ فَهُوَ جَارٌ.

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وأعْلَمُ.



(مَا هِيَ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟)

الْحَمْدُ للّهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْألُ:







•الْحَيَاةُ الدُّنْيَا يَا وَلَدِي خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللّه تَعَالَى الْقَائِل:{الّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}.(الملك:٢).

•وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا يَا ولَدِي دَارُ ابْتِلَاءٍ،فيهَا الْمَنْعُ وَفِيهَا الْعطَاء،الْمَنْعُ كَيْ نَصبِر،وَالْعَطَاءُ كَيْ نَشْكُر،فَلَا تَغْتَرّ بِمَظَاهِرِ النّاسِ فكَمْ منْ بَاسِمٍ وَخَلْفَ الْبَسْمَةِ يُخْفِي جُرُوحًا وآلَامًا لَا يَعْلَمُهَا إلّا اللّهُ تَعَالَى،وكَمْ منْ بَاك تَظُنُّ أَنّهُ يَتَأَلّمُ وَهِي دُمُوعُ جَبْرٍ وَفَرَحٍ بَعْدَ كَسْرٍ،فَاتْرُكْ مَا لَا يَعْنِيك وَانْشَغِلْ بِمَا يَعْنِيكَ،ولَا تَتَطَلّع لِمَا فِي يَدِ غَيْرِك،وَاحْمَدِ اللّهَ عَلَى قسْمَته لَكَ.

•وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا يَا ولَدِي عُمْرُهَا قَصِيرٌ،وَخَطَرُهَا يَسِيرٌ،وَأَمَلُهَا حَقِيرٌ،هِيَ بَحْرٌ هَائِجٌ مَتَلَاطِمُ الْأَمْوَاجِ غَيْرُ مُسْتَقِر،ولَا نَجَاة إلّا بِسَفِينَةٍ مُحْكَمَةٍ منَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصّالِحِ،ولِلّهِ درُّ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَّالِبِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–عِنْدَمَا قَالَ:

-إنّ للّهِ عِبَادًا فُطَنَا طَلّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُــوا الْفِتَنَا.

-نَظَرُوا فِيهَا فَلَمّا عَلِمُوا أَنّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنًا.

-جَعَلُوهَا لُجّةً وَاتّخَذُوا .صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنًا.

-وَعِنْدَمَا دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ ــ مُعَاوِيَة ــ : صِفْ لِي عَلِيّاً ؟

فَقَالَ لَهُ : أَ وَ تُعْفِينِي مِنْ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ : لَا أُعْفِيك.

فَقَالَ :كَانَ وَ اللّهِ بَعِيدَ الْمَدَى،شَدِيدَ الْقُوَى،يَقُولُ فَصلًا،وَ يَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَ تَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَ زَهْرَتِهَا ، وَ يَسْتَأْنِسُ بِاللّيْلِ وَ وَحْشَتِه.

كَانَ وَ اللّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، يُقَلّبُ كَفّهُ ، وَ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ،وَ يُنَاجِي رَبّهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللّبَاسِ مَا خَشُنَ،وَ مِنَ الطّعَامِ مَا جَشَبَ.





كَانَ وَ اللّه فينَا كَأحدنَا،يُدْنينا إذَا أَتَيْنَاه،ُو يُجيبُنَا إذَا سَأَلْنَاه،ُو كُنَّا مع دُنُوِّه منّا و قُرْبنَا منْهُ لَا نُكَلِّمُهُ لِهَيْبَته ، و لَا نَرْفَعُ أَعيُنَنَا إِلَيْهِ لِعَظَمَتِه،فَإنْ تَبَسّمَ فَعَنْ مثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُوم،يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّين

،وَ يُحبُّ الْمَسَاكِين،َلَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ في بَاطله،وَ لَا يَيْأَسُ الضّعيفَ منْ عَدْله،و أَشْهَدُ باللّه لَقَدْ رَأَيْتُهُ في بَعْضِ مَوَاقفه ، و قَدْ أَرْخَى اللّيْلُ سُدُولَهُ ، وَ غَارتْ نُجُومُهُ ، وَ هُوَ قَائمٌ في محْرَابه ، قَابضٌ عَلَى لحْيَته،يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السّليمِ ، و يَبْكي بُكَاءَ الْحَزين ، فَكَأَنّي الْآنَ أَسْمَعُهُ وَ هُوَ يَقُولُ : يَا دُنْيَا ، يَا دُنْيَا ، أَ بي تَعَرّضْت ؟ أَمْ إِلَيّ تَشَوّقْت ؟ هَيْهَاتَ ، هَيْهَات ، غُرّي غَيْري ، لَا حَاجَةَ لي فيك ، قَدْ أَبَنْتُك ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لي فيهَا ، فَعُمُرُك قَصيرٌ ، و خَطَرُك يَسيرٌ ، وَ أَمَلُك حَقيرٌ،آه آه منْ قلّة الزّاد،و بُعْد السّفَر ، و وَحْشَة الطّريق ، وَ عظَمِ الْمَوْرد.

فَوَكَفَتْ دُمُوعُ مُعَاوِيَةَ عَلَى لحْيَته فَنَشَفَهَا بكُمّه،وَ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاء.

ثُمّ قَالَ ــ معاوية ــ : كَانَ وَ اللّه أَبُو الْحَسَنِ كَذَلكَ ، فَكَيْفَ كَانَ حُبُّك إِيّاهُ ؟

قَالَ : كَحُبّ أُمّ مُوسَى لمُوسَى ، وَ أَعْتَذرُ إِلَى اللّه منَ التّقْصير.

قَالَ : فَكَيْفَ صَبْرُكَ عَنْهُ يَا ضرَارُ ؟

قَالَ : صَبْرَ مَنْ ذُبحَ وَاحدُهَا عَلَى صَدْرِهَا ، فَهيَ لَا تَرْقَى عَبْرَتُهَا ، وَ لَا تَسْكُنُ حَرَارَتُهَا ، ثُمّ قَامَ و خَرَجَ وَ هُوَ بَاك}.

(انْظُرْ:حلية الأولياء لأبي نُعيم ج١ص:٨٤-٨٥) .

-منْ أَجْلِ ذَلكَ وَصفَهَا اللّهُ تَعَالَى في كتَابه بالْمَاءِ فَقَالَ تَعَالَى:{وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا}.(الكهف:٤٥).

-قَالَ الْعَلّامَةُ السّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-في تَفْسيرِهَا: -{يَقُولُ تَعَالَى لنَبيّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- أَصلًا، ولِمَنْ قَامَ بورَاثَتِهِ بَعْدَهُ تَبَعاً: اضْرِبْ للنّاسِ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لِيَتَصَوَّرُوهَا حَقَّ التَّصَوُّرِ، وَيَعْرِفُوا ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، فَيَقِيسُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّارِ الْبَاقِيَة، وَيُؤْثِرُوا أَيَّهُمَا أَوْلَى بِالْإِيثَارِ. وَأَنَّ مَثَلَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ الْمَطَرِ، يَنْزِلُ عَلَى الْأَرْضِ، فَيَخْتَلِطُ نَبَاتَهَا، تُنْبِتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، فَبَيْنَمَا زَهْرَتُهَا وَزُخْرُفُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، وَتُفْرِحُ الْمُتَفَرِّجِينَ، وَتَأْخُذُ بِعُيُونِ الْغَافِلِينَ، إِذْ أَصْبَحَتْ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، فَذَهَبَ ذَلِكَ النَّبَاتُ النَّاضِرُ، وَالزَّهْرُ الزَّاهِرُ، وَالْمَنْظَرُ الْبَهِيُّ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ غَبْرَاءَ تُرَابًا، قَدِ انْحَرَفَ عَنْهَا النَّظَرُ، وَصَدَفَ عَنْهَا الْبَصَرُ، وَأَوْحَشَتِ الْقَلْبَ، كَذَلِكَ هَذِهِ الدُّنْيَا، بَيْنَمَا صَاحِبُهَا قَدْ أُعْجِبَ بِشَبَابِهِ، وَفَاقَ فِيهَا عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَتْرَابِهِ، وَحَصَّلَ دِرْهَمَهَا وَدِينَارَهَا، وَاقْتَطَفَ مِنْ لَذَّتِهِ أَزْهَارَهَا، وَخَاضَ فِي الشَّهَوَاتِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِيهَا سَائِرَ أَيَّامِهِ، إِذْ أَصَابَهُ الْمَوْتُ أَوِ التَّلَفُ لِمَالِهِ، فَذَهَبَ عَنْهُ سُرُورُهُ، وَزَالَتْ لَذَّتُهُ وَحُبُورُهُ، وَاسْتَوْحَشَ قَلْبُهُ مِنَ الْآلَامِ وَفَارَقَ شَبَابَهُ وَقُوَّتَهُ وَمَالَهُ، وَانْفَرَدَ بِصَالِحِ، أَوْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِ، هُنَالِكَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ، حِينَ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَيَتَمَنَّى الْعَوْدَ إِلَى الدُّنْيَا، لَا لِيَسْتَكْمِلَ الشَّهَوَاتِ،بَلْ لِيَسْتَدْرِكَ مَا فَرَّطَ مِنْهُ مِنَ الْغَفَلَاتِ، بِالتَّوْبَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فَالْعَاقِلُ الْجَازِمُ الْمُوَفَّقُ، يَعْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ هَذِهِ الْحَالَةَ، وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: قَدِّرِي أَنَّكِ قَدْ مُتِّ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَمُوتِي، فَأَيُّ: الْحَالَتَيْنِ تَخْتَارِينَ؟ الِاغْتِرَارَ بِزُخْرُفِ هَذِهِ الدَّارِ، وَالتَّمَتُّعَ بِهَا كَتَمَتُّعِ الْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ، أَمِ الْعَمَلَ، لِدَارٍ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ؟ فَبِهَذَا يُعْرَفُ تَوْفِيقُ الْعَبْدِ مِنْ خِذْلَانِهِ، وَرِبْحُهُ مِنْ خُسْرَانِهِ}.

•وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا يَا وَلَدِي عَرَضٌ زَائِلٌ يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ،

وَالْمَتَاعُ فِيهَا قَلِيلٌ،وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ إِلَى وَصْفِهَا،وَكَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَهَا،أَذْكُرُ مِنْهَا:

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْمُنْذِرِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِرَقَمِ(٧٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى

اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ-:{الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ،مَلْعُونٌ مَا فِيهَا،إلّا ذِكْرَ اللّهِ وَ مَا وَالَاهُ ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلّمًا}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرَقَمِ(٢٣٢٠) مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السّاعِدِيّ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٤٦٧)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصّالِحَةُ}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٤١٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:

:أَخَذَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- بِمَنْكِبِي، فَقَالَ:{كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمٍ(٢٣٧٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

:{نَامَ رَسُولُ اللّهِ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللّهِ لَوِ اتّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً فَقَالَ:{مَا لِي وَ مَا لِلدُّنْيَا ، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمّ رَاحَ وَتَرَكَهَا}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٧٤٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{إِنّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنّ اللّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتّقُوا الدُّنْيَا

وَاتّقُوا النّسَاءَ، فإنّ أَوّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشّارٍ: لِينْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٩٥٦)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-}:الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنّةُ الْكَافِرِ}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٨٠٧)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النّارِ صَبْغَةً، ثُمّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرّ بِكَ شِدّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللّهِ يَا رَبِّ مَا مَرّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدّةً قَطُّ}.

-وَأَحَادِيثُ الزُّهْدِ لَيْسَ مَعْنَاهَا تَرْكُ الدُّنْيَا بَلْ تَحْصِيلُهَا بِالطُّرُقِ الْمُبَاحَةِ الْمُتَاحَةِ وَجَعْلُهَا فِي الْيَدِ لَا فِي الْقَلْبِ،وَالتّمَتّعُ بِهَا دُونَ سَرَفٍ أَوْ تَبْذِيرٍ،وَاسْتِخْدَامُهَا فِي نُصْرَةِ الدِّينِ وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ وَإِصْلَاحِهَا،وَرَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ،فَنِعْمَ الْمَالُ الصّالِحُ مَعَ الْعَبْدِ الصّالِحِ،فَضَابِطُ الزُّهْدِ الْبُعْدُ عَنِ الْحَرَامِ،لِذَا قَالَ اللّهُ تَعَالَى:

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.(الأعراف:٣٢).

•وَأَخْتِمِ حَدِيثِي مَعَكَ يَا وَلَدِي عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِوَصْفِهَا فِي ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ:الْحَيَاةُ الدُّنْيَا:{تَغُرُّ ، تَضُرُّ ، تَمُرُّ}،فَكُنْ يَا وَلَدِي مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا،فَالْيَوْمِ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ،وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ،وَخُذْ مِنْ شَبَابِكَ لِهَرَمِكَ،وَمِنْ غِنَاكَ لِفَقْرِكَ، وَمِنْ فَرَاغِكَ لِشُغْلِكَ،وَمِنْ صِحّتِكَ لِمَرَضِكَ،وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.





•هَذَا وَاللَّهُ أعْلَى وأعْلَم.



(هَلْ الْأصْلُ في الزّوَاجِ التّعَدّدُ؟)

الْحَمْدُ للّه وَحْدَه،والصلّاةُ وَالسّلَامُ علَى مَنْ لَا نَبيّ بَعْدَه.

أمّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائلٌ يَسْألُ:



٣٤-أحْسَنَ اللَّهُ إليْكُمْ شَيْخَنَا :هَلْ الْأصْلُ فِي الزَّوَاجِ التَّعَدُّدُ؟.

جواب

.-يَرَى بَعْضُ أهْلِ الْعِلْمِ أنّ الْأصْلَ فِي الزّوَاجِ التّعَدُّدُ،غَيْرَ أنّ قَوْلَهُمْ لَا يَتّفِقُ مَعَ الْأدِلّة،فَتَعَدُّدُ الزّوْجَاتِ مُبَاحٌ وَعِنْدَ الْحَاجَةِ مَعَ التّقَيُّدِ بِالْعَدْلِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى النّفَقَة.

-قَالَ الْعَلّامَةُ الشّيْخُ مُحَمّدٌ الْأمِينُ الشّنْقِيطِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي أضْوَاءِ الْبَيَانِ-:{فَالْقُرْآنُ أبَاحَ تَعَدُّدَ الزّوْجَاتِ لِمَصْلَحَةِ الْمَرْأةِ فِي عَدَمِ حِرْمَانِهَا مِنَ الزّوَاجِ، وَلِمَصْلَحَةِ الرّجُلِ بِعَدَمِ تَعَطُّلِ مَنَافِعِهِ فِي حَالِ قِيَامِ الْعُذْرِ بِالْمَرْأةِ الْوَاحِدَةِ، وَلِمَصْلَحَةِ الْأمّةِ لِيَكْثُرَ عَدَدُهَا فَيُمْكِنُهَا مُقَاوَمَةُ عَدُوّهَا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ تَشْرِيعُ حَكِيمٍ خَبِيرٍ لَا يَطْعَنُ فِيهِ إلّا مَنْ أعْمَى اللّهُ بَصِيرَتَهُ بِظُلُمَاتِ الْكُفْرِ. وَتَحْدِيدُ الزّوْجَاتِ بِأرْبَعٍ تَحْدِيدٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ،وَهُوَ أمْرٌ وَسَطٌ بَيْنَ الْقِلّةِ الْمُفْضِيَةِ إلَى تَعَطُّلِ بَعْضِ مَنَافِعِ الرّجُلِ، وَبَيْنَ الْكَثْرَةِ الّتِي هِيَ مَظَنّةُ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الزّوْجِيّةِ لِلْجَمِيعِ. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللّهِ تَعَالَى}. انتهى.

-فَالّذِي يَنْبَغِي أنْ نَنْظُرَ إلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَسْألَةِ هُوَ حَاجَةُ الْإنْسَانِ





، وَحَالُهُ ، وَظُرُوفُهُ.

فَمَنْ كَانَ لَا يعفُّه واحِدَةٌ ، أوْ يَحْتَاجُ إِلَى الزّوَاجِ بِأكْثَرِ مِنْ وَاحِدَةٍ ، لِسَبَبٍ أوْ لِآخَرَ ، فَلَا شَكّ أنّ التّعَدّدَ فِي حَقّهِ : أفْضَلُ ، وَآكدُ ، ويَتَفَاوَتُ ذَلِكَ بِحَسَبِ حَالِهِ ، وَظَرفِهِ الّذي يَعيشُهُ.

وَأمّا فِي حَالِ السّعَةِ ، وَاستِغْنَاءِ الْمَرْءِ بِزَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ ، وتَعَفّفه بِهَا : فَالْأفْضَلُ،وَالْأوْلَى لَهُ : أنْ يَقْتَصِرَ عَلَى زَوْجَةٍ واحدَةَ تُعفُّهُ فِي نَفْسِه ، وَتُعِينُهُ عَلَى أمْرِ دِينِه وَدُنْيَاهُ.

ثُمّ يُنْظَرُ إِلَى التّعَدّدِ بَعْدَ ذَلِكَ،بِاعْتِبَارِهِ مِنَ الْأمُورِ الْمُبَاحَةِ الّتِي وَسّعَ الشّرْعُ فِيهَا عَلَى الْعِبَادِ ، إلّا أنّهُ لَيْسَ مِنَ السُّنَنِ الّتِي يُنْدَبُ النّاسُ إِلَى فِعْلِهَا مُطْلَقًا فِي جَمِيعِ الظّرُوفِ وَالْأحْوَالِ.

وَالْقَوْلُ بِاسْتِحْبَابِ الاقْتِصَارِ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ هُوَ مَذْهَبُ كَثِيرٍ مِنْ أهْلِ الْعِلْمِ.

-قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعُمْرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي :الْبَيَانِ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشّافِعِيّ:١١/١٨٩ :{قَالَ الشّافِعِيُّ:

وَأحبُّ لَهُ أنْ يَقْتَصِرَ عَلَى وَاحِدَةٍ وَإِنْ أُبِيحَ لَهُ أكْثَرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَإِنْ خِفْتُمْ ألّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى ألّا تَعُولُوا }.

فَاعْتَرَضَ ابْنُ دَاوُدَ عَلَى الشّافِعِيّ، وَقَالَ : لِمَ قَالَ الاقْتِصَارَ عَلَى وَاحِدَةٍ أفْضَل ، وَقَدْ كَانَ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-جَمَعَ بَيْنَ زَوْجَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَلَا يَفْعَلُ إلّا الْأفْضَلَ ،وَلِأنّهُ قَالَ :{ تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا }؟

فَالْجَوَابُ : أنّ غَيْرَ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-إِنّمَا كَانَ الْأفْضَلَ فِي حَقّهِ الاقْتِصَارُ عَلَى وَاحِدَةٍ ؛ خَوْفًا مِنْهُ أنْ لَا يَعْدِلَ ، فَأمّا النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- : فَإِنّهُ كَانَ يُؤْمَنُ ذَلِكَ فِي حَقّهِ.

وَأمّا قَوْلُهُ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- : {تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا} فَإِنَّمَا نَدْبٌ إِلَى النّكَاحِ لَا إِلَى الْعَدَدِ }.انتهى.

-وَقَالَ الْمرْدَاوِيُّ الْحَنْبَلِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي الْإِنْصَافِ:٨/ ١٦ : {وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا : أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى وَاحِدَةٍ ، إنْ حَصَلَ بِهَا الْإِعْفَافُ ، عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ الْمَذْهَبِ، قَالَ ابْنُ خَطِيبِ السَّلَامِيَّةِ : جُمْهُورُ الْأَصْحَابِ اسْتَحَبُّوا أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى وَاحِدَةٍ}. انتهى.

-وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَجَّاوِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي كَشافِ الْقِنَاعِ :١١/١٤٨:

{وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى وَاحِدَةٍ إنْ حَصَلَ بِهَا الْإِعْفَافُ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ التَّعَرُّضِ لِلْمُحَرَّمِ ، قَالَ تَعَالَى : {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ } ، وقَالَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إلَى إحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ} رَوَاهُ الْخَمْسَةُ}.انْتَهَى.

-وَقَالَ جَمَالُ الدِّينِ الرِّيْمِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٢ هـ) فِي: الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ فِي مَعْرِفَةِ اخْتِلَافِ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ

:2/195:{ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَكَافَّةِ الْعُلَمَاءِ : يَجُوزُ لِلحُرِّ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ أَرْبَعِ زَوْجَاتٍ حَرَائِر، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعٍ ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى وَاحِدَةٍ لَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا!}. انْتَهَى.

-وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِين-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي:الشَّرْحِ الْمُمْتِعِ:

:12/4{وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ يُسَنُّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى وَاحِدَةٍ ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَسْلَمُ لِلذِّمَّةِ مِنَ الْجَوْرِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فَقَدْ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَدْلَ بَيْنَهُمَا ، وَلِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى مَنْعِ تَشَتُّتِ الْأُسْرَةِ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ أَكْثَرُ مِن امرَأَةٍ تَشَتَّتَت الْأُسْرَةُ ، فَيَكُون أَوْلَادٌ لِهَذِهِ الْمَرأَةِ ، وَأَوْلَادٌ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَرُبَّمَا يَحْصُلُ بَيْنَهُم تَنَافُرٌ ، بِنَاء عَلَى التَّنَافُرِ الَّذِي بَيْنَ الْأُمَّهَاتِ ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَلِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِهَا مِنَ النَّفَقَةِ وَغَيْرِهَا ، وَأَهْوَنُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ مُرَاعَاةِ الْعَدْلِ ، فَإِنَّ مُرَاعَاةَ الْعَدْلِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، يَحْتَاجُ إِلَى مُعَانَاةٍ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ} انتهى.

•ومَنْ ذهبَ إلَى أنّ الْأصلَ فِي الزّواجِ التّعَدُّدُ واستَدَلّ بقَولِ اللّه تَعالَى:{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ}.(النّساء:٣).

-فَاستِدْلَالُه لَا يَصِحُّ وذَلِكَ لأنّ الْأمْرَ الْوارِدَ فِي هَذِه الْآيَةِ لِلإباحَةِ لَا للنّدْبِ ، وَسَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ يدُلُّ علَى أنّهُ لَا يُقْصَدُ مِنهَا الْحَثُّ علَى التّعَدُّدِ ونَدْبِهِ ، بَلِ الْإخْبَارِ بِكَوْنِهِ مُباحًا مُتَاحًا لِمَنْ أرَادَ .

-فَسَبَبُ نزُولِ الْآيَةِ : أنّهُمْ كَانُوا يرْغَبُونَ فِي الزّوَاجِ بِالْيَتِيماتِ مِنَ النّسَاءِ ، مَعَ بَخْسِهِنّ حَقّهُنّ فِي الْمَهرِ ، فَأمَرَهُمْ سبْحَانَهُ وتَعَالَى أنْ يُقْسِطُوا لَهُنّ فِي الْمُهُورِ كَسَائِرِ النّسَاءِ ، وإلّا فَلْيَتَزَوّجُوا غَيْرَهُنّ مِنَ النّسَاءِ ، وَهُنّ كَثِيرَاتٌ.

-أيْ : إذَا لَمْ تُرِدْ أنْ تُقْسِطَ لِهذِهِ الْيَتِيمَةِ حقّهَا فِي الْمَهْرِ كَامِلًا ،فَاتْرُكْهَا،فَقَدْ أحلَلْتُ لَكَ أرْبَعًا مِنَ النّسَاءِ.

-وَسَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ مَا -أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ برَقَمِ(٢٤٩٤)مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-أنّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-عَنْ قَوْلِ اللّه تعَالَى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا تُقْسِطُوا} إلى {وَرُبَاعَ} (النّساء: ٣)، فَقَالَتْ: {يَا ابْنَ أُخْتِي، هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا تُشَارِكُهُ فِي مَالِه، فيُعْجِبُهُ مَالُهَا وجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ ولِيُّهَا أنْ يَتَزَوّجَهَا بِغَيْرِ أنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا أنْ يَنْكِحُوهُنّ إلّا أنْ يُقْسِطُوا لَهُنّ، وَيَبْلُغُوا بِهِنّ أعْلَى سُنّتِهِنّ مِنَ الصّدَاقِ، وأُمِرُوا أنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النّسَاءِ سِوَاهُنّ. قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمّ إنّ النّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّم- بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، فَأنْزَلَ اللّهُ: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النّسَاءِ} إلَى قَوْلِه: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنّ} (النّساء: ١٢٧)، وَالّذِي ذَكَرَ اللّهُ أنّهُ يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ الْآيَةُ الْأُولَى الّتِي قَالَ فِيهَا: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النّسَاءِ}.(النّساء:





٣). قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللَّه في الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ}.(النِّساء: ١٢٧)، يَعْنِي هِيَ رَغْبَةُ أحدِكُمْ لِيَتِيمَتِه الَّتِي تَكُونُ فِي حَجْرِه حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالجَمَالِ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ إلَّا بِالْقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهِنَّ}.

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



(مَا هِيَ آدَابُ الصِّيَامِ؟)

الْحَمْدُ للَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:



•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:

٣٥-بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ شَيْخَنَا: مَا هِيَ آدَابُ الصِّيَامِ؟-

•لِلصِّيَامِ آدَابٌ وَسُنَنٌ كَثِيرَةٌ نَذْكُرُ مِنْهَا:

-(1)تَعْجِيلُ الْفِطْرِ وَتَأْخِيرُ السُّحُورِ:

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِه-كِتَابُ الصَّوْمِ-بَاب تَعْجِيلُ الإفْطَارِ بِرَقَمِ(١٨٥٦)مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ:

{لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ}.

•وَأخْرَجَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ–أيْضاً–فِي صَحِيحِه–كِتَابُ الصوْمِ–بَاب بَرَكَةِ السَّحُورِ مِنْ غَيْرِ إيجَاب برِقَمِ(١٨٢٣)مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ– قَالَ :قَالَ النّبِيُّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{تَسحّرُوا فَإنّ فِي السّحُورِ بَرَكَةً}.

•وَالْبَرَكَةُ فِي السُّحُورِ تَحْصُلُ بِجِهَاتٍ مُتَعَدّدَةٍ ، وَهِيَ اتّبَاعُ السُّنّة ، وَمُخَالَفَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَالتّقَوّي بِهِ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَالزّيَادَةُ فِي النّشَاطِ ، وَمُدَافَعَةُ سُوءِ الْخُلُقِ الّذِي يُثِيرُهُ الْجُوعُ ، وَالتّسَبُّبُ بِالصّدَقَةِ عَلَى مَنْ يَسْأَلُ إِذْ ذَاكَ أَوْ يَجْتَمِعُ مَعَهُ عَلَى الْأَكْلِ ، وَالتّسَبُّبُ لِلذّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَقْتَ مَظِنّةِ الْإِجَابَةِ ، وَتَدَارُكُ نِيّةِ الصّوْمِ لِمَنْ أَغْفَلَهَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ .

•وَأخْرَجَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ–أيْضاً–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ الصّوْمِ–بَاب قَدْرِ كَمْ بَيْنَ السّحُورِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ بِرَقَمِ(١٨٢١)مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ –قَالَ:

{تَسحّرْنَا مَعَ النّبِيِّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– ثُمّ قَامَ إِلَى الصّلَاةِ قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسّحُورِ؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً}.

•وَأخْرَجَ الإمَامُ أحْمَدُ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي الْمُسْنَدِ–مُسْنَدُ الأنْصَارِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ–حَدِيث أبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–بِرَقَمِ(٢٠٨٠٥)عَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللّهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:

{لَا تَزَالُ أُمّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجّلُوا الْإِفْطَارَ وَأَخّرُوا السُّحُورَ}.

•قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي الْفَتْحِ"ج٢ص٢٣٤":"

"قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : أَحَادِيثُ تَعْجِيلِ الْإِفْطَارِ وَتَأْخِيرِ السُّحُورِ صِحَاحٌ مُتَوَاتِرَةٌ . وَعِنْدَ عَبْدِ الرّزّاقِ وَغَيْرِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيّ قَالَ : " كَانَ أَصْحَابُ مُحَمّدٍ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – أَسْرَعَ النّاسِ ، إِفْطَارًا وَأَبْطَأَهُمْ سُحُورًا . "





•فَالْحِرْصُ عَلَى سُنَّةِ تَعْجِيلِ الْفِطْرِ عِنْدَ تَحَقُّقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ،وَتَأْخِيرِ السَّحُورِ سَبَبٌ لِزِيَادَةِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ.

-(2)الْفِطْرُ عَلَى رُطَبَاتٍ أَوْ تُمَيْرَاتٍ أَوْ حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ:

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ–فِي سُنَنِهِ–كِتَابُ الصَّوْمِ –بَاب مَاجَاءَ مَايُسْتَحَبُّ عَلَيْهِ الإِفْطَارُ بِرَقَمِ(٦٩٦)مِنْ حَدِيث

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ :{كَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطَبَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ}) .وصحّحه الشّيخُ الألبانيُّ في صحيح سنن التّرمذيّ.)

•وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِفْطَارِ بِالرُّطَبِ ، فَإِنْ عُدِمَ فَبِالتَّمْرِ فَإِنْ عُدِمَ فَبِالْمَاءِ . قَالَ الْقَارِي فِي الْمِرْقَاة :

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ : السُّنَّةُ بِمَكَّةَ تَقْدِيمُ مَاءِ زَمْزَمَ عَلَى التَّمْرِ أَوْ خَلْطُهُ بِهِ فَمَرْدُودٌ بِأَنَّهُ خِلَافُ الِاتِّبَاعِ وَبِأَنَّهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صَامَ عَامَ الْفَتْحِ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ خَالَفَ عَادَتَهُ الَّتِي هِيَ تَقْدِيمُ التَّمْرِ عَلَى الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ لَنُقِلَ،انْتَهَى .

)انظر:تحفة الأحوذيّ للمباركفوريّ كتاب الصّوم ص:٣١٢).

-(3)الدُّعَاءُ عِنْدَ الإِفْطَارِ:

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ أَبو دَاوُد–رَحِمَهُ اللهُ–فِي سُنَنِهِ–كِتَابُ الصَّوْمِ–بَاب الْقَوْلِ عِنْدَ الإِفْطَارِ بِرَقَمِ(٢٣٥٧)مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–قَالَ :{كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –إِذَا أَفْطَرَ قَالَ :ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ}.(والحديث حسنّه الدّارقُطنيّ).

•وَالظَّمَأُ هُوَ: الْعَطَشُ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا مِنْ قَبْلُ بِسَبَبِ الصِّيَامِ، وَهُوَ يَذْهَبُ بِشُرْبِ الْمَاءِ.

•وَقَوْلُهُ: (وَابْتَلّتِ الْعُرُوقُ) يَعْنِي: الّتِي كَانَتْ قَدْ يَبَسَتْ بِسَبَبِ الإمْسَاكِ وَالامْتِنَاعِ عَنِ الأكْلِ وَالشُّرْبِ.

•وَقَوْلُهُ: (وَثَبتَ الأجْرُ إنْ شَاءَ اللهُ) يَعْنِي: أنّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ قَدْ تَمّ وَانْتَهى، وَأنّ الأجْرَ قَدْ حَصَلَ، وَهَذَا لَيْسَ دُعَاءً وَإنّمَا هُوَ إخْبَارٌ؛ لأنّ الْجُمَلَ قَبْلَهُ كُلّهَا إخْبَارٌ.

•وَقَوْلُهُ: (إنْ شَاءَ اللهُ) يَعْنِي: حَتّى لا يَكُونُ الإنْسَانُ جَازِماً بِالشّيءِ، وَلَيْسَ الأمْرُ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ مِنْ أنّ الْجَزَاءَ إنّمَا هُوَ عِوَضٌ عَنِ الْعَمَلِ وَأنّهُ لَيْسَ هُنَاكَ فَضْلٌ، بَلِ الْفَضْلُ للهِ عَزّ وَجَلّ فِي الْجَزَاءِ عَلَى الأعْمَالِ، وَلَيْسَت الْقَضِيّةُ قَضِيّةَ مُعَاوَضَةٍ بَيْنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ وَالنّاسِ، بَلِ اللهُ مُتَفَضّلٌ عَلَيْهِمْ بِالأجْرِ وَالثّوَابِ ،كَمَا أنّهُ هُوَ الْمُتَفَضّلُ عَلَيْهِمْ بِالْعَمَلِ الّذِي كَانَ سَبَباً فِي الأجْرِ وَالثّوَابِ، فَاللهُ عَزّ وَجَلّ تَفَضّلَ عَلَيْهِمْ بِالتّوْفِيقِ لِلعَمَلِ، وَتَفَضّلَ عَلَيْهِمْ بِالْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ، فَلِلّهِ الْفَضْلُ أوّلاً وَآخِراً عَلَى التّوْفِيقِ لِلأعْمَالِ الصّالِحَةِ، وَعَلَى حُصُولِ الأعْمَالِ الصّالِحَةِ.

•وَأخْرَجَ الإمَامُ أحْمَدُ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي مُسْنَدِه–مَسَانِيدُ الْمُكْثِرِينَ–مُسْنَدِ أبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–بِرَقَمِ(٨٠٣٠)عَنْ سعدِ بْنِ عُبَيْدٍ، حَدّثَنَا أبُو الْمُدِلّةِ مَوْلَى أُمّ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعَ أبَا هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– يَقُولُ:قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إنّا إذَا رَأَيْنَاكَ! رَقّتْ قُلُوبُنَا، وَكُنّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ، أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ! قَالَ:{لَوْ تَكُونُونَ – أَوْ قَالَ:

لَوْ أَنّكُمْ تَكُونُونَ – عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَجَاءَ اللّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ،قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ،وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمْ لَا يَبْؤُسُ، وَيَخْلُدْ لَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ. ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ:

الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ – عَزَّ وَجَلَّ – :

(وَعِزَّتِي! لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ}.(وَالْحديث صَحّحه شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند) .

•وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ بِرَقَمِ(٢٥٢٥):{وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ}،وَصَحَّحَهَا الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ.

(4)كَثْرَةُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْحِرْصُ عَلَى التَّدَبُّرِ.

(5)الْجُودُ ،وَالْكَرَمُ ،وَكَثْرَةُ النَّفَقَةِ، وَتَفْطِيرُ الصَّائِمِينَ.

(6)كَفُّ اللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ عَنِ الْمَحَارِمِ.

(7)تَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَإِحْيَاؤُهَا بِالْعِبَادَةِ.

(8)الْحِرْصُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ–صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ–فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ:

•فَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي سُنَنِهِ–كِتَابُ الصَّوْمِ–بَاب مَا جَاءَ فِي قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِرَقَمِ(٨٠٦)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ:

{صُمْنَا مَعَ رَسُولِ الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنْ الشَّهْرِ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا فِي السَّادِسَةِ وَقَامَ بِنَا فِي الْخَامِسَةِ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟

فَقَالَ: إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثٌ مِنْ الشَّهْرِ وَصَلَّى بِنَا فِي الثَّالِثَةِ وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ فَقَامَ بِنَا حَتَّى تَخَوَّفْنَا الْفَلَاحَ قُلْتُ لَهُ وَمَا الْفَلَاحُ قَالَ السُّحُورُ}.

•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.







مَا هِيَ شُرُوطُ الصِّيَامِ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:



٣٦-جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا شَيْخَنَا :مَا هِيَ شُرُوطُ الصِّيَامِ؟



•تَنْقَسِمُ شُرُوطُ الصِّيَامِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

•أَوَّلًا: شُرُوطُ الْوُجُوبِ وَهِيَ :

(1) الْبُلُوغُ:

فَلَا يَجِبُ الصِّيَامُ عَلَى الصَّبِيِّ ، لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(١١٨٧)مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَرَادَ أَنْ يَرْجُمَ مَجْنُونَةً فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-:مَا لَكَ ذَلِكَ قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ:{ رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الطِّفْلِ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ أَوْ يَعْقِلَ فَأَدْرَأَ عَنْهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ}.

-وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الصَّبِيِّ الْمُمَيِّزِ-وَسِنُّ التَّمْيِيزِ سَبْعُ سِنِينَ عِنْدَ غَالِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ- أَمْرُهُ بِالصَّوْمِ إِذَا أَطَاقَهُ، وَيُعَاقِبُهُ عَلَيْهِ إِذَا بَلَغَ عَشْرًا وَكَانَ مُطِيقًا لَهُ كَالصَّلَاةِ لِيَعْتَادَهُ.

(2)الْقُدْرَةُ:

فَلَا يَجِبُ عَلَى الْعَاجِزِ عَنْهُ لِكِبَرٍ أَوْ مَرَضٍ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:{أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}(البقرة:١٨٤.)

-فَكَبِيرُ السِّنِّ لَهُ رُخْصَةُ الْفِطْرِ وَيُطْعِمُ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مُسْكِينًا، وَالْمَرِيضُ لَهُ رُخْصَةُ الْفِطْرِ وَالْقَضَاءِ إِذَا كَانَ الْمَرَضُ مُؤَقَّتًا، وَإِطْعَامُ مُسْكِينًا عَنْ كُلِّ يَوْمٍ إِذَا كَانَ مَرَضُهُ مُزْمِنًا.

(3)الْإِقَامَةُ:

فَلَا يَجِبُ عَلَى الْمُسَافِرِ بَلْ لَهُ أَنْ يُفْطِرَ وَيَقْضِي، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}.(البقرة:١٨٤).

•ثَانِيًا: شُرُوطُ الصِّحَّةِ وَهِيَ :

(1) النِّيَّةُ:

-لِمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٥٤)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(1907)مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ}.

-وَتَكُونُ مِنَ اللَّيْلِ لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِرَقَمِ(٢٤٥٤)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ}.

(2)التَّمْيِيزُ:

-فَلَا يَصِحُّ مِنْ الصَّبِيِّ غَيْرِ الْمُمَيِّزِ-الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ سَبْعَ سِنِينَ- لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِمَقْصِدِ الْعِبَادَاتِ وَمَعْنَاهَا.

(3)الزَّمَانِ الْقَابِلِ لِلصَّوْمِ:

-فَلَا يَصِحُّ فِي الْأَيَّامِ الْمُحَرَّمَةِ كَيَوْمِ الْعِيدِ،وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ فَيَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعَ فَرُخِّصَ لَهُ فِي صِيَامِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَهِيَ الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ وَالثَّالِثُ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ،كَمَا يَحْرُمُ صِيَامُ يَوْمِ الشَّكِّ وَهُوَ يَوْمُ الثَّلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ إِذَا احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَمَضَانَ.

•ثَالِثًا:شُرُوطُ الْوُجُوبِ وَالصِّحَّةِ مَعًا:

-فَلَا يَجِبُ الصَّوْمُ وَلَا يَصِحُّ بِدُونِهَا وَهِيَ:

(1)الْإِسْلَامُ:

-فَالْكَافِرُ الْأَصْلِيُّ وَالْمُرْتَدُّ عَمَلُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(.الزمر:٦٥).

(2) الْعَقْلُ :

-فَالْقَلَمُ مَرْفُوعٌ عَنِ الْمَجْنُونِ،لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(١١٨٧)مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ- أَرَادَ أَنْ يَرْجُمَ مَجْنُونَةً فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:مَا لَكَ ذَلِكَ قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ:

{ رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الطِّفْلِ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ أَوْ يَعْقِلَ فَأَدْرَأَ عَنْهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ}.

(3)الطَّهَارَةُ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ:

-فَالْحَائِضُ وَالنُّفَسَاءُ يَحْرُمُ عَلَيْهِمَا الصِّيَامُ وَيَجِبُ عَلَيْهِمَا الْقَضَاءُ،لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٣١٧)مِنْ حَدِيثِ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةِ-رَضِيَ

اللّهُ تعَالَى عَنْهَا-:- أنّ امْرَأةً سَألتْ عَائشَةَ : أتَقْضِي الْحَائضُ الصلّاَةَ إذَا طَهُرَتْ؟قَالَتْ: {أحَرَورِيّةٌ أنْت كُنّا نَحيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ثُمّ نَطْهُرُ فَيَأمُرُنَا بِقَضَاءِ الصّوْمِ ، ولَا يَأمُرُنَا بِقَضَاءِ الصلّاَةِ}.

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وأعْلَمُ.



(وَقْتُ قِيَامِ اللّيْلِ وَعَدَدُ رَكَعَاتِه)

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ،والصلّاَةُ وَالسّلَامُ عَلَى منْ لَا نبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بعدُ:



•فَهَذَا سَائلٌ يَسْألُ:

٣٧-أحْسَنَ اللّهُ إلَيْكُمْ شَيْخَنَا مَتَى يَبْدَأ وَقْتُ قِيَامِ اللّيْلِ؟وَمَتَى يَنْتَهِي؟-.

جواب

أوّلًا:فَضْلُ قِيَامِ اللّيْلِ:

-أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ برقَمِ(1163)منْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عنْهُ-قَالَ}:

سُئِلَ: أيّ الصلّاَةِ أفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأيّ الصّيَامِ أفْضَلُ بعْدَ شَهْرِ رمَضَانَ؟ فَقَالَ: أفْضَلُ الصلّاَةِ، بَعْدَ الصلّاَةِ المَكْتُوبَةِ، الصلّاَةُ فِي جَوْفِ اللّيْلِ، وَأفْضَلُ الصّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ المُحَرّمِ}.





-فَقَدْ سُئِلَ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{أيُّ الصّلَاة أَفضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟} أيْ: مَا أَفْضَلُ الصّلَوَاتِ بَعْدَ أَدَاءِ الصّلَوَاتِ الْخَمسِ الْمَفْرُوضَةِ الّتي لَا بُدّ مِنْ أَدَائِهَا قَبْلَ التّفْكِيرِ فِي النّوَافِلِ وَالزّيَادَاتِ وَالتّطَوعِ لِمَنْ أَرَادَ؟،فَقَالَ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ -مُوَضِّحًا وَمُبَيِّنًا:{أَفضَلُ الصّلَاةِ بَعْدَ الصّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصّلَاةُ فِي جَوْفِ اللّيْلِ}.وَذَلِكَ أَنّ صَلَاةَ اللّيلِ أَبْعَدُ عنِ الرّيَاءِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ، وَأَشَدُّ وَطْأَةً-أَيْ:أَبْلَغُ مُوَافَقَةً إِلَى تَحْصِيلِ مَقْصُودِ الْقُرْآنِ لِقِلّةِ الشّوَاغِلِ بِاللّيْلِ-، وَأَقْوَمُ قِيلًا-أيْ:أَفْضَلُ وَأَنْفَعُ الْأَقْوَالِ-، وَالْمُرَادُ مِنْ جَوْفِهِ هُوَ الثّلُثُ الآخِرُ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(7028)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:{إِنّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-، فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-،فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-مَا شَاءَ اللّهُ،وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنّ، وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلَاءِ، فَلَمّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ

: اللّهُمّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلَانِ بِي إِلَى جَهَنّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللّهَ: اللّهُمّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنّمَ، ثُمّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ:

لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصّلَاةَ. فَانْطَلَقُوا بِي حَتّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلّقِينَ بِالسّلَاسِلِ، رُؤُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ.

فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– ،فقالَ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:إنّ عبْدَ اللّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلّي مِنَ اللّيْلِ فقَالَ نَافِعٌ: فَلَمْ يزَلْ بعْدَ ذلِكَ يُكْثِرُ الصّلَاةَ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–أيْضًا بِرَقَمِ(1121)قَالَ النّبِيُّ– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:

{نِعْمَ الرّجُلُ عَبْدُ اللّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلّي مِنَ اللّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللّيْلِ إلّا قَلِيلًا}.

-قِيلَ: إنّمَا فَسّرَ الرّسُولُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذِهِ الرُّؤيَا بِمَا هُوَ مَمْدُوحٌ؛ لأنّ عَبْدَ اللّهِ بْنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– عُرِضَ عَلَى النّارِ وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا، بَلْ عُوفِيَ مِنْهَا، وَقِيلَ لَهُ: لَا رَوْعَ عَلَيْكَ؛ وَذَلِكَ لِصَلَاحِهِ، إنّمَا ذُكّرْتَ بِهَا فَقَطْ، ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– نَظَرَ فِي أحْوَالِ عَبْدِ اللّهِ– رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَغْفُلُ عَنْهُ مِنَ الْفَرَائِضِ فَيُذكّرُ بِالنّارِ، وَعَلِمَ مَبِيتَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَأنّهُ لَا يُقِيمُ اللّيْلَ، فَعَبّرَ الرُّؤيَا بِذَلِك، وَنَبّهَهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– عَلَى أنّ قِيَامَ اللّيْلِ مِمّا يَتّقِي بِهِ النّارَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ قِيَامِ اللّيلِ، وَأنّهُ يُنَجّي مِنَ النّارِ.

-وَفِيهِ:فَضِيلَةُ عَبْدِ اللّه بنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–،وَثَبَاتُهُ عَلَى فِعْلِ مَا أرْشَدَهُ إلَيهِ النّبِيُّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.-

-وَفِيهِ:أنْ يَرْجُو الْإنْسَانَ الْخَيْرَ وَالْعِلْمَ وَيَحْرِصُ عَلَى ذَلِكَ ،وَرَجَاء الرُّؤيَا الصّالِحَةِ؛ لِيَعْرِفَ صَاحِبُهَا مَا لَهُ عِنْدَ اللّهِ؛ فَالرُّؤيَا الصّالِحَةُ تَدُلُّ عَلَى خَيْرِ رَائِيهَا.

-وَفِيمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ التّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–بِرَقَمِ(٢٦١٦)

قَالَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:{.. ألَا أدُلُّكَ عَلَى أبْوَابِ الْخَيْرِ : الصّوْمُ جُنّةٌ ، وَالصّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النّارَ ،

وَصَلَاةُ الرّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ قَالَ : ثُمّ تَلَا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبّهُمْ ، حَتّى بَلَغَ يَعْمَلُونَ}.

-فَقَوْلُهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{وَصَلَاةُ الرّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ}، أيْ: قِيَامُ اللّيْلَ،فَهُوَ مِنْ طُرُقِ الْخَيْرِ وَمَفَاتِيحِهِ الْمُوَصِّلَةِ لَهُ، وَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ: هُوَ النّجَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالنّعِيمُ فِي الْآخِرَةِ؛ وَقِيَامُ اللّيْلِ عَامٌّ لِلرّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَلَكِنْ ذَكَرَ الرّجُلَ فَقَطْ تَغْلِيبًا-أَيْ: إِيْثَارُ أَحَدِ اللّفْظَيْنِ عَلَى الْآخَرِ فِي الْأَحْكَامِ الْعَرَبِيّةِ إِذَا كَانَ بَيْنَ مَدْلُولَيْهِمَا عِلَاقَةٌ أَوِ اخْتِلَاطٌ كَمَا فِي الرّجُلِ وَالْمَرْأَةِ-، قَالَ مُعَاذٌ: {ثُمّ تَلَا}، أَيْ:

النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- قَوْلَهُ تَعَالَى:{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦)فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(السّجدة: ١٦- ١٧)، أَيْ:

يُبَيّنُ لَهُ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-ذِكْرَ اللّهِ تَعَالَى لِمَنْ يَقُومُ اللّيْلَ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا أَعَدّ لَهُمْ مِنْ أَجْرٍ، وَمَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي الْجَنّةِ مِنْ نَعِيمٍ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(1152)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-

قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{يَا عَبْدَ اللّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللّيْلِ}.!

-وَفِي الْحَدِيثِ: فَضِيلَةُ الدّوَامِ عَلَى مَا اعْتَادَهُ الْمَرْءُ مِنَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيطٍ أَوْ إِفْرَاطٍ.

-وَفِيهِ: التّحْذِيرُ مِنْ قَطْعِ أَعْمَالِ التّطَوّعِ وَالنّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ.

-وَفِيهِ : الْحَثُّ عَلَى قِيَامِ اللّيْلِ.

-وَفِيهِ: جَوَازُ ذِكْرِ الشّخْصِ بِمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ إِذَا قُصِدَ بِذَلِكَ التّحْذِيرُ مِنْ فِعْلِهِ.

-مِنْ أجْلِ ذَلِكَ فَرَضَ اللّهُ تَعَالَى قِيَامَ اللّيْلِ عَلَى النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-وَأصْحَابِهِ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-فِي بِدَايَةِ الدّعْوَةِ تَهْيِئَةً لَهُمْ وَإعْدَادًا لِتَحَمّلِ أعْبَاءِ الرّسَالَةِ ثُمّ نَسَخَهُ بَعْدَ عَامٍ وَأصْبَحَ نَافِلَةً فِي حَقّ الصّحَابَةِ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-وَأتْبَاعِهِمْ إلَى أنْ يَرِثَ اللّهُ الْأرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا }.(المزمّل:١-٦).

-أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٧٤٦)

مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-وَفِيهِ أنّهُ سَأَلَ أُمّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-فَقَالَ:{يَا أُمّ الْمُؤمِنِينَ، أَنْبِئِينِي أيْ: أخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ؟ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟

فَأجَابَ:بَلَى،قَالَتْ:

فَإنّ خُلُقَ نَبِيّ اللّهِ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-كَانَ الْقُرْآنَ، أيْ: إنّهُ تَخَلّقَ بِكُلّ مَا فِي الْقُرْآنِ، وَالْتَزَمَ بِهِ، فَهَمّ أنْ يَقُومَ وَلَا يَسْألَ أحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتّى يَمُوتَ، ثُمّ بَدَا لَهُ أيْ: ظَهَرَ لَهُ، فَقَالَ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللّهِ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-، أيْ: صَلَاتِهِ فِي جَوْفِ اللّيْلِ، فَسَألَتْهُ:

أَلَسْتَ تَقْرَأُ: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}؟

قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَإنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللّيْلِ فِي أوّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللّهِ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- وَأصْحَابُهُ حَوْلًا، أيْ: عَامًا، وَأمْسَكَ اللّهُ خَاتِمَتَهَا - الّتِي فِيهَا التّخْفِيفُ وَالتّيْسِيرُ بِقِرَاءَةِ مَا تَيَسّرَ مِنَ الْقُرْآنِ

- اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السّمَاءِ، حَتّى أنْزَلَ اللّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ..}.

-وَالْآيَةُ الَّتي نَزَلَتْ بَعْدَ عامٍ بِالتَّخْفيفِ وَالتَّيْسرِ هيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعالَى:{إِنَّ ربَّكَ يعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ من ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ونصفَهُ وثُلُثَهُ وطَائفَةٌ مّنَ ٱلَّذين معكَ وٱللَّهُ يُقدّرُ ٱلَّيلَ وٱلنّهارَ علِمَ أن لّن تُحْصوه فتابَ عليكُمْ فَٱقْرَءوا ما تيسرَ منَ ٱلْقُرْءانِ علِمَ أن سيكُونُ منكم مّرْضَىٰ وءاخرُونَ يضرِبونَ فى ٱلْأَرْضِ يبْتَغُونَ من فضْلِ ٱللّه وءاخرُونَ يُقَتِلُونَ فى سبيلِ ٱللّه فَٱقْرَءوا ما تيسّرَ منْهُ وأَقيموا ٱلصلَوٰةَ وءاتوا ٱلزّكوٰةَ وأَقْرِضُوا ٱللّهَ قرْضًا حسَنًا وما تُقدّموا لِأَنفُسكم مّن خيرٍ تجِدُوهُ عِندَ ٱللّهِ هُوَ خيْرًا وأَعْظَمَ أَجْرًا وٱسْتَغْفِروا ٱللّهَ إِنّ ٱللّهَ غفورٌ رّحيمٌ}.(المزمّل:٢٠).

-وَبَيّنَ اللَّهُ تَعالَى مَنْزِلَةَ الْقائمينَ باللّيْلِ لَهُ سبْحانَهُ فقالَ تعَالَى:{إِنّ الْمُتّقِينَ في جَنّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنّهمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِّلسّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}.(الذّاريات:١٥-١٩).

-فَقِيَامُ اللّيْلِ شَرَفُ الْمُؤمنينَ ، وَدَأْبُ الصّالِحِينَ ، وَقُرّةُ عيْنِ الْعَابِدِينَ.

•ثانيًا:وَقْتُ قِيَامِ اللّيْلِ:

-مِنَ الْمَعْلُومِ أنّ اللّيْلَ في الشّرْعِ يَبْدَأُ بِغُرُوبِ الشّمْسِ؛ لَكِنّ قِيامَ اللّيْلِ الّذي جَاءَتِ النُّصُوصُ الشّرْعِيّةُ تَحُثُّ عَلَيْهِ وَتُرَغّبُ فيهِ، هُوَ مَا بعْدَ صلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

-وَقَدْ بَيّنَ النّبِيُّ- صلّى اللّهُ علَيْهِ وَسَلّمَ- بِفِعْلِهِ وَقْتَ هَذَا الْقِيَامِ مِنَ اللّيْلِ، وَوَرَدَ فِي هَذَا أَحَادِيثٌ عِدّةٌ،مِنْ أَوْضَحِهَا:

-مَا أَخْرَجَهُ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٩٩٤)،وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٧٣٦)

مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمنينَ عائشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهَا-قَالَتْ:{كَانَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-يُصَلّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ - وَهِيَ الّتِي يَدْعُو النّاسُ

الْعَتَمَةَ – إِلَى الْفَجْرِ، إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ، وَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ.{

-وَكَمَا هُوَ مُتَقَرِّرٌ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَمِنْ غَيْرِهِ أَنَّ الْوِتْرَ مُتَعَلِّقٌ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَوَقْتُهُ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي الْمُسْنَدِ وَصَحَّحَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ بِرَقَمِ(٣٩/٢٧١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–، خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ:إِنَّ أَبَا بَصْرَةَ حَدَّثَنِي أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{إِنَّ اللَّهَ زَادَكُمْ صَلَاةً، وَهِيَ الْوِتْرُ، فَصَلُّوهَا فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ }.(وَالحديث صحّحهُ الشّيخ الألبانيُّ في:إرواء الغليل:٢ / ١٥٨).

-وَقَدْ جَاءَ فِي (الْمَوْسُوعَةِ الْفِقْهِيَّةِ الْكُوَيْتِيَّةِ): ٣٤ / ١١٩:{.. قِيَامُ اللَّيْلِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، سَوَاءٌ سَبَقَهُ نَوْمٌ أَوْ لَمْ يَسْبِقْهُ، وَأَنَّ كَوْنَهُ بَعْدَ النَّوْمِ أَفْضَلُ } انتهى.

-وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ– رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ مَتَى يَبْدَأُ قِيَامُ اللَّيْلِ؟).

فَأَجَابَ:{قِيَامُ اللَّيْلِ يَبْدَأُ مِنْ حِينِ أَنْ يُصَلِّيَ الْإِنْسَانُ الْعِشَاءَ، وَسُنَّتَهَا ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ وَقْتُ قِيَامِ اللَّيْلِ،وَلَكِنَّ أَفْضَلَهُ:يَكُونُ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، إِلَى أَنْ يَبْقَى سُدُسُ اللَّيْلِ، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ– رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–، لَمَّا قَالَ: وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، أَرْشَدَهُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِلَى أَفْضَلِ الْقِيَامِ، قِيَامِ دَاوُدَ–عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–،وَقَالَ:{إِنَّهُ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ}. انتهى، من (فتاوى نور على الدّرب) الشّاملة.

-وَمَنْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ وَجَمَعَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ مَعَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ جَمْعَ تَقْدِيمٍ فَوَقْتُ الْقِيَامِ وَالْوِتْرِ يَبْدَأُ عَقِبَ صَلَاتِهِ لِلْعِشَاءِ.

•ثَالِثًا:عَدَدُ رَكَعَاتِ قِيَامِ اللّيْلِ:

-خَيْرُ الْقِيَامِ وأَفْضَلُهُ: مَا وَافَقَ فِعْلَهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَهُوَ صَلَاةُ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ، لَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ، ثُمّ الْإِيتَارُ بِثَلَاث.

-لِمَا أَخْرَجَهُ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيّ بِرَقَمِ(٢٠١٣)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(738)مِنْ حَدِيث أُمّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنهَا–قَالَتْ:{مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ ثُمّ يُصَلّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ ثُمّ يُصَلّي ثَلَاثًا }.

-وَأَقَلُّ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْقِيَامُ رَكْعَتَانِ، وَأَكْثَرُهُ لَا حَدّ لَهُ.

-لِمَا أَخْرَجَهُ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيّ بِرَقَمِ (٤٧٢)، وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ (٧٤٩) مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ مَا تَرَى فِي صَلَاةِ اللّيْلِ ؟

قَالَ:{مَثْنَى مَثْنَى ؛ فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ : صَلّى وَاحِدَةً فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلّى}.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَمْ يَشْتَرِطِ الرّسُولُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–عَدَدًا مُعَيّنًا لِقِيَامِ اللّيْلِ سَوَاء فِي رَمَضَانَ أَوْ فِي غَيْرِهِ إِنّمَا قَالَ:{مَثْنَى مَثْنَى}.وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الزّيَادَةِ عَلَى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ،لَكِنّ الْأَفْضَلَ إِحْدَى عَشْرَةَ بِالْوِتْرِ أَوْ ثَلَاث عَشْرَة بِاعْتِبَارِ السُّنّةِ الْبَعْدِيّةِ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ لِأَنّ هَذَا هُوَ الْغَالِبُ مِنْ فِعْلِ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.-

-وَلِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد بِرَقَمِ (١٤٥١)، وَابْنُ مَاجَه بِرَقَمِ(١٣٣٥) مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَا:قَالَ رَسُولُ اللّهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا مِنَ الذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيرًا، وَالذّاكِرَاتِ }.(وصححه الألبانيُّ في:صحيح أبي داود).

-فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنّ قِيَامَ اللّيْلِ يَحْصُلُ بِرَكْعَتَيْنِ.

-وَأخْرَجَ أبُو دَاوُد برقَم(١٣٩٨)مِنْ حَدِيث عَبْد اللّهِ بْن عَمْرو بْن الْعَاص-رَضي اللّهُ تَعالَى عَنْهُمَا-،قال:قَالَ رَسُولُ اللّه -صلّى اللهُ عليْهِ وَسلّم-:{مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِن الغَافِلِين، وَمَنْ قَامَ بمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِين، ومَنْ قَامَ بأَلْفِ آيَةٍ كُتِب مِن المُقَنْطِرِينَ}.(وصحّحه الألبانيُّ في: صحيح أبي داود).

-قَالَ الْإِمَامُ الْمُنْذِرِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى- فِي التّرْغِيبِ وَالتّرْهِيبِ:{قَوْلُهُ:{مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ} أيْ: مِمّنْ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الْأجْرِ. مِنْ سُورَةِ تَبَارَكَ الّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ أَلْفُ آيَةٍ. وَاللّهُ أعْلَمُ} انتهى.

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وأَعْلَمُ.



(أُرِيْدُ مِنْكَ وَصِيّةً)

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:

-فَهَذَا أخٌ فَاضِلٌ يَعرِفُ حَقّ الْمُسْلِمِ عَلَى أخِيهِ الْمسلِمِ جَاءَ يَعُودُني فِي مَرَضِي وَدَنَا مِنّي بَعْدَ أنْ دَعَا لِي بِالشّفَاءِ وَسَألَنِي فَقَال:



٣٨-أُرِيدُ مِنكَ وَصِيّةً شَيْخِي فَبِمَاذَا تُوصِنِي؟

•أُوصِي نَفْسِي وَإِيّاكَ يَا وَلَدِي بِتَقْوَى اللّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ،فَإِنّهَا غَايَةٌ مَنْشُودَةٌ،وَدُرّةٌ مَفْقُودَةٌ،فَقَدْ خَلَقَنَا اللّهُ تَعالَى لِغَايَةٍ وَهِيَ الْعِبَادَةُ،وَجَعَلَ لِهَذِهِ

الْغَايَةِ غَايَةً تُسَمَّى غَايَةَ الْغَايَةِ وَهِي تَقْوَى اللَّه،فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُبَيِّنًا الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِنَا:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.(الذّاريات:٥٦).،ثُمّ بَيّنَ غَايَةَ هَذِهِ الْغَايَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

{يَا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ وَالّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ}.(البقرة:٢١).فَالتّقْوَى يَا وَلَدِي غَايَةُ الْغَايَةِ.

•وَالتّقْوَى يَا وَلَدِي هِيَ وَصِيّةُ اللّهِ تَعَالَى للأَوّلِينَ وَالْآخِرِين،قَالَ اللّهُ تَعَالَى:

{وَلِلّهِ مَا فِى ٱلسّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصّيْنَا ٱلّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيّاكُمْ أَنِ ٱتّقُواْ ٱللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنّ لِلّهِ مَا فِى ٱلسّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا}(.النّساء:١٣١)

•وَالتّقْوَى يَا وَلَدِي هِيَ وَصِيّةُ سَيّدِ الْأَوّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمّدٍ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–لِأُمّتِه،

فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التّرْمِذِيٌّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(616)مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَخْطُبُ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ:{ اتّقُوا اللّهَ رَبّكُمْ وَصَلّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنّةَ رَبّكُمْ}.،

وَفِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(21354)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيّ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{اتّقِ اللّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السّيّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ.}.

•وَالتّقْوَى يَا وَلَدِي هِيَ وَصِيّةُ الصّالحِينَ لِمَنْ بَعْدهمْ،فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ الْخَلِيفَةُ الرّاشِدُ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ:{أوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ}.،وَكَتَبَ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ

–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–إِلَى ابْنِه عَبْدِ اللّهِ–رَضِيَ اللّهُ تَعالى عَنْهُ–:{أمّا بَعْدُ فَإِنّي أوصِيكَ بِتَقْوَى اللّه عَزّ وَجلّ،فَإِنّهُ مَن اتّقَاهُ وقَاهُ،

وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، وَاجْعَلِ التّقْوَى نُصْبَ عَيْنَيْكَ، وَجَلَاءَ قَلْبِكَ}.،وَاسْتَعْمَلَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– رَجُلًا عَلَى سَرِيّةٍ، فَقَالَ لَهُ :{ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ الّذِي لَا بُدّ لَكَ مِنْ لُقْيَاهُ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَهُوَ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ }.، وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– إِلَى رَجُلٍ :

{ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ، الّتِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهَا، وَلَا يَرْحَمُ إِلّا أَهْلَهَا، وَلَا يُثِيبُ إِلّا عَلَيْهَا، فَإِنّ الْوَاعِظِينَ بِهَا كَثِيرٌ، وَالْعَامِلِينَ بِهَا قَلِيلٌ، جَعَلَنَا اللّهُ وَإِيّاكَ مِنَ الْمُتّقِينَ}.

•وَالتّقْوَى يَا وَلَدِي هِيَ ثَمَرَةُ التّوْحِيدِ الْخَالصِ للّهِ تَعَالَى،وَصِدْقِ الْمَحَبّةِ وَالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِه–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–وَهِيَ فِعْلُ الْأوَامِرِ وَالْوَاجِبَاتِ،وَاجْتِنَابُ النّوَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ وَفِي كُلّ الْأَوْقَاتِ،فَإِذَا مَا خَلَوْتَ الدّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِن قُلْ عَلَيّ رَقِيبٌ.

•كَمَا أُوصِي نَفْسِي وَإِيّاكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنّهُ أَثْقَلُ شَئٍ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَصَاحِبُ الْخُلُقِ يَبْلُغُ دَرَجَةَ الصّائِمِ الْقَائِمِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُد–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِه بِرَقَمِ(4799) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدّرْدَاءِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:

{ مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَإِنّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصّوْمِ وَالصّلَاةِ}.

•وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَا وَلَدِي يُثْمِرُ قُرْبَكَ مِنَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحُبَّهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَكَ،فقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِه بِرَقَمِ(٢٠١٨)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارِينَ وَالْمُتَشَدِّقِينَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ}.

•وَجِمَاعُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ يَا وَلَدِي :

أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ بِالسَّلَامِ وَالْإِكْرَامِ، وَالدُّعَاءِ لَهُ، وَالاسْتِغْفَارِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالزِّيَارَةِ لَهُ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالْمَالِ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ. وَبَعْضُ هَذَا وَاجِبٌ وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبٌّ.

•وَقَدْ أَجْمَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–يَا وَلَدِي حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ:{بَذْلُ النَّدَى–أَيْ:فِعْلُ الْمَعْرُوفِ وَالْأَمْرُ بِهِ–وَكَفُّ الْأَذَى–أَيُ:

ابْعَادُ الْمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنْهُ–وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ–أَيْ:الْبَسْمَةُ فِي وَجْهِ أَخِيكَ–}.،فَالدِّينُ يَا وَلَدِي كُلُّهُ خُلُقٌ فَمَنْ زَادَكَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ زَادَكَ فِي الدِّينِ.

•وَأُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكَ يَا وَلَدِي بِأَنْ نَجْعَلَ الْقُرْآنَ صَاحِبًا لَّا نَهْجُرُهُ ،نَحْرِصُ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ،فَنُنَفِّذُ أَوَامِرَهُ، وَنَجْتَنِبُ نَوَاهِيهِ،وَنُصَدِّقُ أَخْبَارَهُ.





•وأوصي نَفْسي وَإيّاك ببَذْل ثَمَن الْأخُوّة الْإيمَانيّة الْوَاجبَة بيْنَ الْمُسْلمينَ في قوْل اللّه تَعالَى:{إِنّما ٱلْمُؤْمنُون إِخْوةٌ فأَصْلحواْ بيْن أَخوَيْكُمْ وٱتّقُواْ ٱللّه لعلّكُمْ تُرْحَمُونَ}. (الحجرات:١٠).

وثَمَنُ الْأخُوّة يَا ولَدي بَذْلُ النّصيحة لَهُمْ والصّبْرُ عَلَى الْأذَى منْهُمْ كمَا قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَالْعَصْرِ (١) إِنّ الْإِنْسَان لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلّا الّذين آمَنُوا وعَملُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ وتَوَاصَوْا بِالصّبْرِ }. (العصر:١-٣).

•كمَا أُوصِي نَفْسي وَإِيّاكَ يَا وَلَدِي بِعدَمِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فَإنّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،ولِلّه درّ مَنْ قَالَ:

لَا تَظْلمَنّ إذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدرًا
فَالظُّلْمُ تَرْجعُ عُقْبَاهُ إِلَى النّدَمِ.
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُــومُ مُنْتَبِهٌ
يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللّه لَمْ تَنَمِ.

•كمَا أُوصِي نَفْسي وَإيّاكَ يَا ولَدي بمُرَاقَبَة اللّه تَعَالَى فِي الْخَلَوَات،فَمُعْظَمُ الانْكسَارَات مَنْشَؤُهَا ذُنُوبُ الْخَلَوَات،فذُنُوبُ الْخَلَوَات تُسْقطُ الْعَبْدَ منْ عَيْنِ اللّه تَعَالَى فَعَلَيْكَ يَا وَلَدي أَنْ تُصلْحَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ تَعَالَى فِي السّرّ يُصلْحِ لَكَ عَلَانِيَتَكَ،وَإِذَا أَذْنَبْتَ فَبَادرْ بالاسْتغْفَارِ وَالتّوْبَة.

•كمَا أُوصِي نَفْسي وَإيّاك يَا ولَدي ببِرّ الْآبَاء وَالْأُمّهات،وَالْإحْسَانِ للزّوْجَة وَإكْرَامِ أَهْلهَا،وَحُسْنِ تَرْبِيَة الْأَوْلَاد،وَإكْرَامِ الضّيْفِ،وَحُسْنِ الْجوَار،وَاجْتنَابِ مَا لَا يَعْنِيكَ حَتّى لَا تَسْمَعَ مَا لَا يُرْضِيكَ.

•كمَا أُوصِي نَفْسي وَإيّاكَ يَا ولَدي بِالْبُعْد عَن الْغضب إلّا عنْدَ انْتهَاك حُرُمَات اللّه،فَاجْتنَابُ الْعَمَل بمُقْتَضَى الْغَضَبِ في الْبَاطلِ يُثْمرُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالدّينِ،فَعنْدَمَا سُئلَ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-الْوَصِيّةَ قَالَ للسّائلِ:{لَا تَغْضَبْ}.

•كمَا أُوصِي نَفْسِي وَإيَّاكَ يَا وَلَدِي فِي خَاتَمَةِ وَصِيَّتِي بِبَيَانِ عَلَامَاتِ السَّعَادَةِ كَيْ نَلْزَمَهَا وَهِيَ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ:إذَا أُعْطِيت شَكَرْتَ،وَإِذَا ابْتُلِيت صَبَرْتَ،وَإِذَا أَذْنَبْت اسْتَغْفَرْتَ،قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ الْقَيِّمِ الْمَوْسُومِ بِ(الْوَابِلِ الصَّيِّبِ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ):

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَسْئُولُ الْمَرْجُوُّ الْإِجَابَةِ أَنْ يَتَوَلَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يُسْبِغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَأَنْ يَجْعَلَكُمْ مِمَّنْ إِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ.فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ هِيَ عُنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ ، وَعَلَامَةُ فَلَاحِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَنْفَكُّ عَبْدٌ عَنْهَا أَبَدًا).

•تَنْبِيهٌ:عِنْدَمَا سَأَلَنِي السَّائِلُ الْوَصِيَّةَ أَجْمَلْتُهَا لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَفَصَّلْتُهَا هُنَا لِتَعُمَّ الْفَائِدَةُ.

•وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ:



•فَقَدْ سَأَلَ سَائِلٌ:

٣٩–مَا هِيَ أَقْسَامُ الْغَضَبِ؟مَعَ ذِكْرِ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْغَضَبِ وَعِلَاجِهِ؟.



-قَبْلَ بيَانِ أقْسَامِ الْغضب وَأحكَامِه وطُرُقِ علَاجِهِ لَابُدّ منَ الْإشَارةِ إلَى تَعْرِيفِ الْغضب لُغَةً وَشَرْعًا.

-أولّا:تَعرِيفُ الْغَضبِ:

(أ)لُغَةً:

قَالَ ابْنُ فَارسٍ–رَحمهُ اللّهُ تعَالَى–في مقَاييسِ اللُّغَة(٤/٤٢٨) وَابْنُ مَنْظُورٍ–رَحِمَهُ اللّهُ تعَالَى–في لِسانِ الْعربَ(١/٦٤٨):

}الْغضَبُ: بِالتّحرِيك، ضِدُّ الرِّضا. وَالْغَضبَةُ: الصّخْرةُ الصلْبَةُ. قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتُقّ الغضَبُ؛ لأنّهُ اشْتِدَادُ السُّخْطِ. يُقَالُ: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضباً، وَهوَ غَضْبَان وَغَضُوبٌ}.

(ب)شَرعًا:

-قَالَ مُرْتَضى الزّبَيْدِيُّ–رَحمهُ اللّهُ تعَالَى–في تَاجِ الْعَرُوسِ (3/484)،وَالرّاغِبُ الْأصفْهَانِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تعَالَى–في مُفْرَدَاتِ ألْفَاظِ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ (ص:٧٤) :{الْغضَبُ: هُوَ ثَوَرَانُ دمِ الْقَلْبِ لِقَصْدِ الانْتِقَامِ}.

-وقَالَ الْجُرْجَانِيُّ–رَحمهُ اللّهُ تعَالَى–في التّعْرِيفَات(ص٢٠٩):

}الْغضَبُ: تَغيّرٌ يَحْصُلُ عِنْدَ غلَيَانِ دمِ الْقَلْبِ، لِيَحصُلَ عنه التّشَفّي للصّدْرِ.{

-وَنَقَلَ الْحافظُ ابْنُ رَجَبٍ–رَحِمهُ اللّهُ تعَالَى–في جامعِ الْعُلُومِ وَالْحكَمِ(١/٣٩٦)هذَا التّعْرِيفَ للغضبَ:{هُوَ غلَيَانُ دمِ الْقَلْبِ، طَلَبًا لِدَفْعِ الْمُؤْذِي عِنْدَ خَشْيَةِ وُقُوعِهِ، أوْ طَلَبًا للانْتِقَامِ ممّنْ حصَلَ لَهُ منْهُ الْأذَى بعْدَ وُقُوعِه}.

-ثَانيًا:النّهْيُ عَنِ الْغَضَبِ في الْقُرْآنِ وَالسُّنّةِ:

(أ)فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }.(آل عمران:١٣٣-١٣٤).

-فَقَوْلُهُ:{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ } أي:
إِذَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ أَذِيَّةٌ تُوجِبُ غَيْظَهُمْ –وَهُوَ امْتِلَاءُ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَنَقِ وَالْغَضَبِ، الْمُوجِبِ لِلانْتِقَامِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ–، هَؤُلَاءِ لَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَى الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَةِ ، بَلْ يَكْظِمُونَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْغَيْظِ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ إِلَيْهِمْ. { وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ } يَدْخُلُ فِي الْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، الْعَفْوُ عَنْ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعلٍ، وَالْعَفْوُ أَبْلَغُ مِنَ الْكَظْمِ، لِأَنَّ الْعَفْوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ مَعَ السَّمَاحَةِ عَنِ الْمُسِيءِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ تَحَلَّى بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَتَخَلَّى عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِمَّنْ تَاجَرَ مَعَ اللَّهِ، وَعَفَا عَنْ عِبَادِ اللَّهِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَكَرَاهَةً لِحُصُولِ الشَّرِّ عَلَيْهِمْ، وَلِيَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَكُونَ أَجْرُهُ عَلَى رَبِّهِ الْكَرِيمِ، لَا عَلَى الْعَبْدِ الْفَقِيرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}.(الشّورى:٤٠).
-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ}.(الشّورى:٣٧).
-فَقُوْلُهُ:{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} أي: قَدْ تَخَلَّقُوا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ، فَصَارَ الْحِلْمُ لَهُمْ سَجِيَّةً، وَحُسْنُ الْخُلُقِ لَهُمْ طَبِيعَةً حَتَّى إِذَا أَغْضَبَهُمْ أَحَدٌ بِمَقَالِهِ أَوْ فِعَالِهِ، كَظَمُوا ذَلِكَ الْغَضَبَ فَلَمْ يُنْفِذُوهُ، بَلْ غَفَرُوهُ، وَلَمْ يُقَابِلُوا الْمُسِيءَ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ.
-فَتَرَتَّبَ عَلَى هَذَا الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، مِنَ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَفَاسِدِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }.(فصّلت:٣٤).

(ب)فِي السُّنّةِ الْمُطَهّرَةِ:

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6116)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-: أَنّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:أَوْصِنِي،قَالَ:{لَا تَغْضَبْ. فَرَدّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ}.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنّ رَجُلًا -اسْمُهُ (جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-) طَلَبَ الْوَصِيّةَ مِنَ النّبِيِّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- ، فَأَوْصَاهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- أَلّا يَغْضَبَ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْغَضَبِ الْمَذْمُومِ. وَقِيلَ: لَعَلّ السّائِلَ كَانَ غَضُوبًا، وَكَانَ النّبِيُّ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- يَنْصَحُ كُلّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ وَيَحْتَاجُهُ؛ فَلِهَذَا اقْتَصَرَ فِي وَصِيّتِهِ لَهُ عَلَى تَرْكِ الْغَضَبِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: اجْتَنِبْ أَسْبَابَ الْغَضَبِ، وَلَا تَتَعَرّضْ لِمَا يَجْلِبُهُ، وَأَمّا الْغَضَبُ نَفْسُهُ فَلَا يَتَأَتّى النّهْيُ عَنْهُ؛ لِأَنّهُ أَمْرٌ طَبَعِيٌّ لَا يَزُولُ مِنَ الْجِبِلّةِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا تَغْضَبْ؛ لِأَنّ أَعْظَمَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ الْغَضَبُ الْكِبْرُ؛ لِكَوْنِهِ يَقَعُ عِنْدَ مُخَالَفَةِ أَمْرٍ يُرِيدُهُ؛ فَيَحْمِلُهُ الْكِبْرُ عَلَى الْغَضَبِ؛ فَالّذِي يَتَوَاضَعُ حَتّى تَذْهَبَ عَنْهُ عِزّةُ النّفْسِ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّ الْغَضَبِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا تَفْعَلْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ الْغَضَبُ. وَقَدْ جَمَعَ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- فِي قَوْلِهِ: {لَا تَغْضَبْ} خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنّ الْغَضَبَ يَؤُولُ إِلَى التّقَاطُعِ وَمَنْعِ الرِّفْقِ، وَرُبّمَا آلَ إِلَى إِيذَاءِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ.

-وَرَدّدَ الرّجُلُ طَلَبَ الْوَصِيّةَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- مِرَارًا، كَأَنّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللّهِ، فَلَمْ يَزِدْهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-فِي الْوَصِيّةِ عَلَى {لَا تَغْضَبْ} مَعَ تَكْرَارِهِ الطّلَبَ.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦١١٤)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(2609)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ

رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{ لَيْسَ الشّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنّمَا الشّدِيدُ الّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ}.

-في هَذَا الْحَدِيث يَرْوِي أَبُو هُرَيرَة-رَضيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:
أنّ النَّبيّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-قَال:{لَيْس الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ}، أيْ: لَا تظنُّوا أنّ الرّجُلَ الْقَوِيّ هُوَ ذَلِكَ الرّجُلُ الّذِي يَتَمَتّع بقُوَّة بَدَنيّة يَسْتَطِيعُ بهَا أَنْ يَصرَعَ الْآخَرِين، وَإِنَّمَا الرّجُلُ الْقَوِيُّ حَقًّا الْكَامِلُ فِي قُوّتِه، هُوَ الرّجُلُ الْقَوِيُّ فِي إرَادَتِه، الّذِي يَسْتَطِيعُ أنْ يَتَحكّم فِي نفسِه عِنْدَ الْغَضَب، وَيَكْظِمَ غَيْظَهُ وَيَتَحَلّم، وَيَمْنَعُ نَفْسَهُ عَنْ تَنْفِيذِ مَا تَدْعُوهُ إلَيْه مِنْ إيذَاءِ النّاس بالشّتْمِ وَالضّرْبِ وَالعُدوانِ
وَغَيْرِ ذَلكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِيذَاء.
-وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أنّ مُجَاهَدَةَ النّفْسِ أَشَدُّ مِنْ مُجَاهَدَةِ الْعَدُوّ؛ لِأنّ النّبِيّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-جَعَلَ لِلّذِي يَملِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ مِنَ الْقُوّةِ وَالشّدّةِ مَا لَيْسَ لِلّذِي يَغْلِبُ النّاسَ وَيَصْرَعُهُم.
-وَفِي الْحَدِيث: أنّ مِنْ أَعْظَمِ الْأدِلّةِ عَلَى قُوّةِ الشّخْصِيّة: الْحِلْم، وَضَبْطَ النّفْسِ عِنْدَ الْغَضَب.
-وَفِيه: أنّ الْغَضَبَ وَإِنْ كَانَ غَرِيزَةً نَفْسِيّةً جَبّارَةً، فَإِنّهُ يُمكِنُ مُقَاوَمَتُهُ بَعْدَ وُقُوعِه.
-وَفِيه: أنّ مُقَاوَمَةَ الْغَضَبِ وَامْتِلَاكَ النّفْسِ عِنْدَ وُقُوعِه، مِنْ أَفْضَلِ الْأعْمَالِ الصّالِحَة الّتِي يُثَابُ عَلَيْهَا.
-وَفِيه: فَصِيحُ كَلَامِ النّبِيّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَتَصْوِيبُهُ لِلمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَة؛ لِأنّهُ لَمّا كَانَ الْغَضْبَانُ فِي حَالَةٍ شَدِيدَةٍ مِنَ الْغَيْظ، وَقَدْ ثَارَتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ الْغَضَب، فَقَهَرَهَا بِحِلْمِه، وَصَرَعَهَا بِثَبَاتِه -كَانَ كَالصُّرَعَةِ الّذِي يَصرَعُ الرّجَالَ وَلَا يَصرَعُونَه.

•ثَالِثًا:أقْسَامُ الْغَضَب:

-الغَضَبُ غَرِيزَةٌ رَكّبَهَا اللَّهُ فِي طَبِيعَةِ الْإنْسَان، وَهُوَ: تَغَيُّرٌ يَحْصُلُ عِنْدَ فَوَرانِ دَمِ الْقَلْب؛ لِيَحْصُلَ عَنْهُ التّشَفّي فِي الصّدْر، وَالنّاسُ مُتَفَاوِتُون فِي مَبْدَئِه وَأَثَرِه؛ وَمِنْ ثَمّ كَانَ مِنْهُ مَا هُوَ مَذْمُومٍ وَمَا هُوَ مَحمُودٍ.

(أ)الْغَضَبُ الْمَذْمُومُ:

-فَمَنْ كَانَ غَضُوبًا فِي الْبَاطِلِ، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ التَّحَكُّمَ فِي غَضَبِهِ إِذَا غَضِبَ، وَيَجُرُّهُ الْغَضَبُ لِتَجَاوُزِ الْحَدِّ، وَإِفْسَادِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ؛ فَهَذَا غَضَبٌ مَذْمُومٌ.

(ب)الْغَضَبُ الْمَحْمُودُ:

-وَمَنْ كَانَ غَضَبُهُ فِي الْحَقِّ عِنْدَمَا تُنْتَهَكُ حُرُمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَجُرُّهُ لِمَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ، فَهُوَ غَضَبٌ مَحْمُودٌ.

-كَالْغَضَبِ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ وَمِنْهُ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.(التوبة:٧٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا }.(الفتح:٢٩).

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2328)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-

قَالَتْ:{مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ}.

•رَابِعًا:آثَارُ الْغَضَبِ:

-لِلغَضَبِ آثَارٌ قَبِيحَةٌ ،وَعَوَاقِبُ وَخِيمَةٌ أَشَارَ إِلَى بَعْضِهَا الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ((١/٣٦٩)

حَيْثُ قَالَ:

{وَيَنْشَأ مِنْ ذَلِكَ–أي:مِنَ الْغضبِ – كَثِيرٌ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُحَرّمَةِ، كَالْقَتْلِ وَالضّرْبِ، وأنْواعِ الظّلْمِ والعُدْوانِ، وكَثِيرٌ مِنَ الْأقوالِ الْمحرّمَةِ، كَالْقَذْفِ وَالسّبِّ وَالْفُحْشِ، وَرُبّمَا ارْتَقى إلَى درجَةِ الْكُفْرِ، كَمَا جرَى لِجَبَلَةَ بْنِ الأيْهَم ، وكَالْأيْمَانِ الّتِي لَا يَجُوزُ الْتِزامُهَا شرْعًا،وكَطلَاقِ الزوْجَةِ الّذي يُعْقِبُ النّدَمَ}.

-وَهَذِه قِصّةُ(جبَلَة بْنِ الْأيْهَم)مَلِك نَصَارَى الْعَرَبِ الّذي دَخَلَ الْإِسْلَامَ ثُمّ ارْتَدّ بِسبَبِ الْغَضبِ وخسِرَ الدّينَ وَالدُّنْيَا معًا،ذَكَرَهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ–رحمَهُ اللّهُ تعَالَى–في الْبِدَايَةِ وَالنّهَايَةِ،وَالْحَافِظُ ابْنُ عسَاكِرٍ–رحمَهُ اللّهُ تَعَالَى–في تَارِيخ دمَشْق(١١/١٩)وَهُوَ جبَلَة بْنُ الْحَارِث بْنِ أبي شمَرٍ، وَاسْمُه الْمُنْذِرُ بْنُ الْحَارِث ، وَهُوَ آخرُ مُلُوكِ الْغَسَاسنَة في الشّام. حكَمَ ما بيْنَ عامَيْ ٦٣٢ و ٦٣٨ ميلَادِيّة. وكَانَ بذَلِكَ الْمَلِكَ السّادِسَ وَالثّلَاثِين في سُلَالَة الْغَسَاسنَة الّذِين كَانُوا متَحَالِفِين مع الرّومِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَهُمْ مِنَ النّصَارَى الْعَرَبِ.

-رُوِيَ فِي أحَادِيثَ دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، قَالُوا: وَكَتَبَ رَسُولُ اللّه– صلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– إلَى جبَلَة بْنِ الْأيْهَم مَلِك غسّان يدْعُوه إلَى الْإِسْلَامِ، فَأسْلَمَ وكَتَبَ بإسْلَامه إلَى رَسُولِ اللّه–صلّى اللّهُ عَلَيْه وسلّمَ– وَأهْدَى لَهُ هَدِيّةً، ثُمّ لَمْ يزَلْ مُسْلمًا حَتّى كَانَ زَمَنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطّاب، فَبيْنَا هُوَ فِي سُوق دمَشْق إذْ وَطِئ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَة، فَوَثَبَ الْمُزَنِيّ فَلَطمَهُ، فَأخَذَهُ فَانطَلَقَ بِهِ إلَى أبِي عُبَيْدَة بْنِ الْجَرّاح، فَقَالُوا: هَذَا لَطَمَ جبَلَةَ. قَالَ: فَلْيَلْطِمْهُ. قَالُوا: أوَ مَا يُقْتَلُ؟ قَالَ: لَا، فَقَالُوا: أفَمَا تُقْطَعُ يَدُهُ؟ قَالَ: لَا، إنّمَا أمَرَ اللّه بِالْقَوْد، قَالَ جبَلَةُ: أتَرَوْنَ أنّي جَاعِلٌ وَجْهِي نِدًّا لِوَجْه جَدْيٍ جَاءَ مِنْ عُمْقٍ؟ بِئْسَ الدّينُ هَذَا! ثُمّ ارْتَدّ نَصْرَانِيًّا، وَتَرَحّلَ بِقَوْمِه حَتّى دَخَلَ أرْضَ الرّومِ}

.

•خَامِسًا:عِلَاجُ الْغَضَبِ:

-وَرَدَ فِي السُّنّةِ الْمُطَهّرَةِ عِلَاجَاتٌ لِلتّخَلّصِ مِنْ الْغَضبِ عِنْدَ وُقُوعِهِ أذْكُرُ مِنْهَا:





(أ)الاسْتِعَاذَةُ بِاللّهِ تَعَالَى مِنَ الشّيْطَانِ:

-أخرجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-في صَحِيحِه برقَمِ(3282)مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- وَرَجُلَانِ يَسْتَبّانِ، فَأَحَدُهُمَا احمَرّ وجْهُه، وانْتَفَخَتْ أوْدَاجُهُ،فَقَالَ النّبِيُّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-: إنّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أعوذُ بِاللّهِ مِنَ الشّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ: إنّ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- قَالَ: تَعَوّذْ بِاللّهِ مِنَ الشّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ}.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ:أنّ أَقْوَى عِلَاجٍ لِتَسْكِينِ الْغَضَبِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ؛ الاسْتِعَاذَةُ بِاللّهِ مِنَ الشّيْطَانِ بِنيّةٍ صَادِقَةٍ، وَعَزِيمَةٍ قَوِيّةٍ، وَيَقِينٍ وَإِخْلَاصٍ.

-وَفِيهِ:إثْبَاتُ وُجُودِ الشّيْطَانِ وتَسَلّطِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِإِثَارَةِ غَرَائِزِهِ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ النّبِيُّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- بِالاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ.

-وَفِيهِ:التّحْذِيرُ مِنَ السّبَابِ وَمَا يُشْبِهُهُ مِنَ اللّعنِ، وَالتّنْفِيرُ مِنْهُمَا؛ لِأَنّهُمَا يُؤَدّيَانِ إِلَى الْمَفَاسِدِ بَيْنَ النّاسِ.

(ب)الصّمْتُ وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْغَضَبِ:

-فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي الْجَامِعِ الصّغِيرِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِرَقَمِ(٧٦٣)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ}.

-فَهَذَا الْحَدِيثُ يُوَضّحُ كَيْفَ يَتَغَلّبُ الْإِنْسَانُ عَلَى غَضَبِهِ، حَيْثُ يَقُولُ النّبِيُّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ}، أيْ: إِذَا أَصَابَهُ الْغَضَبُ وَهُوَ يَتَكَلّمُ؛ {فَلْيَسْكُتْ}، حَتّى يَهْدَأَ، وَهَذَا دَوَاءٌ عَظِيمٌ لِلْغَضَبِ، فَإِنّهُ لَا يَدْرِي لَعَلّهُ يَنْطِقُ بِكَلَامٍ لَا يُطَاقُ فِي





أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، مَا يَجْعَلُهُ يَنْدَمُ عَلَيْهِ عِنْدَ زَوَالِ غَضَبِهِ، فَإِذَا سَكَتَ زَالَ هَذَا الشَّرُّ كُلُّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا مِنْ عِلَاجَاتِ الْغَضَبِ الَّتِي عَدَّدَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِثْلِ الاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ،وَالوُضُوءِ، وَجُلُوسِ الْوَاقِفِ، وَاضطِجَاعِ الْجَالِسِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: مُعَالَجَةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِحَالَاتِ الْغَضَبِ بِمَا يُنَاسِبُ كُلَّ حَالَةٍ.

(ج)السُّكُونُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَتَغْيِيرُ الْحَالِ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (4782)مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضطَّجِعْ}.

-فَهَذَا الْحَدِيثُ يُوضِّحُ كَيْفَ يَتَغَلَّبُ الْإِنْسَانُ عَلَى غَضَبِهِ، حَيْثُ يَقُولُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ}، أَيْ: إِذَا أَصَابَهُ الْغَضَبُ وَهُوَ وَاقِفٌ؛ فَلْيَجْلِسْ حَتَّى يَهْدَأَ، {فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَّجِعْ"، أَيْ: فَإِنْ لَمْ يَذْهَبِ الْغَضَبُ بِالْجُلُوسِ فَلْيَرْقُدِ الْغَضْبَانُ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ أَوْ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالْمَقْصُودُ: أَنْ يُغَيِّرَ مِنْ وَضْعِهِ الَّذِي غَضِبَ فِيهِ وَيَتَحَوَّلَ إِلَى وَضْعٍ آخَرَ أَكْثَرَ هُدُوءًا وَطُمَأْنِينَةً؛ لِأَنَّ الْقَائِمَ الْوَاقِفَ أَكْثَرُ اسْتِعْدَادًا لِلبَطْشِ وَالتَّمَادِي فِي الْغَضَبِ، وَأَمَّا الْقَاعِدُ فَهُوَ أَقَلُّ حَرَكَةً وَأَقَلُّ بَطْشًا، وَكَذَلِكَ الرَّاقِدُ أَوِ الْمُضْطَّجِعُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.

(د)الْوُضُوءُ عِنْدَ الْغَضَبِ:

-أخْرَجَ الْإمَامُ أحْمَد-رَحِمَهُ اللّهُ تَعّالَى-فِي الْمُسْنَدِ برَقَمِ(29/505)والْإمَامُ أبُو دَاوُد-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه برقَمِ(٤٧٨٤)مِنْ حَدِيث عطِيّة بْن عُرْوَة السّعْدِيّ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أنّ النّبِيّ- صَلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-قَالَ:{إنّ الْغَضَبَ مِنْ الشّيْطَانِ وَإنّ الشّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النّارِ وَإنّمَا تُطْفَأُ النّارُ بِالْمَاءِ فَإذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضّأْ}.

-غَيْرَ أنّ هَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ ضَعّفَهُ الْإمَامُ النّوَوِيّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي"الْخُلَاصَة":١٢٢/١، وَضَعّفَهُ مُحَقّقُو مُسْنَد أحْمَد فِي طَبْعَةِ الرّسَالَة ، وَقَالَ الشّيْخُ الْأَلْبَانِيّ:(هَذَا إسْنَادٌ ضَعِيفٌ"السِّلْسِلَةَ الضّعِيفَةُ":٥٨١).

-وَلَكِنّ مَعْنَى الْحَدِيثِ مَقْبُولٌ وَصَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ الطّبِّ ؛ لأنّ الْغَضَبَ يُصَاحِبُهُ فَوَرَانُ الدّمِ ، وَالْمَاء يُطْفِئُ هَذِه الْفَوْرَةَ وَيَكْسِرُ حِدّتَهَا.

-يَقُولُ الدّكْتُورُ مُحَمّد نَجَاتِي-حَفِظَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي"الْحَدِيثِ النّبَوِيّ وَعِلْمِ النّفْسِ"ص:١٢٢ :

{يُشِيرُ هَذَا الْحَدِيثُ إلَى حَقِيقَةٍ طِبِيّةٍ مَعْرُوفَةٍ ، فَالْمَاءُ الْبَارِدُ يُهَدّئُ مِنْ فَوْرَةِ الدّمِ النّاشِئَة عَنِ الانْفِعَال ، كَمَا يُسَاعِدُ عَلَى تَخْفِيف حَالَةِ التّوَتُّرِ الْعَضَلِيِّ وَالْعَصَبِيّ ، وَلِذَلِكَ كَانَ الاسْتِحْمَامُ يُسْتَخْدَمُ فِي الْمَاضِي فِي الْعِلَاجِ النّفْسِيّ} انتهى.

•سَادِسًا:تَحْذِيرُ السّلَفِ الصّالِحِ مِنَ الْغَضَبِ

-وَفِي الْخَاتِمَةَ أذْكُرُ لَكَ أيُّهَا السّائِلُ بَعْضَ آثَارِ السّلَفِ الصّالِحِ-رَحِمَهُمُ اللّهُ تَعَالَى-فِي التّحْذِيرِ مِنَ الْغَضَب وَمِنْهَا:

(أ)ذَكَرَ ابْنُ بَطّالٍ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي شَرْحِه لِصَحِيحِ الْبُخَارِيّ (٣٦٨/١)أنّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-قَالَ:{قَدْ أفْلَحَ مَنْ عُصِمَ مِنَ الْهَوَى، وَالْغَضَبِ، وَالطّمَعِ}.





(ب)وَقَالَ أَيْضًا – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ:(1/378)وَقَالَ الْحَسَنُ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:{أَرْبَعٌ، مَنْ كُنَّ فِيهِ عَصَمَهُ اللَّهُ مِن الشَّيْطَانِ، وَحَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالشَّهْوَةِ، وَالْغَضَبِ}.

(ج) وَحُكِيَ أَنَّ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– كَانَ إِذَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا يَقَعُ فِي عِرْضِكَ، يَقُولُ:{وَاللَّهِ لَأَغِيظَنَّ مَنْ أَمَرَهُ، يَعْنِي: إِبْلِيسَ،ثُمَّ يَقُولُ:اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَاغْفِرْ لِي، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَاغْفِرْ لَهُ}.
(د)وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ (٣٦٣/١) قَالَ:قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–: {الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ}.
•هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.



(يَقْطَعُ الصَّلَاةَ المَرْأَةُ والْحِمارُ والْكَلْبُ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
أَمَّا بَعْدُ:
فَهَذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ:
٤٠-أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ شَيْخَنَا أُرِيدُ شَرْحًا لِحَدِيثِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {يَقْطَعُ الصَّلَاةَ المَرْأَةُ والْحِمارُ والْكَلْبُ، ويَقِي ذلكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ}.



الْحَدِيثُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥١١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ

اللّه–صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ–:–{يَقْطَعُ الصّلَاةَ الْمَرْأَةُ والْحِمارُ والْكَلْبُ، ويَقِي ذَلكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرّحْلِ}.

–ولِفَهْمِ المَقْصُودِ بِقَطْعِ الصّلَاةِ في الْحَدِيثِ السّابِقِ لَابُدّ منْ بَيانِ أمِّ الْمُؤمنِينَ عائشَةَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عنْهَا–فِيمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى–في صَحيحِهِ برَقَمِ(٥١١)أيْضًا منْ حَدِيثِ التّابِعِيِّ الْجَلِيلِ مُسْرُوقِ بْنِ الْأجْدَعِ–رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–قالَ: عنْ عَائِشَةَ، أنّهُ ذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصّلَاةَ، فَقَالُوا:

يَقْطَعُهَا الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ، قالَتْ: لَقَدْ جَعَلْتُمُونَا كِلَابًا! لَقَدْ رَأَيْتُ النّبِيّ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–يُصَلّي وإنّي لَبينَهُ وَبيْنَ الْقِبْلَةِ، وأَنَا مُضْطَجِعَةٌ عَلَى السّرِيرِ، فَتَكُونُ لِي الْحَاجَةُ، فَأكْرَهُ أنْ أسْتَقْبِلَهُ، فَأنْسَلُّ انْسِلَالًا}.

–فَالصّلَاةُ عِبادَةٌ رُوحِيّةٌ، يَقِفُ فِيهَا الْعَبْدُ بيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ سبْحَانَهُ، فَيَنبَغِي عَلَيْهِ أنْ يُرَاعِيَ أسْبَابَ الْخُشُوعِ، وعَدَمَ الانشِغَالِ في صَلَاتِهِ، وقَدْ أُمِرَ الْمُصَلّي عَلَى سَبِيلِ النّدْبِ وَالاسْتِحْبَابِ بِاتّخَاذِ سُتْرَةٍ عنْدَ الصّلاةِ،حتّى لَا يمُرّ منْ أمَامِهِ مَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي التّابِعِيُّ مَسْرُوقُ بْنُ الْأجْدَعِ –رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–أنّهُ قَدْ ذُكِرَ عِنْدَ أُمِّ الْمُؤمنِينَ عَائِشَةَ– رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهَا– مَا يَقْطَعُ الصّلَاةَ، أيْ: يُقَلِّلُ ثَوَابَها ولَا يُبْطِلُهَا كَمَا قَالَ الْجُمْهُورُ ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْقَطْعِ نَقْصَ الصّلَاةِ؛ لِشُغْلِ الْقَلْبِ بِهَذِهِ الْأشْيَاءِ، ولَيْسَ الْمُرَادُ إبْطَالَهَا،وقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أهْلِ الْعِلْمِ إلَى أنّ مَعْنَى الْقَطْعِ الْبُطْلَانِ وحَكَمُوا بِبُطْلَانِ صَلَاةِ منْ مرّ بيْنَ يدَيْهِ الْمَرْأةُ والْحِمارُ والْكَلْبُ،واسْتِدْلَالُهُمْ بِأنّ الْقَطْعَ يُفِيدُ الْبُطْلَانَ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيّةِ،فَالْقَطْعُ يَأتِي فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ويُفِيدُ الْبُطْلَانَ كَمَا يُفِيدُ النّقْصَ ومِنْ ذَلكَ:

–قَوْلُ اللّهِ تَعَالَى:{وَٱلسّارِقُ وَٱلسّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللّهِ وَٱللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. (المائدة:٣٨).

–فَمَعْنَى{فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا}:الْقَطْعُ فِي الْيَدِ يَكُونُ مِنَ الرُّسْغِ أي بمعنى الجُرْحِ وَالنّقْصِ.





-وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى:{فَلَمّا سمعتْ بمكْرِهِنّ أرسَلَتْ إِلَيْهِنّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنّ مُتّكَـا وءاتتْ كُلّ وٰحِدَةٍ مّنْهُنّ سكّينًا وقَالَتِ ٱخْرُجْ عليْهِنّ فلَمّا رأَيْنَهُۥٓ أكبَرْنَهُ وقطّعْن أيْدِيهُنّ وقُلْنَ حٰشَ للّه ما هٰذَا بشَرًا إنْ هٰذَا إلّا ملَكٌ كَرِيمٌ}.(يوسف:٣١).

-فَقَوْلُهُ:{وَقَطّعْن أَيْدِيَهُنّ} لَا تُفِيدُ الْبَتْرَ إنّمَا تُفِيدُ الْجُرْحَ فَحَسْبُ.

-أَيْضًا لَيْسَ هُنَاكَ تَعَارُضٌ الْبَتّةَ بَيْنَ حَدِيثِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ فِي قَطْعِ الصّلَاةِ وَبَيْنَ قَوْلِ أمّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-:{لَقَدْ جَعَلْتُمُونَا كِلَابًا!}

لأَنّ اقْتِرَانَ الْمَرْأَةِ فِي حَدِيثِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ بِالْحِمَارِ وَالْكَلْبِ لَا يَعْنِي التّسْوِيَةَ أَوِ التّشْبِيهَ بِهِمَا إِنّمَا يَعْنِي الاقْتِرَانَ فِي حُكْمٍ فِقْهِيٍّ وَهُوَ قَطْعُ الصّلَاةِ بِمُرُورِهِمْ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلّي،لِذَا كَانَ قَوْلُ أمّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-:

{ لَقَدْ جَعَلْتُمُونَا كِلَابًا!}وَفِي رِوَايَةٍ:{شَبّهْتُمُونَا بِالْحُمُرِ وَالْكِلَابِ}لَيْسَ انْكَارًا مِنْهَا لِحَدِيثِ قَطْعِ الصّلَاةِ أَوْ تَكْذِيبًا لِرَاوِيهِ إِنّمَا كَانَ اجْتِهَادًا مِنْهَا بِسَبَبِ قُعُودِهَا فِي قِبْلَةِ النّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-وَهُوَ يُصَلّي،وَمَعْلُومٌ أَنّ الْقُعُودَ فِي قِبْلَةِ الْمُصَلّي يَخْتَلِفُ عَنِ الْمُرُورِ بَيْنَ يَدَيْهِ،وَعَلَى فَرْضِيّةِ أَنّ إِنْسِلَالَهَا لِحَاجَتِهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-هُوَ يُصَلّي يُعَدُّ مُرُورًا فَفِيهِ بَيَانٌ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ أَنّ الْمَقْصُودَ بِقَطْعِ الصّلَاةِ فِي الْحَدِيثِ النُّقْصَانُ وَلَيْسَ الْبُطْلَانُ،ثُمّ إِنّ الاجْتِهَادَ لَا يَرُدُّ الْحَدِيثَ الصّحِيحَ مَهْمَا كَانَ قَائِلُهُ.

-وَالْمُتَدَبّرُ لِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنّةِ يَجِدُ أَنّ الْإِسْلَامَ كَرّمَ الْمَرْأَةَ تَكْرِيمًا عَظِيمًا،وَأَعْلَى مِنْ شَأْنِهَا،وَأَعْطَاهَا حُقُوقَهَا كَامِلَةً دُونَ ظُلْمٍ أَوْ اجْحَافٍ ،مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللّهِ تَعَالَى:{يٰأَيُّهَا ٱلنّاسُ إِنّا خَلَقْنَٰكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنّ ٱللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.(الْحُجُرَاتِ:١٣)،.وَمَا أَخْرَجَهُ الشّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ(٥١٨٥) وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ(١٤٦٨،٤٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:





قَالَ رَسُولُ اللّهِ–صلّى اللّهُ علَيهِ وسَلّمَ–:{مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ،

واسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنّهُنّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وإِنّ أعْوَجَ شَيءٍ فِي الضّلَعِ أعْلَاهُ، فإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كسرتَهُ، وَإِنْ تركْتَهُ لَمْ يزَلْ أعوَجَ، فاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا}.

-وَمِنْ ثَمّ فلَمْ تُكَرّمْ الْمَرْأةُ فِي أيّ مِلّةٍ أوْ نِحلَةٍ كمَا كرّمهَا الْإِسلَامُ،وهَذَا يُبْطِلُ شُبْهَةَ الْبَعْضِ حولَ اقْتِرانِهَا فِي حَدِيثِ قَطْعِ الصّلَاةِ بِالْحِمارِ والْكَلْبِ وأَنّ ذَلِكَ الْاقْتِرَانَ يُقْصَدُ بِهِ الْحُكْمَ الفقْهِيّ ولَيْسَ التّشْبِيه أوِ التّسْوِيَةِ.

-هَذَا وقَدْ ذَهبَ الْعُلَمَاءُ إِلَى إِمْكَانِ الْجَمْعِ بيْنَ حَدِيثِ قَطْعِ الصّلَاةِ وَحَدِيثِ أُمّنَا عَائِشَةَ–رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهَا–عمَلًا بِقاعِدَةِ

(الْأَعْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الْإِهْمَالِ)فقَالَ الْإِمَامُ ابنِ خُزَيْمَةَ–رحِمَهُ اللّهُ تعَالَى– فِي صَحِيحِهِ برَقَمِ(٢/٢١)فِي تَبْوِيبِهِ علَى حَدِيث قَطْعِ الصّلَاةِ: {بَابُ ذِكْرِ الدّلِيلِ علَى أنّ هَذَا الْخَبَرَ فِي ذِكْرِ الْمَرْأةِ لَيْسَ مُضَادًا لِخَبَرُ عَائِشَةَ إِذْ إِنّ النّبِيّ–صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ–إِنّمَا أرَادَ مُرُورَ الْكَلْبِ وَالْمَرْأةِ وَالْحِمَارِ يَقْطَعُ صَلَاةَ الْمُصَلّي، لَا ثوِيّ الْكَلْبِ ولَا رَبْضَهُ ،ولَا رَبْضَ الْحِمَارِ،ولَا اضْطِجَاعَ الْمَرْأةِ يَقْطَعُ صلَاةَ الْمُصَلّي وعَائِشَةُ إِنّمَا أخْبَرَتْ أنّهَا كَانَتْ تَضْطَجِعُ بيْنَ يَدَيِ النّبِيّ–صلّى اللّهُ علَيْهِ وسَلّمَ–وَهُوَ يُصَلّي لَا أنّهَا مرّتْ بيْنَ يَدَيْهِ}.

•ومَعْنَى حَدِيثِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ: مَا الْأشْيَاءُ الّتِي إذَا مَرّتْ مِنْ أمَامِ الْمُصَلّي، وَلَيْسَ بَيْنَهَا وبيْنَهُ سُتْرَةٌ؛ قَطَعَتْ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ؟ فَقَالُوا: يَقْطَعُهَا مُرُورُ الْكَلْبِ وَالْحِمَارِ والْمَرْأةِ بيْنَ يَدَيِ الْمُصَلّي، وَالّذِي كَانَ يُحَدّثُ بِذَلِكَ أبُو هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ–، كمَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ، وَبَعْضٌ مِنْ صَحَابَةِ النّبِيّ –صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ–، فَاسْتَنْكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ، وقَالَتْ:

لَقَدْ جَعَلْتُمُونَا كَالْكِلَابِ، أيْ: فِي حُكْمِ قَطْعِ الصَّلَاةِ! وَإنّمَا خُصّ هَؤُلَاءِ الثّلَاثَةُ بِالْقَطعِ؛ لِأنّ الْمَرْأَةَ تَفْتِنُ، وَالْحِمَارَ يَنْهقُ، وَقَدْ لَا يؤمَنُ أنْ يَفْجَأَه بِنُهَاقِه عِنْدَ مُحَاذَاتِه إيّاه، فَيُزْعِجَه وهو بين يدي ربِّه عزّ وجلّ،وَالْكَلْب يُرَوِّع فيتَشَوّشُ الْمُتَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ، ولِنُفُورِ النّفسِ مِنْهُ، حتّى تَنْقَطِعَ عَلَيْهِ الصّلَاةُ، فَلَمّا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ تُؤدّي إلَى القَطْعِ، جَعَلَهَا قَاطِعَةً.

-ثُمّ أخْبَرَتْ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا- أنّهَا أبْصَرَتِ النّبِيّ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- يُصلّي وَهِيَ نَائِمَةٌ أمَامَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، مُضْطَجِعَةٌ عَلَى السّرِيرِ، فَتَكُونُ لَهَا الْحَاجَةُ الّتِي تَضْطَرُّهَا لِلقِيَامِ، فَتَكْرَهُ أنْ تَسْتَقْبِلَ النّبِيّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-بِوَجْهِهَا حِينَ تُرِيدُ أنْ تَقُومَ وَتُغَادِرَ سَرِيرَهَا وَهُوَ يُصَلّي، فَتَذْهَبُ بِطَرِيقَةٍ خَفِيفَةٍ، وَكَأنّهَا تُخْفِي جَسَدَهَا؛ حَتّى لَا يَرَاهَا النّبِيُّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَهُوَ إنْكَارٌ مِنْهَا -رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا- لِكَوْنِ الْمَرْأَةِ تَقْطَعُ الصّلَاةَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، وَلَيْسَ فِي الْمُرُورِ بِخُصُوصِهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فِقْهِ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا.

-وَفِيهِ: مَشْرُوعِيّةُ الصّلَاةِ إلَى جِهَةِ الزّوْجَةِ.

•هَذَا وَاللّهُ أعْلَى وَأعْلَمُ.

تمت الرسالة ولله الحمد والمنة

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني


في الدين والحياة
الشيخ سيد عبد العاطي

س ج
٤٠ سؤال و جواب

